مرافئ السكن

1437 هـ
2016 م

اسم الكتاب: مرافئ السكن

التأليف: وصال تقة

موضوع الكتاب: اجتماعي

عدد الصفحات: 272 صفحة

عدد الملازم: 17 ملزمة

مقاس الكتاب: 14 × 20

عدد الطبعات: الطبعة الأولى

رقم الإيداع: 2016 / 1776

الترقيم الدولي: ISBN : 978 - 977 - 278 - 530 - 8

التوزيع والنشر

دار البشير للثقافة والعلوم

darelbasheer@hotmail.com

darelbasheeralla@gmail.com

ت: 01152806533 - 01012355714

مرافئ السكن

(خواطر ونصائح زوجية)

تأليف

وصال تقة

دار البشير للثقافة والعلوم

فهرس المحتويات

إليكِ

الرحلة الثانية

الرحلة الثالثة

كن قوّامًا

- كن قوّامًا

الرحلة الرابعة

الرحلة الأخيرة

إهداء :

إلى من سئموا انتظار المراكب؛ لتعبر بهم إلى مرافئ السكن والأمان..

إلى أرواح باتت من قهرها وخيبتها تئن..

وحدها تلك «الانفجارات العظيمة» قادرة على أن تعبر بنا إلى الضفة الأخرى، حيث الإنسان الآَخر النائم في أعماقنا..

تستفزه كي يرسم الحياة بريشة جديدة.

تقديم الشيخ

محمد عبد الواحد حفظه الله

الحمد لله وحده، وبعد..

فإن الناس في زماننا هذا بحاجة لكثير من التأهيل قبل الإقدام على الزواج؛ شرعي واجتماعي ونفسي وتربوي، وبحاجة لمطالعة أحوال الصالحين والناجحين في حياتهم، وأن ينزعوا عن التأثر بالأجواء السائدة اليوم.

الرجل بحاجة للوقوف على أحوال الرجال حقًّا واكتساب أخلاق السادة، مجتنبًا أخلاط أخلاق مجتمعاتنا المعاصرة، ومجافيًا الأعراف البائدة والعادات المخالفة لمعالي الأمور، ومفرقًا بين النسبي من الأخلاق والممارسات والعادات، والمطلق منها، وهو بحاجة كذلك لإدراك معنى القوامة الحقيقي، وإعداد نفسه للاضطلاع بأعبائها، وتحمل مسؤوليته التي سيُسأل عنها يوم القيامة، والتهيؤ لأمر عظيم هو إنشاء بيت مسلم صالح، ينشأ فيه الأطفال نشأة صالحة قويمة، في صحة نفسية، يتنسمون هواء الاستقرار، ويستظلون بظلال السعادة والترابط الاجتماعي والوئام.

والمرأة بحاجة لفهم طبيعة دورها العظيم الذي خلقها الله له وهيأها للقيام به إن هي أرادت، وإدراك لحقوقها وواجباتها، في بعد عن التأثر بالأجواء الملوثة التي نعيشها، والتقليد في أمور تضر ولا تنفع، وتهدم ولا تبني.

وكل منهما مطالب بالتحرر من قيود كثيرة وضعها الناس بلا هدى، وتوارثوها بلا رشد، ومفاهيم مغلوطة عن طبيعة دور كلٍّ منهما وكيفية معاملته لصاحبه وحدودها.

وهذه المهام الجسام بحاجة لجهود فوقية وتكاتف اجتماعي، وتعاون من جهات عديدة ومتخصصين في مجالات شتى، وتخطيط وتطوير، فأحوال كثير من الناس تمضي سبهللًا، وهناك قطاع عريض من الشباب رجالًا ونساء يتزوج بلا إدراك صحيح لطبيعة ما سيقبل عليه، ثم يفاجأ بمسؤوليات وأمور لم يكن معدًّا لها، فيحصل ما نراه من إخفاقات، ونزاعات، وسوء عشرة، وظلم، وطلاق!

نعم؛ كل من الطرفين بحاجة لمعرفة طبيعة صاحبه، وما الذي يريده هو من الزواج ومن العلاقة التي ستقوم بينهما.

ولا بد لكل مقبل على الزواج أن ينظر في متطلباته وأولوياته ويحسن ترتيبها، ويعرف نفسه جيدًا أوّلًا، ثم يعرف شريكه.

كما أننا بحاجة لضبط معنى التدين والأخلاق، وتحرير هذين المصطلحين تحريرًا جيدًا، فهُما الأساس لكل علاقة ناجحة، وفي عدم فهمهما أو الخلط في معرفة حدودهما أو الغلو أو الجفاء في فهمهما وتطبيقهما=تضييع، وتعرض للإخفاق والتعاسة.

ومع كون هذه الأمور بحاجة لجهود عامة وفوقية كما أسلفت؛ فمن النافع والمتعين؛ الإسهام الفردي في ذلك لمن تأهل، ببذل ما يستطيعه من البيان والنصح، أداءً للأمانة ونصحًا للمسلمين وإعانة لهم.

ولقد قامت الأستاذة الفاضلة/ وصال تقة، بجهد طيب في هذا، فيما كتبته في هذه الصفحات من رسائل موجهة إلى كلٍّ من الزوجين على حدة، وإليهما مجتمعَين..

وكتابات الأستاذة وصال في هذا المجال تجمع بين حسن العرض وجمال اللفظ وأصالة المعاني، وتتميز بإنصاف وحسن فهم لنفسية المرأة والرجل، مع التوازن والانضباط الشرعي، وهذه أمور قلما تجتمع لمن يتصدى لهذه النوعية من الكتابة.

كما أن للأستاذة عقلًا راجحًا وخبرة حسنة، وهي من أهل الصيانة والديانة، نحسبها والله حسيبها؛ لذلك فقد قرأت ما كتبتْ وأنا مغتبط به، وقدمت بهذه المقدمة المختصرة نزولًا على رغبتها في التقديم، وإن كان الكلام مستغنيًا عن تقديم له، فهو بيان حسن

ونصح متزن، نفع الله بها وبكتابها.

وأسأل الله عز وجل لي ولها التوفيق والقبول، وأن ينفع بالجهود ويبارك فيها، إنه سبحانه جواد كريم.

محمد عبد الواحد

12محرم 1437 هـ

الوكرة-قطر

تقريظ
الشيخ كمال المرزوقي حفظه الله

الحمد لله، وبه أعتصم، وصلى الله وسلم على النبي الخاتم وآله وسلم.

أما بعد،

فقد رغبَت إليّ أختنا الفاضلة الأديبة الأستاذة وصال تقة أن أقرأ كتابها: (مرافئ السكن)، الذي تابعت جزءًا كبيرًا منه، كانت الأستاذة تنشره على حلقات في منشورات متتالية على (الفيسبوك) موسومة بما في العنوان. وقد طالعتُ الكتاب فوجدته مهمًّا نافعًا في مجال الاستشارات الأسرية، وهو السوق الذي طال الإفساد فيه من كثير من المتقحِّمين والمتعالمين، غير عابئين بما يجرّه ذلك من فساد وإفساد في حياة الناس وأخصّ علاقاتهم، ولا هيّابين من القول على الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. وألفيت الأستاذة قد جمعت فأحسنت، ونصحت فأوعبت، وما تجاوزت في ما تقول ما يستقر عند الحكماء من ذوي النهى، ولا المحكم من أقوال العلماء بشريعة ربنا جل وعلا، فجاءت به سفرًا لطيفًا بديع

السّبك، غضّ الأسلوب سهل العبارة مُيَسرها.

أسأل الله أن يعمّم به النفع، ويصلح به الأحوال، ويرفع به فرض كفاية يكتب لها به أجر الأمة، وأن يبارك في كاتبته وحواليها وعليها، ويرزقها سعادة الدارين، ويزيدها فهمًا ورشدًا، والله الموفق.

كمال بن محمد المرزوقي

توطئة

ما الذي يجعل حياة الأزواج قفرًا، لا ماء يروي جذْبها، ولا شدو يكسر صمتها، ولا فتائل نور تبدد حلكتها المعتمة؟

ما الذي يجعلها موتًا بطيئًا تُدفن في مقابرها الأرواح، وتترنح الأجساد متآكلة بالأحزان والإحباطات؟

ما الذي يجعل المودة والسكينة تجر حقائبها مهاجرة، مخلفة بعدها الوحشة والتنافر والشحناء؟

ما الذي يجعل الأرواح التي كان من المفترض أن تغدق على من حولها ببلسم الحب وترياق السعادة، تلتحف بأكفان النهاية، وتعلن عصيانها وتمردًا قد يكلفها انشطارًا لا التئام له، وانشقاقًا لا جبر له، ولربما رحيلًا لا عودة بعده أبدًا؟

لماذا أصبحت البيوتات تقوم على كل ما تقوم عليه أية شراكة، عدا التفاهم والتراحم والمحبة والاحترام؟

قد لا يكون الرد على هذه التساؤلات يستدعي رقم كتاب أو حتى مقالة، فالرد بسهولة ويسر واختصار؛ لابتعادنا عن النبع الصافي، وعن نهج معلم الإنسانية الحبَّ في أسمى معانيه وأبهى

صوره عليه أفضل الصلاة والتسليم.. وإنما كانت الحاجة ماسة إلى إعادة تعريف المعروف، وترشيد العادات، والحث على إعادة النظر في المسَلَّمات؛ بسبب الابتعاد عن الفطرة النقية وعن العفوية وعن سلاسة الطبع.

ولعل القصاصات التي ستصادفونها في هذا الكتاب لا تقدم وصفة عالمية موحدة لائقة بكل الأزواج، فلكل حالة خصوصياتها ونوع مشكلاتها ومعيقات نجاحها واستمرارها، وبالتالي الحل المناسب لها. ويبقى من بين الأهداف التي من أجلها تم جمع وتدوين هذه التوصيات والمقترحات العملية:

- تحريك العلاقة الزوجية من ركودها بتحريك الأذهان وإحداث تلك الرجة التي منها قد يكون „الانفجار العظيم"، فتنبعث الحياة بعد طول سبات أو احتضار. تلك التساؤلات المقموعة؛ نفسح لها مجال التصدر، بل ونسافر معها لترتيب الأشياء في مرحلة ما بعد التساؤل، فأغلب المشاكل سببها القبول بالمتاح والتقاعس عن التغيير.. أو عدم التفطن إلى أنه هناك ما يجب تغييره على وجه الإلزام والاستعجال.

- تحطيم يعوق ويغوث ونسر مجتمعاتنا الملتزمة المروجة لعادات مغلوطة باسم الدين، والدين منها براء. مشكاة النبوة

المنيرة قطعت على العتمة سبل التسرب إلى حياتنا، يكفينا أن نستنير بها بفهم واعٍ واستنباطات صحيحة وإسقاطات سليمة على واقعنا؛ كي ننعم بفضل ربنا بمقومات السعادة.

لن أقف كثيرًا مع بوصلات الكتاب، سأدعه يفصح بنفسه عن نفسه...

أسأل الله السداد والنفع والإخلاص والقبول.

الرحلة الأولى على مرافئ العبور..

ها قد وصلت منتصف العشرينيات، أو ربما جاوزت الثلاثينيات ببضع سنوات. قد شغلتك الدراسة، وأخَّرك عن الزواج البحثُ عن وظيفة كي تستطيع فتح بيت والقيام عليه. وفجأة، تنظر إلى مركب الحياة المُصِرِّ على أن يغادر المرفأ ولو من غير اكتمال الراكبين. تفتش حولك، فهذا صديقك خالد ينتظر مولوده الأول، وصديقك أحمد له من الأطفال اثنان، وابن عمك الذي كان منذ سنوات فقط ذلك الطفل المشاغب؛ ها قد خطب وحدد يوم زفافه، وعبد الله وأسامة ومحمود وفيصل الذين كانوا يحضرون معك دروس المساء، كل منهم قد تزوج، وسئمت من سماع ذات السؤال كلما جمعكم حفل عرس صديق، أو جلسة طلب:

- «الدور عليك، فمتى سنفرح بك؟»

تخلو بنفسك، فإذا بصدى كلماتهم مازالت ترن في أذنيك، وإذا بمشهد عبد الله حاملًا ابنه على كتفيه، ومشهد أحمد يتريض وابنته ذات السنة يعلمها أبجديات المشي في الحارة،لا تفارقك. تقرر فجأة أن تكون مثلهم، وأن يكون لك بيت كما لهم، وأن تكون

لك زوجة كما لهم، وأن تحمل إلى لقاءاتهم أبناءك كما يفعلون.. يأخذك الحماس كل مأخذ، وللحظة تقرر أن تودع حياة الوحدة والعزوبة.. تأمر أختك أن تختار لك من بين صديقاتها، وتسأل أمك أن تنتقي من بنات الجيران فتاة حافظة لكتاب الله، صغيرة بحجاب فضفاض وجمال أخّاذ. ولأن أختك من الحافظات، فستختار لك تلك الجميلة التي لا تتغيب عن جلسات التحفيظ. ولأن أمك تنتظر بفارغ الصبر أن تفرح بزفافك وأن تسعد بأبنائك، فلن تتوانى لحظة في الاختيار، وستعرض عليك من بنات الأقارب والجيران ما ستحتار أنت في الانتقاء من بينهن.

كل شيء – إلى حد الآن – على أحسن ما يرام، فالشكل المطلوب قد توفر، وستشعل بجمالها غيرة قريباتك إذا ما اجتمعت بهن في مناسبة عائلية، وستفتخر أنت بزيِّها السابغ أمام إخوانك وأقرانك، وهي قبل هذا وذاك، ليست كما زوجة أخيك غير الملتزمة، ولا مثل ابنة الجيران التي أفنت شبابها في الدراسة والتحصيل، وحصلت على الدكتوراه دون أن يكون لها نصيب من كتاب الله، هي محجبة حافظة للقرآن.

تمر شهور الخطوبة كأجمل ما يكون، والأرض تأبى أن تحملك على جنباتها، فتختار أن تعيش بين السحاب.. وتؤمل

نفسك بالبيت السعيد الهانئ، وتؤسس لذلك قوانينك، وتدوِّن دساتيرك، وتنتظر فرصة عودتك من رحلتك بين الكواكب كي تشيد مملكتك.. وها هي ذي الشهور تتوالى، تحث الخطى ليوم اللقاء، وتمر السنة الأولى كما حلم وردي جميل، تتخللها بعض السحائب، ويعكر صفوها قليل ضباب، ثم ما تلبث أن تنقشع الغيوم وتبدد خيوطُ النور ذلك الضباب. تناقشها في أمر، وتريد استشارتها فيما استشكل عليك من ملمات العمل والحياة، فلا تجد عندها ما تفيدك به، فخبرتها في الحياة محدودة، كما ثقافتها ووعيها واطلاعها على مجريات الأحداث حولها. بسيطة هي بساطة تلك الشروط التي كنت قد وضعتها يومًا للاختيار. تفكيرها لا يعدو أن يكون في مطبخ وملبس وجديد أثاث. أكانت قد خدعتك هي؟ لم تخدعك ولكن خدعت نفسك حينما لم تجلس إلى نفسك في شفافية ووضوح لتبحث في تفاصيل أعماقك عن ذلك الذي تريده من الحياة. حينما لم تأخذ ورقة وقلمًا لتدون أبسط التفاصيل. تسِرُّ خيبة أملك في نفسك، وتعلن على زوجتك الحرب دون سابق إنذار، والمسكينة لا تعلم ما دهاك. تتبعثر وهي تبحث عن ذلك الجرم الذي ارتكبته في حقك حتى تتحول بين عشية وضحاها من ذلك الرومانسي الحالم إلى مفتش شرطة يتتبع معالم الجريمة ويحلل الصغيرة والكبيرة؛ كي يحرر استنتاجه.

أو لربما- في أفضل الأحوال- ستمارس العمى كي لا ترى، وستصِرُّ على أن توطن كل الحيل الدفاعية؛ لأجل ألا تتأكد من ذلك الذي قد تيقنت منه بما لا يسعك معه حيلة للتغاضي عنه.

ثم ها قد جاء الطفل الأول؛ ليزيد في الكأس نقطة وفي الحصيدة شوكة. وزوجتك التي كانت بالأمس القريب ترعاك وترعى بيتها، وتغطي بذلك عن كل تلك المفارقات التي ما اكتشفتها أنت وما شعرت باستحالة تعايشك معها إلا بعد العشرة، ها قد جاء من يأخذها منك، وضنت عليك- لأمر الصغير- بوقتها و عنايتها ببيتها وبنفسها، وصار مزاجها المرتبط بمزاج الصغير كما سماء الخريف، شمس أحيانًا؛ وكثير غيوم. وأصبحت الحواجز تشيد بينكما أكثر فأكثر. هي لأنها قد أتاها أمر يشغلها، وأنت لأن مساحة الفراغ بين روحيكما واهتماماتكما وطباعكما قد أضيف إليها فراغ من نوع جديد.

- «ألأجل هذا كنتُ تزوجت؟

طريقة تفكيرها- إن فكرت- لا تعجبني، وكذا تختلف عني في كل الطباع. لا تشبهني في شيء، أنا عاطفي وهي جد عقلانية، أنا نشيط وهي خاملة، أنا أحب التجديد وهي نمطية روتينية، أنا أحب الجلسات الهادئة، وهي تحب الصخب وتمضي جُلَّ اليوم بين المطبخ والتلفاز

والهاتف، أنا أحب المطالعة، وهي أخالها لديها حساسية جلدية من إمساك كتاب. أنا لدي أهداف كثيرة سامية كنت أود أن تعينني عليها أو تشاركني فيها أو على الأقل تشجعني من بعيد، وهي لا أهداف لها. ليس لهذا كنت قد تزوجت!، قد أسأت فعلًا الاختيار..»

ترنو إلى مرآة أعماقك وكأنك تستكشف نفسك لأول مرة، ولأول مرة تتعرف على ما تريده.. ولأول مرة تقرر ما تريده.. خلوك بنفسك ووجودك في الغالب وحيدًا وهي مشغولة بأمر الرضيع قد جعلك تقترب من نفسك أكثر، تعيد الحسابات وترتب ما تبعثر من ملفات. وأسئلتك الحائرة المكبوتة التي كنت تغض عنها الطرف من قبل قد أنجبت مزيد تساؤلات، وأصبحتَ كثير تفتيش في الأسباب والمسببات. تبحث وتبحث، وتحلق بك الذاكرة إلى أيام الخطوبة، بل إلى ما قبل ذلك بقليل، تحط بك الذاكرة الرحال عند ذلك اليوم الذي سألت فيه أمك وأختك أن يهبّا لنجدتك من حياة الوحدة، فتجد- إن أنت أنصفت وكنت أكثر شفافية- سبب ما أنت فيه، وتتردد صدى في سراديب سمعك المتعب، تلك العبارة التي لم تعد تفارقك:» قد أسأتُ فعلًا الاختيار».

تريد تصحيح المسار، لكن ارتباطك بالوليد وإحساسك بالذنب لأجله يمنعك التفكير في حل استئصالي بالطلاق. تفكر-

إن أنت اتقيت- في الحلال، وفي مشروعية المثنى والثلاث والرباع. تنظر إلى جيبك ورصيدك وحسابك المفتوح، فتتذكر أن جيبك ما زال يئن من أقساط الجهاز، بل وبما كان منه الصداق. ولا تجد لك من رصيد سوى بشبكة الاتصالات!، ولا من حساب سوى على الفيسبوك وتويتر!. تضع يديك على عينيك تحاول جاهدًا إخفاء دمعك المتسرب من مآقيك.. يتقافز داخلك ذلك الهاجس المستشيط حنقًا وأسًى وأسفًا يكاد يعصرك. تتناثر شظاياه بمسامعك.. « ليس هذا ما كنت أريد.. قد أخطأت الاختيار»

تنقذك من غرقك في لجج أفكارك السوداء واعتصار قلبك على شبابك الذي ستضطر أن تمضيه بخلاف طموحك و ما تريده من حياتك، صرختها تعاتبك: «ألم تذهب بعد لإحضار لبن الصغير؟ ألم تسمع صراخه؟ لا تنس كما عادتك أن تحضر الحفاظات؛ فقد شارفت على الانتهاء..»

***

أيها الشاب المقبل على الزواج، استرجع أنفاسك، واسجد لله سجدة شكر أن ليست هذه قصتك، واحمد الله على العافية، وأنك ما زلت على البر ولم تمخر بك السفينة بعْدُ العباب.

ومعها خذ العبرة ممن سبقوك.

جرعات شفاء..

دواعي الاستعمال:

- جرعات وقائية حتى لا تنتقل إليك عدوى الضنك والإخفاق
- تساعد على كبح دوار بحر الحياة الزوجية

طريقة الاستعمال:

على الريق- قبل...

لو أننا تعاملنا مع مشروع الزواج بمنطق التسويق (Marketing)، فيسارع المقبل على الزواج إلى استكشاف ما يريده أن يتوفر في زوجته، وما يجب عليه فعله من أجل إنجاح مشروعه، والتيقن من أن هذا المشروع يستحق بل يستوجب استفراغ الجهد من أجل المضي به قُدمًا، فيقبل على تطوير ثقافته الزوجية بالاطلاع على كتب تهتم بتحليل نفسانية المرأة، وتطرح حلولًا لمشاكل افتراضية، وأن يفهم هو كزوج معاني القوامة والدرجة التي فضل بها عليها، وأن تتعلم هي فنون الأنوثة وتعلم مالها وما عليها مستنيرة بشرع الله. وقبلها، حسن قراءتهما لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وطريقة تعامله مع زوجاته، فهو المثال الذي يجب أن يحتذى، دون إغفال حسن التوكل على الله

في الاختيار واستخارته سبحانه والإلحاح عليه في الدعاء أن يختار لهما وأن يرزقهما الشريك الصالح الذي تقر به العين ويتحقق السكن؛ لضمنا- بفضل الله وقوته- أن نتفادى الكثير من المشاكل التي مردها لخطوة البداية المرتجلة.

أجمل الأمر في نقاط تسهيلًا على القارئ:

ما يحتاجه الرجل:

- أن يعلم أوّلًا المسئولية التي تنتظره من الزواج، والتي سيسأل عنها يوم القيامة.

- أن يعلم معاني الرجولة والقوامة ومعنى الدرجة التي فضله الله بها على النساء.

- أن يعلم معاني الأخلاق التي جُعِلت كمعيار أساسي يُختار على أساسها الرجل.

- أن يفرق بين حقوقه التي كفلها له الشرع، وبين ما دأبت عليه عادات المجتمع المخالفة للفطرة وما لأجله شرع الزواج.

- أن يتعرف إلى نفسه عن قرب وأن يحدد معايير اختياره زوجته المستقبلية بناء على أهدافه من هذا الزواج.

- أن يتعرف على نفسية المرأة، وعلى طرق التعامل معها من أجل إنجاح الحياة الزوجية.

- أن يتهيأ لاستقبال أطفاله وأن يقدر المسئولية الملقاة على عاتقه في تنشئتهم تنشئة دينية ونفسية صحيحة.

ما تحتاجه المرأة:

- أن تفهم طبيعتها وفطرتها التي فطرها الله عليها.

- أن تقدر أنوثتها، وأن تبتعد عما يخرجها عنها، وينفر زوجها منها.

- أن تعلم أيضًا واجباتها، والمسئولية التي تنتظرها لأجل إسعاد زوجها وتربية أبنائها.

- أن تتعلم كيف تحسن التبعل، وكيف تكون أنثى معطاء.

- أن تعلم حقوقها وما خوَّله الشرع لها في مبعد عن أفكار وعادات المجتمع السقيمة أو عن الأفكار النسوية المتحررة التي ما جرَّت عليها وعلى الأسرة سوى الهلاك.

جرعات تحت الحساب..
على شاطئ الأمان.. قبل الإبحار

1 - لا تتقدم وأنت غير واثق مما تريد، ولا تعزم فتح بيت وأنت لا تستطيع بعد فتح ملفات أعماقك، واستكشاف نفسك، وفهم طباعك كي تتمكن من معرفة ما يناسبك من طباع الشريكة، وعلى أي أساس ستبني اختيارك. مشروع الزواج مشروع عمر لا محطة له حتى الخلود والجنان، أفلا يستحق منك استفراغ الجهد ومزيد عناية!، وتريثًا ورويَّة وحكمة في الاختيار، وفي وضع معايير الاختيار.. وقبلها استخارة واستشارة وحسن توكل على الوهاب الرزاق؟

تذكر أن كثيرًا من المشاكل الزوجية سببها- في الغالب- سوء اختيار الشريك من الأول، أو بالأحرى مردها إلى عدم وضوح الأهداف، وعدم تسطير الشاب(ة) بدقة وتفصيل ما يطمح إليه من زوجته المستقبلية ومن الحياة الزوجية بصفة عامة.

2 - اجلس إلى نفسك جلسة صفاء وشفافية، وأحضر مذكرة وقلمًا، واكتب كل تلك الأشياء التي تتمناها في زوجتك المستقبلية.

3 – استكشف نفسك قبل استكشاف الشريك: تحديد الطباع والسمات الشخصية (أو ما يسمى بالبوصلة الشخصية) والبعد النفسي كي يسهل معرفة ما يتوافق مع شخصيتك ونفسيتك... (لا استقرار ولا سكينة إلا بالمحبة، ولا محبة إلا بالتوافق: في الشخصية ومستوى التفكير وطريقة التفكير...)

4 – الاستخارة (اجعلها نبراسك في كل خطوة، واجعل قلبك يسجد لمن خلق من نفسك زوجها أن يختار لك من تحقق سكنك وسكينتك)

5 – الاستشارة (نستشير ولا نسمح بأن يحدَّد لنا ما يجب أن نريده)

6 – اللقاءات الشرعية (لقاء واحد لا يكفي، لا ضير أن تتكرر اللقاءات_ مع مراعاة الضوابط الشرعية طبعًا، ومن غير تساهل في الكلام أو اتخاذ الأمر ذريعة للإكثار من المجالسة والمزاح، ولربما الحديث في الموضوعات التي لمّا يحن وقتها- حتى تصلا إلى الاطمئنان والراحة النفسية لأجل القبول، وإلا فالتراجع)

7 – فترة الخطوبة وأهدافها: هذه الفترة جوهرية في حياة المتزوجين؛ لأنها حجر الأساس الذي عليه سينشأ البناء. استغلالها خير استغلال كفيل بجعل الرؤى حول الشريك وحول المراد من العلاقة الزوجية تتضح، مع الأخذ بعين الاعتبار الضوابط الشرعية

التي ليس هنا مقام سردها.

8 - التريث (فلا استعجال في أمر مصيري).

9 - تحديد الأهداف الشخصية والأهداف المشتركة المنشودة.

10 - تحديد مفهوم الدين والخلق بدقة لدى الطرفين.

11 - تحديد فارق السن ومدى تأثيره.

12 - النظرة الشمولية التكاملية للشريك (التوافق لا يُعنى به أبدًا التطابق: نحرص على التشابه في الأساسيات وفي الأهداف الكبرى التي لا حياد عنها، ونجعل من نقاط الاختلاف فرصة للتغيير وللتكامل)

معايير الاختيار

إليكَ

1 - الشكل.. ثنائية الروح والجسد.. معضلة الاختيار عند التعارض

بعض الشباب قد يضع في صدارة متطلباته في شريكة حياته: الدين والخلق ومعهما ربما مؤهل علمي أو أدبي، ولا يضع مع ذلك معايير الشكل في الاعتبار، ويبقى ذلك اختيارهم وحريتهم الشخصية. وبعضهم على خلاف ذلك يهتمون بالشكل ويضعونه على رأس القائمة على حساب الأهم: الدين والخلق، فيضيع الاثنان بين إفراط وتفريط.

الشكل مهم، مهم جدًّا لشاب في عمرك. ولا أحد له الحق أن يقنعك بتلك الأفكار المثالية الطوباوية التي تقتضي أن الشكل لا أهمية له، بل ليس لأحد أن يملي عليك ما يجب أن تريده. ليس لأمك ولا لأختك ولا لأصحابك أن يجعلوك تقتنع بمعايير الشكل ولا أن يفرضوا عليك شكلًا معينًا، ابحث في نفسك أنت عما تريده، فإن لم تجد ما تهفو إليه فانتظر ولا تقبل بالمتاح، فأنت من

ستعيش معها وليس هم، وأنت الذي ستضطر إلى النظر إليها صباح مساء. فقط لا بد من التنبه لبعض الأمور:

- ليس هناك قاعدة مطردة تتبع في هذا الصدد، فيقال إن الشكل لا استغناء عنه أو لا وجود له في قائمة الشروط، إنما يترك الأمر للفطرة ولميول كل واحد.

- جمال الروح هو الجمال الحقيقي فلا يكن اختيار الشكل على حساب الروح والدين والخلق.

- معايير الجمال مختلفة من شخص لآخر، فلا ترع سمعك أولئك الذين قد جعلوا مقاييس وقوالب وشروط للجمال حتى شيئوا المرأة، وجعلوا من تخلفت عن تلك المعايير فقد خرجت من قائمة الجميلات.

- العشرة الطيبة والمنطق الحسن والذكاء الاجتماعي وخفض الجناح وغيرها من الخصال الطيبة إن لم تتوفر في المرأة فبم نفعك جمالها وهي غير ملتزمة نكدية سليطة اللسان متعالية مستكبرة!؟

- لا تكن مثاليًّا حد التطرف فتقبل بمن تعلم أنت قبلًا بأنك لن ترتاح لها، أو أنك مع الوقت ستدخل في مقارنتها مع غيرها؛ فتتعب نفسك وتتعبها.

- الشرع الحنيف لمَّا أباح النظرة الشرعية؛ جعل ذلك أساسًا

ومعيارًا لتقييم الشكل، ولمَّا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة أن ينظر لمخطوبته فلحكمة ((انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما))، فالنظرة كانت لأجل أن يتبين ملاءمة جمالها له فيكون ذلك مدعاة للزواج بها، وأحرى أن تدوم المودة بينهما.

إذًا الشكل مهم،

لكن ليس هو فقط المهم.

2 - تحديد الأهداف الشخصية والأهداف المشتركة

ولعل هذه من بين أهم معايير الاختيار، إذ لا يعقل أن يقبل الشاب على مشروع وهو لا يعلم ماذا يريد منه وغير محدد لأهدافه ولخطط تحقيقها، فأول خطوة للسعادة التخطيط لها. وأول خطوة للتخطيط معرفة ما نريد.

كثير من الناس لا يعلمون ما يريدون، فيصعب عليهم التخطيط لحياتهم، ويمضون عمرهم في القيام بالأشياء التي ليس من ورائها طائل أو تلك التي لا تستهويهم. يمضي بهم القطار، وينهب المسير عمرهم، ليستيقظوا يومًا وقد عاث المشيب في رؤوسهم وقلوبهم وهم في القطار غير المناسب وفي الاتجاه المعاكس لما يحبون. يموتون في وقت مبكر جدًّا، ولا تدفن أجسادهم إلا عند خروج الروح.

حدد- مستعينًا بالله- ما تريد من حياتك الزوجية وأين ستجد سعادتك أكثر، وكن شفافًا مع نفسك لتحدد قدراتك وميولك، ومن ثم تحديد نوعية العلاقة التي تفترضها مع زوجتك المستقبلية. إن كنت تريد حياة بسيطة عادية؛ فلتبحث عن زوجة تشاركك نفس الرغبة، وإن كنت تريد من تشاركك همومك العملية أو أفكارك التخطيطية أو ميولك الأدبية، أو هم الدعوة والغوص وراء الدرر في قيعان الكتب، وتساعدك على ترتيب مكتبتك وتلخيص محاضراتك، فلا ترضَ إلا بمثقفة أو طالبة علم نجيبة. وإن كنت تريد من تهيئ لك جوَّ الطلب بأن تكفيك هم الأولاد، وهم طلبات البيت، وتحرص على شايك وقهوتك وأكلاتك المفضلة، ففر من طالبة العلم الباحثة المجدة فرارك من الأسد، فقد تكون ذا حظ عظيم فيجتمع لك فيها كل ذاك، وقد تكون هي أيضًا قد اختارتك طالب علم لذات السبب: أن تشاركها ميولها وطموحاتها، وأن تعينها على الدعوة، وأن تشاركها هم البحث والتلخيص، فيكون قبولها بك كي تغض الطرف عن تقصيرها إذا ما قصرت، وعن إهمالها إذا ما شغلها العمل أو الطلب عن ترتيب البيت، وتهيئ ما طاب ولذ من الطعام.

3 - التكامل أم التوافق؟

كثير من الشباب المقبلين على الزواج يقعون فريسة نظرية

تكامل الحاجات، فيبحث الرجل عن امرأة بمواصفات تنقصه علها تجبر نقصه، والأنجع أن يبني اختياره على التوافق: في الجانب المادي والثقافي والفكري والعاطفي والروحي وفي الهوايات والاهتمامات وغيرها. قد يكون الرجل ذا ثقافة عادية أو متوسطة، فيتزوج مثقفة فيحس بتقزمه أمامها وتعاليها عليه بثقافتها، قد تكون هي فعلًا متعالية، وقد يكون الإحساس منبعثًا منه هو حين قيامه بالمقارنة بينهما، فتكثر المشاكل بينهما: هو لما سبق ذكره، وهي- وإن لم تفصح عن ذلك- تحس به دون مستواها، وقد تستصغره أمام نفسها وأمام من حولها.

قد يكون الرجل جافًّا فيتزوج عاطفية؛ فيكون ذلك سببًا في المشاكل لهذا التباين بينهما. قد يكون ملتزمًا وهي غير ملتزمة أو العكس، وقس على ذلك كل المواصفات؛ فيغرق البيت في الازدراء أو في الإحساس العميق بالنقص. الأنجع أن يكون هناك توافق بين الأزواج في الكثير من المواصفات الجوهرية وإلا حصل الشجار والنكد والضنك. وكان الإخفاق مصير العلاقة الحتمي.

4 - «هل أهتم بالثقافة على حساب الشكل أم بالالتزام على حساب المهارة في أعمال المنزل؟ كيف أرتب أولوياتي في الاختيار؟»

لا أجد من جواب لهذه الأسئلة سوى: النظرة الشمولية التكاملية للشريك.

قد حدد لنا شرعنا الحنيف الدين والخلق كمعيارين أساسيين، أما باقي المعايير فتختلف من شخص لآخر، ولا أحد يستطيع أن يحدد للرجل ماذا يجب عليه أن يقدم وما المعايير التي يمكنه إغفالها، هناك من لا يمكنه أن يتنازل عن معيار الثقافة تحت أي ظرف، وهناك من لا تعنيه الثقافة في شيء ولا تنازل له عن حذاقة المرأة وبراعتها في الطبخ، وهناك من يكفيه معيار الجمال ولا يهمه شيء من كل ما ذكر، وهناك من يريدها عاملة، وهناك من يريدها طالبة علم ولا إشكال عنده في عدم توفر باقي المعايير. وهكذا، فالأولويات تختلف من شخص لآخر، حسب ثقافته وبيئته وطريقة تحليله للأشياء وأهدافه في الحياة. ولأجل هذا، سبق التنبيه إلى وجوب استكشاف النفس وتحديد الأهداف قبل استكشاف الشريكة، ومن ثم ترتيب المعايير: ما المعايير التي لا يمكنه أن يتنازل عنها؟ وما التي يمكنه التغاضي عنها في وجود غيرها من المواصفات الأكثر أهمية؟

5 - تحديد مفهوم الدين والخلق بدقة لدى الطرفين:

قد يبدو هذا المعيار لوهلة بسيطًا، إذ الدين معروف المعنى،

لكن ممارسته هي التي تختلف من شخص لآخر، وبناء على ذلك وجب على الطرفين معرفة تصور الآخر لتدينه حسب رؤيته لمعناه:

- التدين السلوكي (حيث يظهر التشديد على ممارسة العبادات من صيام وقيام وقراءة للقرآن وتشديد على النقاب واللحية وغيرها من المظاهر، وصاحبه إن لم يتنبه قد يغرق في الشكليات وفي طقوس العبادات دون فهم لروحها ولمراداتها وللحكمة منها. وقد تغيب عنه الأخلاقيات وطرق التعامل مع الآخر، فيؤثر تشدده في هذه الأشياء على معاملاته، ويصنف من حوله ويقيمهم تبعًا لمعياره)

- التدين المعرفي: أخذ الدين كفكرة (يغوص في روح العبادات ويحاول فهم الدين جملة وتفصيلًا وسبْرَ أغوار الأحكام، صاحبه أفضل حالًا ممن يأخذ الدين بالمظاهر فقط، لكن قد يقع أيضًا في آفة التنظير دون تطبيق)

- التدين الانفعالي (عواطف من غير نضوج الفكرة، فتراه يتشدق بالفكرة دون فهم لمراداتها وحدودها ولوازمها، مثل الجهاد وعذاب القبر والنار وعقوبة تارك الصلاة وغيرها دون فهم دقيق لحدودها ولوازمها..)

- التدين بالوراثة، وهذا معروف.

فلينظر كل في نفسه وليحدد نظرته للتدين وليحاول الإصلاح والتغيير في نظرته غير المتكاملة؛ كي يستطيع أن يختار التي ستوافقه في مبادئه.

6 – فارق السن

يعزو الكثير من الناس بعض المشاكل إلى فارق السن بينهما، ولعل الحق في ذلك أنما المشاكل بسبب التنافر في الطباع والميولات وعدم التوافق، وإلا فإن الحياة أثبتت نجاح علاقات زوجية كان فارق السن فيها بين الزوجين كبيرًا، بل كبيرًا جدًّا.

لا أحد يستطيع أن يرغم المتأهل للزواج على اختيار زوجته في سن معينة. وحده من يمتلك حق القرار وتحديد إن كان يرغب فيمن تصغره بعدد معين من السنوات، أو أن الأمر لا يهمه في كثير إن عثر على امرأة توافقه لكنها أكبر منه. ولعل في حياة رسولنا صلى الله عليه وسلم الحالتان: فخديجة رضي الله عنها كانت تكبره، وزمعة وزينب بنت خزيمة وأم سلمة رضي الله عنهن وأرضاهن كلهن كن يكبرنه، في حين باقي زوجاته كن يصغرنه بكثير. ولعل في ذلك إشارة إلى أن عامل السن في وجود باقي الصفات المطلوبة غير مؤثر مادام الشريكان ينعمان بالتوافق في الكثير من الأهداف والميولات.

أسئلة قد تعينك على اتخاذ قرارك في حالة ما إذا كانت تكبرك سنًّا:

هل فكرت جيدًا فيما أنت مقبل عليه؟ هل تصورت جيدًا هذا الفارق بينكما؟ ألن تندم بعدها وتتحسر على أنك تسرعت؟ هل هي فعلًا من تريد، أم أن الفراغ العاطفي وفورة الشباب قد أرتك الأشياء على غير حقيقتها؟

- هل أنت مستعد لمواجهة عائلتك بها؟
- هل أنت مستعد لأن تتخلى عنها بسبب الضغوط ورفض المجتمع لفارق السن بين المرأة والرجل؟
- هل ستكون فعلًا سعيدًا معها بعد سنوات قليلة، حينما سيظهر الزمن الفارق جليًّا بينكما؟
- هل ستستطيع ألا تجرح مشاعرها وأن تفتخر بها رغم ذلك، أم أنك عند أول مناسبة ستعيرها بأن إحساسك تجاهها لا يعدو أن يكون إحساس الطفل بأمه؟

فكِّر - يا رعاك الله - وتريث.

7 - تعرف على المرأة قبل أن تتعرف على زوجتك

بعد أن جلست إلى نفسك وتعرفت عليها عن قرب، ووضحت لك معالمها وحددت أهدافك وطموحاتك، وأسست دستور

حياتك المقبلة، وقبل أن تخطو أول خطوة في البحث عن زوجة بالمواصفات التي حددتها، وسألت الله أن يرزقك بها عاجلًا غير آجل، لا بد أن تشد الرحال إلى نفسية المرأة وأعماقها. أنت الآن على مشارف التوقيع على صفقة، ولا بد أن تكون صفقتك رابحة، ومقبل على الارتباط ب» قارورة» كما وصفها نبيها صلى الله عليه وسلم، كائن يختلف عنك تمامًا في كل شيء: في متطلباتها، واحتياجاتها، وطباعها، وزاوية رؤيتها للأشياء. تنتظر منك الكثير تمامًا كما تنتظر أنت، وسعادتها رهينة بك وبتعاملك باعتبارك القوام.

تعرفك على نفسيتها وطباعها سيساعدك كثيرًا- بحول الله- في جعل السعادة ترفرف بينكما.

رؤية في فن الرؤية

قد استخرت واستشرت وفهمت قبل ذلك نفسك وسماتك الشخصية، وحددت أهدافك وقمت بتحرياتك الدقيقة عن المخطوبة وعن أهلها، وقابلت أباها وحدد لك زمنًا للقاء، ثم ها قد جاء اليوم الموعود، يوم اللقاء الشرعي ورؤية من ستكون شريكة حياتك إن قضى الله بذلك. تحث الخطى لحضور اللقاء، وفي رأسك براكين أسئلة تتحين الانفجار.. هل ستعجبني؟ هل هي فعلًا من أريد؟ هل سيوافق طبعها طبعي؟ وهل سنستطيع أن نبني السعادة معًا؟، ويلح عليك سؤال طالما أرقك: وكيف لي أن أعلم كل هذا؟ وكيف لكلامي المقتضب معها في حضور محارمها أن يجيب بدقة على تساؤلاتي؟

استعن بالله، وحدد بدقة مواضيع لاستكشاف شخصيتها، ولا تجعلها أسئلة مباشرة حتى لا يكون الرد مفتعلًا متصنعًا متكلفًا. ولتتذكر أن في هذه المرحلة سيحاول أن يظهر كل واحد منكما في أجمل حلله، وأن يبدو للآخر مقنعًا ولو بالتزيين والتزويق، فكن أنت صادقًا هادئًا غير متوتر، ذكيًّا في إدارة الحوار كي تستخرج

بأقل الكلام أكثر ما يمكن معرفته من شخصيتها وطريقة تفكيرها وأهدافها في الحياة. أدر حوارك لاستكشاف مشاريعها، فإن كانت طالبة حدثها عن الدراسة كي تقيس طموحها ورؤيتها للنجاح.. مجدة، مجتهدة ولها طموحات ممتدة لما بعد الزواج، يعني إنسانة ذات أهداف. قد تشاركها أنت أهدافها تلك، وقد تكون غير مقتنع بأهدافها، غير موافق أن تمتد حياتها الدراسية أو في طلب العلم إلى ما بعد الزواج، فهل ستستطيع إقناعها بالعدول عن فكرتها؟ وهل ستقبل هي أن تفرض عليها ذلك؟ وهل ستسمح لك- حتى- بترشيد طموحاتها؟ أم أن الأَوْلى صرف نظرك عن زوجة ذات طموح.

لا تعتمد على سيطرتك عليها فيما بعد الزواج، فتغض الطرف في هذه الفترة و«تأخذها على قدر عقلها»، حتى إذا ما انتقلت للعيش معك؛ فجَعْتها برفضك رحلتها في الطلب أو العمل. كن واضحًا مع نفسك قبلها، وتذكر أن تلك الصورة التي قد تشكلت عندك عن الزوجة الخاضعة الخانعة التي لا يجب أن يكون لها رأي أمام قراراتك انقرضت أو هي على الأقل في طور الانقراض، وإن كانت طموحاتها تتعارض مع رؤيتك أنت للزواج؛ فلا تستعجل، أو لتتراجع وابحث عن غيرها ممن تلائم ما تريده كي لا تعيش حياتك في صدامات متكررة.

سؤالها عن هواياتها، وإن كانت تحب القراءة، ونوعية قراءتها، والكتب التي قرأتها أو تنوي فعل ذلك.. قد يحدد لك بشكل أو بآخر مستواها الثقافي وتوجهها الفكري.

سؤالك أيضا عن حفظها للقرآن وحضورها لمجالس العلم وعن المشايخ الذين تتابعهم قد يساعدك في تحديد نوعية التزامها، هل هو التزام عقلاني أم سلوكي!، قد تسألها أيضًا عن مدة التزامها وكيف كانت البداية، أو لتكن نقطة الانطلاق حديثك أنت عن بداية التزامك وحيثياتها ومن ثم ترك الفرصة لها لسرد ذكرياتها مع خطوة البداية.

استفسارك بخصوص علاقتها مع والديها وإخوتها و صديقاتها ومحيطها؛ قد يجعلك تكوّن فكرة عن احتياجاتها العاطفية، وكذا في تحديد نمط شخصيتها. بل طريقة ردها واستجابتها للحوار كله قد تعينك على معرفة إن كانت حازمة واثقة من نفسها أم مترددة، متفتحة أم منغلقة، اجتماعية أو انطوائية، روتينية أو مجددة، رومانسية أم عقلانية.

انتهت مدة اللقاء، ورجعت إلى بيتك، استرجعت صورتها وهي تكلمك وتأكدت من أن صورتها المتكاملة من حيث الشكل وطريقة الكلام وأبعاده، و...، و...، و...، قد زاحمت الصورة التي

كنت قد شكلتها قبل اللقاء، بل التي تشكلت عندك من خلال تراكمات التجربة الحياتية عندك. هل ذلك ما تريده حقًّا؟ وهل هي من تطمح إليها زوجة وشريكة حياة؟ وتلك الأشياء التي تختلف عنك فيها، هل هي جوهرية عندك أم تستطيع أن تقدم لأجلها التنازلات؟ تأكدت من أن جُلَّ ما كنت تريد معرفته عنها قد تم، وارتحت لذلك، فاستخر مرة أخرى وتوكل على الله. رأيت في نفسك ترددًا: اطلب لقاءً آخرَ، وحدد قبله أسباب ترددك، وهيئ موضوعات جديدة محددة وأسئلة دقيقة كفيلة برفع اللبس عنك، ومساعدتك على الحسم.. لم ترتح بتاتًا ووجدت أن أهدافكما متباينة ورؤاكما مختلفة، تراجع واختلق لأجل ذلك الأعذار حتى لا تصدمها، ولا تغامر ولا تبنِ حياتك على شك وتردد وعدم ارتياح واقتناع، أو على أنك ستفرض عليها وصايتك بعد أن تصبح في عصمتك.. فإنها شراكة عمر ومشروع حياة سينتج عنه أطفال لا ذنب لهم إن كنت أنت قد أسأت الاختيار، وهي شروط تُستَحَل بها الفروج، إن اشترطت عليك ما لا يلائمك وقبلت مرغمًا فقد أصبح واجبًا في حقك الوفاء.. فالمؤمنون عند شروطهم، وأحق ما يجب الوفاء به من الشروط ما استحل به الزواج.

فارس يجيد فن الحضور..

لمَّا يعجز الفارس عن تشكيل نفسه ولو من طين أو من ثلج في أول لقاء، فلن يشكله بعد ذلك أبدًا أبدًا. فاحرص على أن تكون فارسًا بحق، وأن تختار المادة التي تريدها أن تصنع تمثالك بعد ذلك.

صورتك أمام مخطوبتك وعائلتها، طريقة كلامك، شخصيتك، رزانة منطقك، بعد نظرك، أدبك، تسييرك للحوار من غير تجمل ولا تكلف ولا زيف ولا كذب. فإن لم تستطع أن تحظى بإعجاب واحترام المخطوبة وعائلتها في اللقاءات الأولى؛ فلن تستطيع تشكيل تلك الصورة في أعينهم بعد ذلك، أو على الأقل في عين زوجتك المستقبلية؛ لأن انطباعها عنك في اللقاءات الأولى سيصاحبها طيلة الحياة الزوجية، فإما مفتخرة بك مقتنعة سعيدة بك، وإما مزدرية لك محتقرة لشخصيتك الباهتة ولو بينها وبين نفسها بعد ذلك.

لا تكن سببًا في كسرها!

لا تتقدم لها أبدًا وأنت غير جاهز للزواج، حتى وإن تعلقت بها لأي سبب وبأية طريقة. لا تخبرها ولا تلمح لها ولا تتقدم لها وأنت تعلم أن مشوارك مازال طويلًا، أو أن ظروفك الحالية لا تسمح بأن تفتح بيتًا، وبأنك لن تفي بوعدك. قلوبهن ليست بساتين للتنزه، ولا هن جرذان لتجربة مقدرتك على مواجهة الحياة.

ولتعلم أن منهن العفيفة الحيية التي عاهدت نفسها ألا تنظر إلا إلى حلالها، وبأن تصون قلبها هدية لواحد في الحلال، فإن أنت اقتحمت بابها ثم تسللت خارجًا بسبب ظروفك؛ فإنك قد تفسد عليها حياتها وتنكر عليها قلبها، فتمضي ما شاء الله لها أن تمضي كسيرة أسيرة لطيفك المغادر؛ فقط لأنها لا تتصور أن تكون لزوج آخر وقلبها قد مال لغيره قبله، فتتهم نفسها أن أمنت لك- وإن كانت خطبتك لها علانية وفي النور- وسلمتك عهدها وزار طيفك خيالها ومنامها وطفقت تبني أحلامها بك ولك.

ارفقوا بهن، فإن أغلب ما يكسر فيهن يصعب جبره.

جرعات مسمومة.. احذرها

لا تجعل من مواعظ المقاهي ونصائح وخبرات الاستراحات دستورًا تستقبل به حياتك الزوجية، وقواعد راسخة لا يطالها الخطأ. حياتك الزوجية قوانينها مرنة، وأنت وحدك المسئول عن التخطيط لها وإرساء قواعدها بمعية زوجتك حسب شخصية كل واحد منكما وتربيته وثقافته ومستواه العلمي وغيرها من المعايير. وكل حكم جاهز وخبرة حياتية لغيرك قد يُستأنس بالإيجابي منها على سبيل الاطلاع لا على سبيل التطبيق الحرفي، وإلا فلا تسمم أفكارك بالواردات، ولتبدأ حياتك بما توحيه لك العشرة مع زوجتك، وبما تمليه عليك ظروفك. ولا تلزم نفسك بقاعدة قارة تسير عليها كمبدأ يستحيل الانسلاخ عنه. فلكل موقف ردة الفعل المناسبة له، ولكل مشكل حل خاص. فكثير من الأزواج تكون لديهم من عناصر النجاح، وتتوفر لديهم من مؤهلات السعادة ما لم يتوفر عند غيرهما، لكن يصر أحدهما أو كلاهما على تفعيل الموروث الثقافي والأحكام المغلفة الجاهزة القادمة معه منذ حياة العزوبة ومن الأهل والأصدقاء، والتي ليس لها من وصف سوى

السم الزعاف الذي يحول الحياة جحيمًا.

زوجتك المستقبلية نصفك الآخر، توأم روحك وشريكة حياتك، فلا تجعل بينك وبينها- منذ البداية بل ربما قبل أن تعرف من تكون- أسوارًا وحواجزَ وأبراجًا يصعب تسلقها. لا تجعلها تعيش في الضفة الأخرى للنهر، فيصعب التقاء روحيكما، ولا تجعل تعلقها بك وضعفها الفطري مناسبتك لكسب الرهانات والتحديات، وتطبيق تلك المقولات الجاهزة المستهلكة التي كنت تتعلمها مع كل رشفة قهوة أو جرعة شاي بين كراسي المقاهي المنتشرة كالفطر البري في شوارع المدينة وأزقّتها، من قبيل: «اذبح لها القط يوم عرسها» و«يموت القط من أول يوم.»و«استشرها ولا تأخذ برأيها» و«خذ حقها واتركها تندب حظها»و«خذ حقها ولا تقم بواجبك معها وأشغلها بطلب حقها عن المطالبة بالكماليات» وغيرها من السموم التي تتسرب لشبابنا، فيدخل إلى الحياة الزوجية شاهرًا سلاحه متوجسًا راغبًا في الانتصار في معركة فاشلة محسومة قبلًا، فيمضي حياته كما الدون كيشوت يطارد الأشباح وطواحين الهواء، فلا يجني سوى الخسارة وتنفير زوجته منه، وجعل التعاسة تحل محل سعادة كان من الممكن أن تعشش لولا انسياقه مع التيار.

التردد اللعين.. عدو الفرسان

قد استشرت واستخرت وحددت أهدافك واطلعت على أعماقك، واستفرغت الجهد في وضع معايير اختيارك، لكنك مازلت مزروعًا عند نقطة البداية، تقدم رجلًا وتؤخر أخرى، وكل عواصف الشكوك ورياح الخوف قد عصفت بك.. أهي هي فعلًا من أريد، أم أن اختياري خاطئ؟ وماذا لو اكتشفت بعد الإبحار أنني أخطأت المرافئ؟

إنه التردد اللعين.. والخوف من نتائج القرار، ومن تحمل مسئولية فشله بعد اتخاذه. البعض قد يحكمه في ذلك عدم التمكن من النظر بشكل شمولي لقرار زواجه، وربما عدم اقتناع تام باختياره، أو بنفسه، أو بأحواله المادية والاجتماعية، أو تخوف بسبب تجربة شخصية فاشلة سابقة، أو اطلاعه على تجارب من حوله فأثر ذلك سلبًا على الرؤية بشكل واضح، أو بسبب طبيعته المترددة أو الشكاكة، أو غيرها من الأسباب. ولعل الحل الأمثل في مواجهة التردد؛ قطع الشك باليقين بالتأكد من دراسة الموضوع من كل جوانبه وزواياه، ومحاولة مقاربة القرار بعين خارجية،

بمعنى محاولة الانفصال عن الموضوع ومناقشته وكأنه ليس شخصيًّا. وقبل ذلك حسن التوكل على الله، والشجاعة والإقدام، والعزم على تحمل نتائجه كيفما كانت باعتبار استفراغ الجهد في دراسته، وكذا باعتبار تفويض الأمر والخيرة لله، وتفعيل مقتضيات الاستخارة، فلا تُجعل مجرد طقوس عبادة و تبرك، إنما فوض كل أمرك لله، واصدق في استخارته سبحانه، وفي سؤاله أن يختار لك ما يعلم أنه الخير لك، واجعل قلبك يسجد بين يديه سبحانه يسأله أن يرضيك بما اختاره لك.

فترة الخطوبة
بين الإفراط والتفريط..

قلة قليلة من تستثمر فترة الخطوبة فيما يعود بالإيجاب على ما يستقبل من الحياة الزوجية، فإما غارق في المعصية بسبب التجاوزات في هذه الفترة، أو مفرط في مرحلة انتقالية هي مركز الدائرة وحجرة الأساس إذا ما تم استغلالها واستثمارها، من جهة في مزيد فهم لنفسية الشريكة وميولاتها وطباعها، ومن جهة في فهم ما تنتظره منك الحياة الزوجية من مسئولية وقوامة وإنصاف ورحمة ومودة وتضحية وبذل وعشرة طيبة.

قد أشرنا في نقطة سابقة إلى وجوب التعرف على المرأة قبل التعرف على الشريكة، وجاء الآن وقت قياس مفاهيمك و تصنيف- إن صح التعبير- خطيبتك حسب ما استوعبته من قبل بخصوص سيكولوجية المرأة بصفة عامة. فإن أنت استطعت خلال هذه الفترة فهمها والاقتناع باختلافها عنك جِبِلَّةً، وتوصلت إلى تقييمها من خلال نقطة التباين والاختلاف الفطري، فقد قصرت عليك مشوار الفهم واستوعبت ثلثي الدرس، ويبقى الثلث الأخير للفوارق الشخصية التي ستظهر مع العشرة ومع المصادمة بالأحداث اليومية التي تفترضها الحياة الزوجية ولحكمتك ورصانتك في التعامل معها.

إليكِ

١ - الزواج ليس منفذ إغاثة!

لا يكن اختياركِ الزواج اختيارًا متلبسًا بالاضطرار: إما هروبًا من مواجهة المشاكل العائلية في بيت والديك، أو خوفًا من وصمة العنوسة التي ما يفتأ المجتمع المريض يلصقها بكل من كان قدرها واختيار ربها لها، لحكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه، أن يتأخر عنها الزواج.. لا تدعي سم أفكارهم يتسرب إليك، ولا تتخذي قراراتك تحت وطأة الضغوط، وخذي وقتك في التفكير والتقرير فإنها حياة، وتدشين مملكة، وروح ستضطر إلى الذوبان في أخرى، فلا بد من التمهل في الانتقاء؛ حتى لا يكون ذلك الذوبان سببًا في إزهاقها.

2 - لا تقبلي بالمتاح

ولا توافقي على أول متقدم فقط لتعيشي التجربة وليكون لك كما لهن قصة تروين تفاصيلها لصديقاتك وتباهين بها أخواتك وجاراتك. لا تتنازلي عن ثوابتك وقناعاتك ومبادئك، ولا تتركي غيرك يختار لك ما يجب أن تريدينه. أنت جوهرة ثمينة فلا ترخصيها بالقبول بمن لا يلائمك، ومن لا يختاره لك دينك..

دين وخلق، تلك القاعدة الأساس، ثم زيدي عليها ما تريدين من شكل ومستوًى مادي وثقافي واجتماعي مما يتماشى مع ميولاتك وشخصيتك ونفسيتك، ومما ترين أنه سيغض بصرك وسيملأ قلبك، وسيحقق لك السكن. وما قيل للرجل في معايير الاختيار يقال لك أيضًا، فراجعي - فضلًا- ما سبق الإشارة إليه.

فقط للتنبيه، من حقك أن تحلمي، لكن لا تجعلي أحلامك تتلبس بالمثالية، ولا تستغرقي فيها كثيرًا بعيدًا عن الواقع؛ فتتعبي.

3 - انسي الأحلام وطلقي الأوهام.. لا للمثالية المفرطة

لا شيء يجعل حياتكِ الزوجية تعيسة أكثر من المثالية المفرطة وأحلام اليقظة وحياة الأوهام. تمنين نفسك بالرجل القوام الملتزم الذي جمع بين طلب العلم وتفعيل ما تلقَّاه في الواقع والأخلاق والعاطفة الجياشة والمال. تريدين جنة في الدنيا وتحلمين بألوان الطيف، ويتراءى لك السراب ماء عذبًا رقراقًا. وقد ترضين منه بالقليل والعيش العسير، في مقابل تدينه وطمعك في أن تعيشي برفقته حياة شبيهة بتلك التي كان يعيشها السلف، ولربما سولت لك نفسك أن تكوني له فاطمة كي يكون لك عليًّا، فلا هو بعلي ولا أنت بأنت، ولا أنت بفاطمة (رضي الله عنهما).

أخيَّتي، لا تنتظري صاحب علم غزير وعملٍ بما عَلِم وفير، فكم من أولئك الذين ظنناهم أخلاقًا تمشي على الأرض ومجلدات فقه تتجول بيننا، فلم يكن لهم من العلم إلا ما يحفظونه من متون، وما يتباهون به من عدد القراءات والإجازات والقرب من بلاط الشيخ فلان أو علان، ولربما كان هو البلاط وهو فلانٌ أو علانٌ؛ ممن جمعوا الشباب حولهم بكلمة آسرة ومماراة حاذقة ولسان مفوَّه يستر ما بالباطن من تقصير وعيوب.

أخيَّتي، ماذا نفعك أن يكون خاتمًا لكتاب الله، مُجازًا في القراءات العشر، حافظًا لمتون الفقه وأصوله، عالمًا بتفاصيل الأحكام ومناطها، والخلاف والاستنباط واستقراء الأدلة و.. و.. و.. و..، وهو (إن أكل لفّ، وإن شرب اشتفّ، وإن اضطجع التفّ، ولا يولج الكفّ ليعلم البثّ)!

فيم نفعك علمه وهو لا يحسن معاملة أنثى، ولا يفقه استقراء أحوالها وتفاصيل أحلامها؟

فيم نفعك، وهو أمس ما يكون حاجة لنفع نفسه وتفعيل ما يقول والصدق مع نفسه قبل غيره في أداء زكاة العلم؟

أخيَّتي، انسي الأحلام وطلقي الأوهام، وارضي منه بما به تستقيم الحياة ولا يقدح في ديانته، ومعهما ارتياح نفسي حتى تحققا معاني السكينة والمودة وما لأجله قد شُرع الزواج، ولا

ترفعي سقف تطلعاتك إلى السماء فتنسي موضع قدميك، فإن الحياة الزوجية تبغي واقعية لا مثالية، وعملًا لا تنظيرًا.

4 - لا خير فيمن لا يختارك

قد استخرت واستشرت وطرت فرحًا بالخاطب الجديد، فكل ما فيه يثبت لك أنه الفارس الذي كنت تنتظرينه.. وطفقت ترتبين في ذهنك مراسيم الفرح وأركان بيتك الجديد، فإذا بالذي كان سيعمر عشك وشغاف قلبك قد أذعن إلى قرار أمه.. ألَّا زواج من غير بنات العائلة، وأن في بنات خالاته غنى عن تلك القادمة من أسرة لا رائحة للقرابة في دمها. لا تحزني، فأنت إما تعينين الآن مؤمنًا على طاعة من أُمر أن يحسن لها الصحبة فكان استسلامه وإذعانه لقرارها- بعد استفراغ الجهد في إقناعها- متلبسًا بالاضطرار، وإما أنه لم يكلف نفسه عناء المحاولة، ومن لا يحسن الدفاع عنك وعن حياته واختياره فلا يستحق منك أن تشاركيه فرحه وحزنه وذريته، وأن تسقط شيباتك وأسنانك تحسنين له التبعل. واعلمي أن الذي استخرته سبحانه وسألته أن يختار لك قد أحسن لك الاختيار، فلترضي بقضائه ولتطيبي به نفسًا.

يا صديقتي،

دعيني أهمس في أذنيك:

ما لا تستطيعين الحصول عليه.. تخلصي منه

5 - تعرفي على «الرجل» قبل أن تتعرفي على زوجك

بعد أن جلست إلى نفسك وتعرفت عليها عن قرب، ووضحت لك معالمها وحددت أهدافك وطموحاتك، وأسست دستور حياتك المقبلة، وقبل أن تحدثي نفسك بقبول أو رفض المتقدم، لا بد أن تشدي الرحال إلى نفسية الرجل وسبر أغوارها من خلال الكتب والمواقع المختصة في المجال، فالخالق البارئ الذي خلق الذكر والأنثى، وجعل سعيهما شتى، قد أفرد كل واحد منهما بصفات مغايرة لنظيره، وحَبَا كلًّا منهما ميزات بها يحصل التوازن والتكافؤ وتستمر الحياة وتتحقق السكينة والمودة والرحمة التي هي أساس العلاقة الزوجية ومناطها. أنت الآن على مشارف التوقيع على صفقة، ولا بد أن تكون صفقتك رابحة، ومقبلة على الارتباط بـ« قوام» كما وصفه ربه عز وجل.. كائن يختلف عنك تمامًا في كل شيء: في متطلباته واحتياجاته، وطباعه، وزاوية رؤيته للأشياء.. ينتظر منك الكثير تمامًا كما تنتظرين أنت، وسعادته رهينة بك وبتعاملك. تعرفك على نفسيته وطباعه سيساعدك كثيرًا بحول الله على استيعاب الاختلاف بينكما، ومن ثم جعل السعادة ترفرف بينكما.

6 - أنوثتك.. تعلَّميها

لاشك أن الأنوثة شيء فطري، لكن جزءًا منها يكتسب، وهي الصفة التي جعلها الله في بنات حواء كي تحقق السكن لزوجها والرضا عن نفسها.. وحيث الأمر يطول شرحه؛ فقد أفردت له بابًا مستقلًا في الكتاب.

تنبيه: **ما قيل له عن معايير الاختيار يُخاطبكِ أيضًا، فراجعي- فضلًا- باقي العناصر؛ فلعلها تفيدك في تكوين نظرتك.**

بوصلة نحو مرافئ الأمان

«هي» و «هو» تحت المجهر

علَّ الرؤية عن قرب تقرب المسافات

إن جهلنا بطبيعة الآخر وباحتياجاته، وعدم علمنا بما يجب علينا فعله من أجل تحسين أدائنا كأزواج، يجعل الوصول إلى مرافئ الأمان صعبًا، بل يكاد يكون مستحيلًا.

نحن في حاجة إلى الكثير من الوعي والكثير من الإنصاف، والكثير الكثير من الرقي، ومن الذكاء ومن الاقتراب من الآخر؛ كي نفهم طبيعته التي تختلف جبلة عن طبيعتنا، وبالتالي معرفة الأسلوب المناسب في الوقت المناسب.

هي و# هو

❊ «هي» تختصر الزمان بالكلام.. «هو» يطيله بالصمت.

❊ «هي» تنشد الأمان.. هو ينشد الحرية.

❊ «هي» تحب التعاطف.. «هو» يجهز الحلول.

❊ «هي» تحتاج إلى أن ينصت لها.. «هو» يحتاج أن تفهمه.

❊ «هي» تعشق المعاني.. «هو» يفضل المحسوسات.

* «هي» تثرثر كي تبحث عن نفسها وعن الحلول.. «هو» يتقوقع كي يخرج بعدها أكثر إشراقًا.

* «هي» الكلام وسيلتها كي تغير مشاعرها.. «هو» الكهف مكانه الآمن كي يهدأ.

* «هي» قلمها الأحمر لا يفتأ يصحح سلوكه.. «هو» قلمه الأحمر لا يتعب من تصحيح مشاعرها.

* «هي» تحتاج منه إلى الدعم والاحتواء والحنان وإشعارها بالأمان حينما تكون مستنزفة، مثقلة بالأوجاع وبالأحمال، متوجسة من عدم الأمان.. «هو» يحتاج منها- حينما يكون متجاوزًا بأعبائه- إلى أن تبتعد عنه قليلًا، وأن تمنحه مساحة حرية كي يسترد أنفاسه وقوته ومزاجه.

* «هي» تحتاج إلى أن يشبع أنوثتها بالمدح والإطراء.. «هو» يحتاج إلى أن تمنحه الثقة والتقدير والتشجيع.

* «هي» تحتاج منه إلى أن يحترمها وأن يحترم شخصيتها وأنوثتها وطريقة رؤيتها للحياة.. «هو» يحتاج إلى أن تقدر مجهوداته في إسعادها وفي احترام كيانها[1].

---

(1) في مسألة الاحترام مقابل التقدير.. الأمر تفاعلي انعكاسي تبادلي، هي تتحدث عن مشاعرها وعن آمالها وآلامها، وفي المقابل هو يحترمها ويحترم طريقة تحليلها للأمور حولها، فإن كان منه الاحترام كان منها التقدير له ولموقفه معها.. اعترافها بمجهوده كي ينصت إليها ويتفهمها ويحتويها تقدير له، وتقديرها له دافع لكي يحترمها أكثر.. الأمر تبادلي محض

* «هي» تحتاج منه إلى الوفاء وإلى إشعارها بالأمان.. «هو» ينشيه إعجابها به.

* «هي» تغرق في التفاصيل الصغيرة.. «هو» يحب الاقتضاب والاختصار.

* «هي» تحتاج إلى أن تتكلم كي تفكر.. «هو» يحتاج إلى أن يفكر كي يتكلم.

* «هي» لا تنتظر منك أن تحلب لها السحاب ولا أن تقتل لأجلها تنين القلعة الشرير، ولا أن ترصعها ألماسًا وياقوتًا وزمردًا.. أقل مجهود منك لإسعادها يكفيها.. أشياء صغيرة لا تلقي لها أنت بالًا، لكنها تعني لها الشيء الكثير.

* «هو» لا ينتظر منك دواوين ثناء ولا قصائد ولاء، كلمة شكر وبسمة رضا منك عما يقدمه لك تكفيه وتشحذ همته كي يبادل رضاك بإرضائك.

* «هي» تحب أن تكون واثقًا من اختياراتك ومما تفعله.. يعجبها أن تشركها في اختيار بعض الأشياء، ويعجبها أكثر أن تقرر أنت في غيرها دون أن تضع ذلك الحمل على عاتقها.

* «هو» يحب أن تكوني بقدر من الذكاء والنباهة كي تلاحظي أنه يبذل جهدًا لأجل إسعادك.. ويحب المرأة التي تبارك قراراته

واختياراته ولا تعكر صفو الأجواء إن تبين أن ذلك القرار أو ذلك الاختيار كان خاطئًا.. الأمر قبل كل شيء أقدار، فلتكفي عن انتقاده وزرع غابات من الـ«لو» التي لا تغير من الواقع شيئًا.

الرحلة الثانية

عواصف ومنارات.. على مسار الإبحار

(وبين «قد أموت من دونه (ها)» و «في غيابه(ها) عدت إلى الحياة»..

لا أحد يستطيع أن يحدد بالضبط ما الذي وقع ولا كيف وقع.

لكن، كل ما نحن واثقون منه، أنه- فعلًا- قد حصل زلزال أو بركان أو طوفان.. أو نيزك عملاق قد سقط من أعالي السماء؛ ليغير من الجذور وإلى الأبد مجريات الأسطورة..)

توطئة

بين أدعياء التحرر وأدعياء التدين؛ تضيع العلاقة الزوجية في سوء الفهم والنيات، وتستسلم للإخفاق والتسمم والتسرطن إلى أن يستفحل المرض وينتشر، فلا البتر حينها وسيلة شفاء!، ولا الاستمرار يمنع السم من أن يستشري.

بعض نصائحهم للأزواج كالمراهم للندوب العميقة، وما تجدي معها وقد استفحل الجرح وغار ووصل مرحلة التعفن؟

الجروح العميقة لا تحتاج إلى مراهم سطحية، بل إلى علاج مكثف متضافر بين مضادات حيوية ومضادات للعفن ومسكنات للألم ومزيلات لأثر الندب بعد الالتئام.

من تلك النصائح التي صيروها قاعدة وحكمًا: قاعدة: اصبري، «طنشي»، تجاوزي...

تشكو من جفائه: أنت امرأة فاصبري.

تشكو من وحدتها في غيابه الدائم حاضرًا بالمنزل أو بالخارج: هو رجل، ومن حقه أن يعيش كما يريد، والمرأة الذكية هي التي تعرف كيف تجره لعالمها.

تشكو غضبه الدائم وعصبيته الزائدة ومن سلاطة لسانه: تجاوزي عنه واحتويه. هو شحيح بماله وعواطفه: الصبر والزهد فإنما هي دنيا فانية.

يفضل متابعة الكرة على الحديث إليّ: حاولي أن تشاركيه هوايته، أحبي الكرة لأجله.

يمنعني من زيارة أهلي: في ذلك خير، أصلًا تجمعات النساء لا تخلو من مخالفات.

لا يقدر جهدي ولا يشكرني: عملك لله لا تنتظري منه جزاءً ولا شكورًا.

يسيء عشرتي: المرأة الصالحة تصبر وتحتسب الأجر عند الله.

تصرخ معاتبة لأنه أراد الزواج بثانية بعد أن أحست بأن حبه لها مهدد، وبأنه قد تخلى عن الوفاء لها: أنت تخالفين شرع الله وتعترضين على قدره.. ونعتك إياه بأنه خان عهدك والوفاء لك جرأة على أمر الله.

فهل هذه النصائح- لو افترضنا جدلًا أنها صائبة- قاعدة مطردة ثابتة النتائج في كل الأحوال وعند كل الأزواج، أو وصفة سحرية مضمونة المفعول؟ وهل هذا هو المراد بالصبر!؟

نحتاج فعلًا إلى الصبر، بل نحن مطالبون به، لكن الصبر الإيجابي الخلاق، لا ذاك الموصل إلى الخنوع والاستكانة والسلبية المميتة.

فأي نوع ذاك من الرجال الذي يرضى أن يعيش مع صنم لا تحركه غيرة، ولا مشاعر، ولا ألم!؟ وهل المرأة إلا كتلة مشاعر متحركة؟

أي رجل ذاك الذي يستهويه العيش في مبعد عن التفاعل والمشاركة الوجدانية؟

ثم هذا الصبر الذي هن مطالبات به، هو حالة قلبية، وللجوارح حقها في العمل. الصبر قبول لما يقع من غير تسخط، ولا يعني الرضا بالظلم والمهانة وسوء العشرة.أليس لنا في قصة خولة

بنت مالك نموذجًا للمرأة المطالبة بحقها وحق بنيها المدافعة عن مصلحتها!، فلم يأمرها النبي صلى الله عليه وسلم بعدم الشكوى، وأنزل الله فيها سورة كاملة؟

أليس لنا مثل في قصة هند زوجة أبي سفيان التي جاءت تشكو شح زوجها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يأمرها بالصبر على حال زوجها، فبقاؤها معه على ما هو عليه في حد ذاته صبر وقبول، إنما أرشدها إلى حل عملي تنصف به نفسها وأبناءها، ولا تظلمه هو به؟

البحث عن الحلول لا ينافي الصبر، والإيجابية مطلب في الحياة الزوجية، فلا تسمموا حياتها بدعوتها الدائمة إما إلى التمرد وفرط سلاسل الطاعة وتعدي حدود الله بدعوى الدفاع عن حقها، أو إلى الصمت وعدم المبالاة و«التطنيش» والاكتفاء بمتابعة المشهد من مدرجات عالية دون الخوض في مجريات الأحداث من أجل الإصلاح الجذري.

كم نحن في حاجة لفهم وتفعيل الصبر.. لكن الصبر الإيجابي الباعث على التغيير والإصلاح. الخرس الزوجي موت بطيء، وهدم متأن لروابط العلاقة الزوجية، والشغب واللوم والعتاب حياة.

نعم للصبر وحسن الخلق والاحتواء والتفهم والمشاركة الوجدانية.

نعم لمشاركة طرح المشاكل والتعاون في بحث حلها.

لا للعزلة والتشرنق والحياة الأحادية القطب.

لا للخنوع والاستكانة والسلبية التي لا تصنع الحلول.

لا للمثالية المفرطة وإغماض العينين عن العيوب بدعوى المحبة، حتى إذا ما كثرت التراكمات وأصبح الانفجار وشيكًا إثر ضغوطات الحياة؛ ندبتما حظكما واتهمتما منكما الفؤاد وقبله العينين.

نعم للواقعية ولاستيعاب السلبيات ولوزنها بميزانها الصحيح، ولرؤيتها بكل ما من شأنه أن يكبر الصورة: بالنظارتين وبالمكبر وبالمجهر، لا لإعطائها أكثر من حجمها أو لمتابعة النقائص ورصد الهفوات، إنما لأجل رؤية واضحة حتى يتسنى لكما مباحثة الحلول.

خواطر وتأملات
ومضات والتماعات
نصائح وتوجيهات

إليكَ – إليكِ – إليكما

#إليكِ

«هو» ذرَّات متناثرة.. مشتتة.. وروحك المغناطيس الذي يجمعها.. يلملمها.. يرتبها، فتعيدين تشكيلها كما تريدين أنت.

روحك.. تلك الساحرة اللطيفة، كوني دومًا بالقرب منها، وعلميها كيف تتقن استخدام المغناطيس.

إليكَ

«هي» حلم جميل.. عبق.. شذى.. نسمة راحلة نازحة.. دائمة السفر والهجرة.. وكل العوالم قابلة عندها لأن تصير نقطة بحث وتنقيب وتفتيش.

احزم حقائبك، ولمع بوصلاتك، وتزود.. ثمة عوالم تنتظر منك سبر أغوارها.

إليكما

رواية الحياة لا تقبل سوى المَهرة المحنكين.. لا مكان عندها لمن يرومون تسطيرها على الهامش، أو من يختارون أن يكونوا أبطالًا.. لكن خارج سطور الرواية.

إليكِ

تعلمي أن تنتقلي من توصيف الألم إلى توصيف المشكل.. وضعك يدك على موطن الداء بداية لإيجاد الدواء.

الإدراك يا سيدتي أول خطوة للتدارك.

إليكَ

تحليلك وتفسيرك وبحثك الدائم عن الحلول يبصم في طريقة تفكيرها وتعاملها مع المشاكل.. لا تلم من فطرها الله على «في الخصام غير مبين»، ولا تعتمد دومًا على مبادراتها ولا تتكئ على حلولها، وجودك في حياتها لتحمل عنها، لا لتحملها كي ترتاح أنت.

إليكما

أكثر ما تحتاجان إليه تجاه المشاكل التي تصادفكما؛ التدرب القبلي على التفكير والتحليل والوعي بتصنيف المشاكل وتفكيكها وإفرادها.

الكثير من الإخفاقات سببها التشابك والتداخل فيما بين المشكلات والعجز عن الترتيب والتصنيف.. وعن توصيفها والصدح بما يؤلم منها.

إليكَ

« إذا لم يكن في حوزتك غير مطرقة فستتعامل معها على أنها مسمار..»

قالت لي يومًا وهي تعتصر ألمًا: «كل تلك الأشياء الجميلة التي أتفنن في صنعها لا يراها.. لا يرى إلا ما لم أتمكن من فعله..»

إليكِ

تلك الأشياء التي يركز عليها في لومه وعتابه، اجرديها وحددي سبب فشلك في تحقيقها.. وجاهدي واجتهدي في إخراجها في أجمل حلة..

«بقدر ما تركزين مجهودك في موضوع ما ؛تحققين النجاح فيه..»

إليكما

أكبر عائق في وجه الإصلاح والنهوض بالعلاقة الزوجية وإنقاذها من براثن الرتابة والخرس والموت البطيء؛ إشعار النفس بالعجز، والتقاعس عن البحث المتواصل للتغيير، والقبول بالمتاح.. وفقط بالمتاح.

إليكِ

قد تنكسر الأنثى بداخلك لا ليخفت وهجها، ولكن لترصع هامتك الحكمة.. فاجعلي من الانكسار لحظة انتصار.

إليكَ

فقط.. أن تستشعر وجودها في البيت.. أن تشركها أفراحك وأتراحك وما لأجله قد طار النوم من مقلتيك.

قد مكنتها إذًا من الفوز بجنة في الدنيا.

إليكما

فارق السن لم يكن يومًا حاجزًا دون السعادة، لكن في غياب باقي المقومات قد يكون كذلك.

إليكِ

طفولة قلبك سيدتي لا تعني الميوعة ولا السذاجة ولا الرعونة.. طفولة القلب براءة قبل كل شيء، وسماحة نفس، وتصرف على السجية المنضبطة، وبعد عن التكلف المقيت، وعفوية متزنة؛ لا تلك التي تشي بوقاحة وتطاول.

إليكَ

الرجل إن لم يكن مثقفًا فإنه سيرى في المثقفة عبئًا على راحة عقله الخامل.. تستفزه لاستعماله فيستفزها بتحطيمها.

إن لم يكن مثقفًا يحب الثقافة وأهلها، فليفر من المثقفة فراره من صقيع يناير.

ارحم نفسك، وارحمها يا صاحب العقل النائم، وارض بمن تشاطرك خمول فكرك.

#إليكَ

(مررْنا بأبي ذرٍّ بالرَّبذةِ، وعليه بُردٌ وعلى غلامِه مثلُه، فقلنا يا أبا ذرٍّ! لو جمعتَ بينهما كانت حُلَّةً. فقال: إنه كان بيني وبين الرجلِ من إخوتي كلامٌ. وكانت أمُّه أعجميةً. فعيَّرتُه بأمِّه. فشكاني إلى النبيِّ ﷺ. فلقيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. فقال: يا أبا ذرٍّ، إنك امرؤٌ فيك جاهليةٌ). قلتُ: يا رسولَ اللهِ، من سبَّ الرجالَ سبُّوا أباه وأمَّه. قال (يا أبا ذرٍّ، إنك امرؤٌ فيك جاهليةٌ. هم إخوانُكم. جعلهم اللهُ تحت أيديكم. فأَطعِموهم مما تأكلون. وأَلبِسوهم مما تلبسون. ولا تُكلِّفوهم ما يغلبُهم. فإن كلَّفتُموهم فأعِينوهم) (متفق عليه)

فيا أيها الأزواج،

أستميحكم عذرًا في استفساركم- وما أنا سوى سفيرة النساء

إليكم- ويا ليتني ألقى جوابًا شافيًا لأسئلة عنيدة تأبى إلا أن تتناثر صرخات مدوية يائسة من أفواه نساء ما تزوجن من كفار ولا من أجانب، ولكن من إخوانهن في الدين، ولربما اجتمع لهن فيهم إلى جانب آصرة العقيدة؛ ميثاق قرابة أو قبلية أو جيرة. ولربما تزوجن ممن تصدروا للدعوة وللنقل عن دين الله، لكن بيوتهن خلت من الرحمة ومن المودة، ومما منه تستقيم الحياة.

يا أيها الرجال، هذا ما للخادم، حقه الذي أوصى به نبينا العدنان عليه أفضل الصلاة والسلام، فأخبروني- فضلًا- إن كان حق زوجاتكم قد زاد عن حقه وفاض، أم حتى حقها في الكسوة وفي اللقمة قد أغمطتموها فيه؟

وإن كان حقها قد زاد، فأخبروني- فضلًا-، هل هي رغبة في إسعادها ومسارعة في إرضائها؟، وهل زاد بما تريده هي وما يحقق سكنها ويساعدها على تحقيق عبوديتها ودورها في الحياة وأداء رسالتها على أفضل الوجوه، أم هو إعفاء لأنفسكم من وخزة الضمير، وبأنكم على كل حال غير مقصرين؟

إليكما

هي أشياء إذا انكسرت فلا شيء يلملم شظاياها.. وحتى وإن لملمت فستبقى الشقوق دليلًا على الكسر.

احرصوا على الرقي وعلى كل جميل فيها.. فإن كل حركة وكل سكنة مسئولة عن استمرار وهجها أو عن موت الحياة والبهجة فيها.

إليكِ

علميه كيف يهتم بك.. قد لا يحسن فعل ذلك وحده.. ولا تقبعي بزاوية حزن تنتظرين أن يفهم لنفسه.. الحزن سيدتي بؤرة جاذبية، لا يشبع نهمها سوى اجتذاب مزيد أحزان.. تحركي صوب هدفك[1]. ولا ترجعي إلا وقد حصلت على الغنائم.

إليكَ

لا تتحرج أن تكون تلميذًا في مدرستها، تتعلم بين يديها أبجديات الحياة بنظارتها وفلسفتها الأنثوية.. لا تستنكف عن فهم نفسيتها، ولا تستكبر عن معرفة ما تريده منك بالتحديد.. أحيانًا كثيرة لا يكون العيب فقط أنها لم تحسن إفهامك، إنما العيب في أنك من لا تريد أن تكلف نفسك عناء الفهم.

---

(1) الرجل عادة يعطي بشكل أقل ويظن أن ما يعطيه كاف كي تكون المرأة سعيدة أو على الأقل غير منزعجة.. والواقع أن عطاءه مقارنة مع آمالها لا يصل إلى الدرجة التي تجعلها مكتفية راضية.. فإن هي انتظرت أن يفهم لنفسه بأن ما يعطيه غير كاف، أمضت حياتها في قاعة الانتظار.. لذلك عليها أن تشجعه على الدوام أن يعطي بأن تطالب بذكاء بما تريده. عليها ألا تعوده على عدم العطاء مدة طويلة، ثم بعدها تقوم منتفضة تعلن الثورات.

عالمها جميل رقيق مليء بالمفاجآت.. واقترابك من مساحتها الشخصية، بل اقتحامك خصوصيتها ليس أبدًا تطفلًا.. إنه البحث الحقيقي عن السعادة والإسعاد.

تراك تفعل ذلك منتشيا مع طفلك الصغير.. تسافر إلى عالمه، وتذوب في فلسفته البريئة، وتغمرك السعادة وأنت تكتشف كل مرة جزءًا من عالمه الفريد.. وتعترف أن له بحق كونًا صغيرًا يستحق سبر أغواره.

لعلها أولى وأحق بذلك الاهتمام.. وبنفس النشوة والفخر وأكثر.

إليكما

انظرا كم من حق لله تضيعانه، وأنتما تقيمان على صراعكما المستديم.

«الغلبة للأقوى» هذا في قانون الغاب، أما في دين الله فالغلبة- وإن ظهر الأمر على أنه ضعف واستسلام- لمن يقيم حدود الله.. ولمن يقيم عليها.

أوقفا حربكما الضروس قليلًا، وانعما بهدنة تسترجعان فيها الأنفاس بعد لهث خانق.. وانظرا ما لكما وما عليكما.. هي حقوق لله قبل أن تكون حقوقكما.

وإنما هي رحلة فانية.. والمحظوظ من سافر مخففًا لا له ولا عليه.

إليكِ

أيتها الزوجة، بادري إلى عقد صلح مستعجل مع:

- ملابسك وأناقتك

- أدوات زينتك

- الحمية

- وقت خاص لنفسك ولراحتك ولممارسة مواهبك ولقراءتك بما فيها قرآنك وكتب الفقه وكتب التربية وعلم النفس التي قد تساعدك في تربية أبنائك والتعامل مع الزوج وأهله ومع الأطفال في كل المراحل العمرية (وغيرها)

- تنظيم وقتك بتعودك على كتابة قائمة لكل أعمالك: اجعليها قائمة على المدى البعيد تدونين فيها أهدافك الكبرى وأخرى أسبوعية تحددين فيها أعمال الأسبوع تصنفينها حسب أهميتها، وأخرى يومية حتى يتسنى لك بحول الله تحقيق أهدافك.

- النظام داخل بيتك كي تعفي نفسك من الإرهاق وذلك بترتيب الأولويات والمستعجلات، وعدم ترك الأشغال المنزلية تتراكم عليك.

- التجديد والتغيير في كل شيء، وطرد الروتين.

إليكَ

قد تعذر إن لم تكن شاعرًا، تنمق الكلام وتختار اللوحات الفنية والصور البلاغية، وتوشيها بإحساسك المرهف لتهديها لزوجتك، فإنما الشاعرية والبلاغة موهبة ربانية لا تلام إن لم تكن من رزقك، وقد تعذر إن لم تكن عاطفيًّا يخفق قلبك لمعاني الحب الجميل، وتهيم في حب زوجتك وتتيه، فإنما القلوب بيد الله هو خالقها ورازقها، ومقلب خفقاتها، ومعطيها معاني الحب أو مانعها، لكن هل لك من عذر في معاني الرحمة والكلمة الطيبة والإحسان والحنان؟

أيها الزوج، إن كنت لا تحسن التعبير ولا يستهويك تنميق الكلام تطييبًا لخاطر زوجتك، فعلى الأقل كف لسانك عن أذاها، ولا تجمع عليها كربتين: كربة الجفاء والجفاف، وكربة الأذى والتطاول.

إليكَ

شر الرجال، وأكثرهم رعونة وسفاهة، من يستغل في زوجته خوفها من تعدي حدود الله، فيلزمها بكل ما لا يلزمها بدعوى سخطه الذي يسخط الله عليها.

ويفعل أيضًا مع أبنائه، يخيرهم بين «السخط والرضا» حتى في لقمة الخبز إذا ما عافوها.. ويهددهم بالعقوق حتى بسبب عطسة أو تثاؤب.

إليكَ

«هي» مغامرة، سر عنيد.. وأسوأ ما يمكن أن يصدر منك، أن تتوقف عن كشف أسرارها..

إليكِ

«هو» طفل،لا يحتاج منك أكثر من أن تهتمي بتفاصيله الصغيرة.

إليكما

أنتَ طفل وأنتِ طفلة.. وكلاكما يحتاج إلى المودة والاحتواء.

إليكما

لا تحسن أن تكون أنثى إلا من تحسن أن تكون ضعيفة، لا مستضعفة مهزومة مكسورة، دائمة الشكوى والفزع مهزوزة الشخصية تحسب كل صيحة عليها، وهي تحسب أن ذلك من الضعف المحبب.

ولا يحسن أن يفهم ذلك الضعف الجميل فيها.. إلا رجل مكتمل الرجولة.

إليكَ

حذار من ثورتها.. فتلك التي شيدت يومًا ملاذها خلف ضلوعك تحتمي بها، وأنشأت مملكتها بها، هي نفسها من قد

تكسرها شر تكسير.. واتق صحوها بعد طول سبات، فإنها كما الفتنة، نائمة وملعون من يوقظها.. واحذر جبلتها «التذَكُّرية »، وذاكرتها «الفيلية» فإنها لا تنسى دقائق ما تصنعه معها.. ولا تتكل دومًا على صفحها وعلى تجاوزها.. وكن على وجل، فإنك لا تدري متى تنفجر؟، وأيها القشة التي تقصم ظهر بعيرها، ولا النقطة التي تفيض كأسها.

إليكِ

لا تتركي الأحداث حولك تمتص رحيقك وتطفئ بريقك وتوهن قواك وتجعلك بعد الوهج شبحًا وظلًّا.. لا تنصهري مع الأحداث، ولا تذوبي مع الأحزان وتنسي نفسك بين براثن الهم الثقيل.. تعلمي أن تتعاملي مع ما(ومن) حولك بمبدأ التصفيات، فلا تتركي المشاكل تتراكم وتتشعب فيصعب عليك بعدها لَمُّ شعثها؛ فتصهرك المحاولات المتكررة أو تستسلمي بسبب خروج ذلك عن حدود طاقتك.

كوني كنبتة «الكاكتيس»، كلما سقط منها جزء في الأصيص قربها، أشطأ طلع بهيج مفعم بالحياة.

إليكِ

كوني صنمًا يا سيدتي..

كوني جدارًا أو كرسيًّا أو مشجبًا.. ولترمي بأنوثتك وعواطفك وأحاسيسك ورغباتك في أقرب موقد نار.

لا تغاري عليه؛ لأن الغيرة في قواميسه ضعف شخصية منك، واتهام له بالخيانة.. لا تنتظري منه الأمان، ولا تطلبي منه الوفاء؛ لأنه رجل «حر» يحب ألا تجثم امرأة على أنفاسه، وألا تلزمه بالمسئوليات.. لا تطالبيه أن يحدثك، وأن يهتم بآلامك وآمالك، بل كوني هنا فقط كي تكتمل صورته أمام الناس، رجل متزوج وله بيت وعيال.. أنت هنا يا سيدتي- فليتسع صدرك لهذه الحقيقة الكونية- تمامًا كقطعة الأثاث التي تضعينها فوق الجدار الفاصل بين البهوين.. بل هي أثمن منك وأغلى ويخشى عليها الانكسار فقد بذل فيها من بنات جيبه..

غيري كل قناعاتك وادفني كل طموحاتك، واعتنقي الصمت في صمت، دعيه يعيش بالطول وبالعرض في عالمه الخاص، واقبعي في زاويتك تنتظرين ما يجود عليك به من فتات؛ لأنك إن طالبته بشيء سيضجر وسيمل وسيشعر بخناق يكبل حريته، وهو يا سيدتي رجل حر يعشق الفضاء الرحب حد الجنون.. متعيه بأن

تتركيه يمارس عليك ساديته وذكوريته.. واستمتعي بتعذيبه لك، وبتطبيق دساتير »الكو بوي« على قبائل «الأوباش».

لا تكلميه حتى يأذن لك إن أذن.. ولا تحزني عليه إن حزن، ولا تسأليه عن سبب ضيقه أو مرضه أو وجومه؛ لأنك إن سألته فقد اقترفت الذنب المخرج من رحمته وتدخلت في أسرار أمن الدولة وعرضت نفسك بذلك للسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة.. عقوبة جديدة تضاف إلى عقوباتك السابقة.

ولأنه يا سيدتي قوي الشخصية، فما عليك إلا أن تذيبي شخصيتك أمامه.. أو فلتذوبي أنت أيضًا.

وإن أردت مني خالص نصيحة، ابقي ببيت أهلك عزيزة مكرمة تضفرين جدائل الشيب وتتحسسين تجاعيد خديك، وتبتسمين أنك مازلت أنت ومازالت أنوثتك تخصك.. أو فلتبحثي عن «الضعيف المهزوم عديم الشخصية» إن كان ما سبق هو القوة، ذاك الذي سيطبق فيك شرع الله، لا شرعته الخاصة، وهو من سيهتم لحالك ويجعلك تتفتحين كجورية إذ مسها الطل.. وهو الذي سيؤنسك إذا استوحشت، ويحمل همك إذا حزنت، ويستقطع من روحه كي يداعب منك الروح.

إليكما

كون الشريك ينزلق في معصية ما، لا يعطيك أحقية الاستكبار والتعالي عليه وتنزيه النفس في مقابلة انحرافه، أو تحويل البيت إلى محكمة كي تنفذ(ي) أحكامك فيه.. المعصية ضعف، ومن منا ليس بعاص؟

ليس منا من له حصانة ولا حق على الله مفروض أن يعصمه من الزلل.

إن هو إلا مدده وتوفيقه وهدايته ومنعه سبحانه.

فليكن منك الرفق والرحمة والاحتواء أثناء التنبيه والنصح.. فليس مثل الرحمة في مقابلة إساءة المذنبين، وليس مثل عذرهم والرأفة بحالهم والحرص على رجوعهم لربهم أكثر من تقريعهم، ومساعدتهم في الأوبة، فإن المذنب شارد تائه، والشارد يحتاج لمن يخرجه من المفازة ويشعل له المنارة ويوقد له شموع العودة، لا من يزيده بتأنيبه وتقريعه وتوبيخه تشتتًا وصدارة في شعب التيه.

إليكِ

«آسفة» و«أعتذر»، كلمتان فعلًا جميلتان معبرتان تفصحان عن سموك وعن نقائك وعن تواضعك واعترافك وعدم استكبارك عن الحق.. لكن لا تستمرئي اللعبة فتجعلي لكل زلة لك عنها أعذارًا وأعذارًا.. شعارك في ذلك: «خذوهم على قدر عقولهم»

إليكَ

أنت تعلم أن ما هي سوى كلمة واحدة تنهي بها حالة الاستنفار، وتكسر بها حاجز الصمت، وترجع الدفق للمياه الراكدة والدفء للبيت الغارق في صقيع الوحشة والنفور.

تعلم يقينًا أن كل الحكاية كلمة منك.. لكنك تصر على الصمت ويمنعك كبرك وعجرفتك من الاقتحام.

وكأن الصمت في دساتيرك بند عقوبة ودرس تربية.

إليكما

فرق بين الاعتذار.. وبين تطييب الخاطر.

إليكما

السعادة في الحياة الزوجية لا تستقي كنهها بحال من الاتكالية وانتظار ما يجود به الآخر، إنما السعادة مبادرة ومسارعة وتنافس جميل من أجل نيل الحظوة عند الشريك.. حينما تتجردان من الأنانية وحب الذات، وتتحليان بالإيثار والكرم:

- «علمت أنك تحب (تحبين) ذلك؛ ففعلته لأجلك»
- «علمت أنك لا تحب(لا تحبين) ذلك؛ فابتعدت عنه»

يا له من سمو ورقي.. أليس ذلك حريًّا بأن يجعل السعادة تستوطن؟

إليكما

لتفرقا في التعامل بين كونكما في حالة ود وصفاء، وبين حالة الغضب والتشنج.. فأنتما في الحالة الأولى قد تقبلان من بعضكما ما لا تستطيعان قبوله في حالة الخصام، فلتحاولا الابتعاد عما يستفز ويهيج الغضب ويزيد الأمور تأزمًا.

إليكَ

وكلما ظننت أنك قد امتلكت كل سرها وكل نجواها وكل ماضيها وحاضرها، أثبتت لك الأيام أنها كما الفقاعات قد تمسك بها بين يديك فتفتحهما على فراغ منها.. وحتى حينما تسلمك كلها مستسلمة خاضعة راضية، فإن قرب المرفأ حقائبها ومراكبها المتأهبة للعودة.. فلا تفرح كثيرًا لاستسلامها.. ولا تجعل البعاد والجفاء يهيئ معها حقائب الرحيل.. كل حيلها الدفاعية عندك.. وعندك وحدك.

إليكَ

حينما تصبح المرأة القائد في البيت، وتتكئ أنت على كل مهاراتها وكل محاولاتها لقيادة السفينة وأنت قاعد تتفرج على ترنح المركب، فإن هو استوى أشحت بوجهك لتكمل مسيرتك الهادئة البعيدة عن التوتر واختراع الحلول، وإن المركب غرق أقمت الدنيا على رأسها ولم تقعدها وجمعت كل اتهاماتك وكل

سخطك وصببت نار حنقك وفشلك صبًّا عليها.

لا تلمها، ولكن لُم نفسك؛ لأنك استمرأت دور المتفرج.

إليكِ

وحينما تختارين دور القائد، وتمنعينه من المشاركة أو تسمحين له بأن يتابع الأحداث من برج عال، فلا تلوميه إن أنت أخفقت في مهمتك، أو حينما يصب جام غضبه عليك، بل لومي نفسك، فأنت اخترت ابتداءً القيادة، وتحملت همًّا لم يشرع لك، وخالفت فطرتك وظننت بذلك أنك ستجعلينه تحت إمرتك.

إليكَ

في الأنثى جمال لا يدرك كله إلا في وجود زوج قوام متفهم ودود.. تعانق الكمال بذلك وإن كانت قليلة حسن.

ويغيب بهاؤها وسناؤها إذا ما كان دون ذلك.. وإن كانت من الحور.

فانظر إلى وضعك معها قبل أن تطالبها بمصالحة المرآة.

إليكِ

تعبك في أشغال العيد، وإرهاقك بسبب الأولاد والضيوف لا يعطيك بتاتًا أحقية إحالة البيت إلى بؤرة نكد، ولا إلى جعله يشاركك توترك أو يفوقك فيه.. طاقتك الجسدية محدودة، وكل تكليف لنفسك فوق ما تستطيعين يسبب لك الضغط.. وهو على

كل حال اختيارك.. فلا تضطري من حولك أن يدخلوا معك دوامة التوتر، ولا تكوني سببًا في الرد على نكدك بنكد أكثر منه.

إليكَ

ملاحظاتك على طريقة كلامها واستهزاؤك من طبخها ومن طريقة تدبيرها للبيت وحتى من رؤيتها للأشياء؛ ليس مكانها التجمعات العائلية ولا زمنها أيام العيد.. إن كان ولا بد من الملاحظة فحين انفرادك بها وليس أمام كل العائلة.. وإن كان ولا بد من الاستهزاء فعلى الأقل ليس خلال أيام العيد!.

وتقول ما بها تعشق النكد.

إليكما

بعض من تلقيهم الحياة في طريقنا نجاريهم كي لا نعين الشيطان عليهم.. بعض الكلمات بلاسم وماء بارد يطفئ لهيب الحنق والغضب والغيرة.

قليل «طبطبة» ومواراة لا يضر.

إليكَ

ليس كلامي هنا لذلك الرجل الذي اعتاد على الإجحاف بحق زوجته وسقيها من كؤوس عذاباته ولا مبالاته كؤوسًا، إنما الحديث إلى ذلك الذي زعم حبها وإنصافها وجعل من مكانة أمه

وحقها عليه مطية لذلك.. لزوجتك عليك حقوق. وأكبر حقها عليك الاحتواء وغض بصرها وقلبها بفيض مشاعرك واهتمامك واحتوائك، لكن هذا لا يمنع أن تعطي أمك حقها.. لها الحق أيضًا في جميل كلامك وطيب معاملاتك، بل حقها في ذلك أكثر من حق زوجتك وأولادك.. هي أيضًا تحتاج إلى يوم تخصصه لها تمشي في حاجاتها، وتتكفل بما ينقصها من ماديات وتملأ قلبها وأذنيها بكلمات دافئة حنونة ومداعبات تجم فؤادها المحزون.. هي أيضًا في حاجة إلى يوم تجعله لها تكرمها فيه- وما الإكرام حينها إلا وفاء بدين قديم- بمصاحبتها إلى مكان هادئ حسب طاقتك وإمكانياتك المادية، ولو مرة في الشهر أو الشهرين، تغازلها وتسامرها وتنصت في اهتمام إلى حكاياها التي أصبحت تحفظها عن ظهر قلب، تلك التي تعيدها على أسماعك في كل جلسة وفي كل لقاء.. تواسيها عن سنوات الضياع التي أفنت فيها شبابها وصحتها كي تراك سعيدًا.. وتضحك وتقهقه لتلك المغامرات اللطيفة التي لا تسأم هي من إعادتها بنفس الأسلوب وبنفس الرتابة دون أن تتبرم أو تظهر لها سأمك، أو أن تخبرها أنك تحفظ عن ظهر قلب ما ستحكيه لك.

لم يكن هباء أن أوصاك بها نبيك وكرر التوصية بها.. كان

يعلم- بأبي هو وأمي- أن حقها قد يضيع بين مشاريعك ومشاعرك فتفقد البوصلة إلى عينيها، وتفقد الطريق إلى قلبها وإلى هدأته وسكونه، فتكمل حياتها في كهف وحدتها وفي برد المشاعر وثلج العواطف وقفر الاهتمام، أحوج ما تكون هي لذلك بعد أن أهدت كل مخزونها إليك.

إليكما

ولا أرى من حل للمشاكل الزوجية، ومن وسيلة لجعل السعادة ترفرف بين الزوجين- بعد الاعتصام بهدي نبينا صلى الله عليه وسلم- إلا العاطفة والذكاء.

فأما الثانية فحلها بالمراس، فالذكاء نسبة منه فطرية والكثير منه بالشحذ.

وأما الأولى.. فأنى للتنافر أن يصير ائتلافًا.. وأنى للأرواح أن يملى عليها ما تريد.

إليكَ

أكبر جاثوم يمكن أن يصيبها بالجنون والحنق، أن تكذبها وتكذب مشاعرها وتخوفاتها وآلامها.. هي تشكو لك كي تنصت لها وتواسيها وتقدر ما تمر به، لا لكي تكذبها وتستهزئ بها وتهملها.. ولو أنك أصبت بمعشار بل بأقل من ذلك بكثير

من التحولات الهرمونية وما يتبعها من ألم نفسي وتقلب مزاجي ومما تعانيه مع الأولاد؛ كي يستتب النظام وما تكابده إن كانت عاملة خارج البيت ومسئوليات المنزل والطعام والنظافة وغيرها، لقضيت ما تبقى من حياتك بين المستشفيات تحاول فقط فهم ما يجري لك.

قليل اهتمام، وقليل احتواء، وقليل تفهم وتقدير قد تجعلها تنشط من عقال فتنسى أكدارها وأوجاعها وتقبل على إسعادك ومباشرة مسئولياتها بخفة ونشاط.

إليكِ

حاولي- وأنت تودين أن تشتكي له مما يزعجك أو يؤلمك- أن تختاري أهم ما يوجعك كي لا تدخليه في متاهة بتداخل ما تشتكين منه.. حاولي أن تحصري الأمر في شيء أو شيئين على أقصى تقدير كي لا يظن أنك فقط تملئين الأشولة وتبتزينه كي يتعاطف معك.. الأمر ليس سهلًا مع تدفق الحكي، لكن تستطيعين مع الدربة أن تفعلي.

إليكما

لو حاولنا فهم أكثر الأشياء المسببة للإحباط عند الزوجين مما يجعلهما غير قادرين على الاستمرار في الحياة الزوجية بشكل إيجابي: انعدام الحوار والتواصل.. فالمرأة تحتاج جدًّا- بطبيعتها

الأنثوية التي فطرها الله عليها- إلى الكلام.. وليس ذنبها إن كانت قد فطرت على ذلك.. تحتاج إلى أن تتحدث كي تعبر عن نفسها وكي تتحرر مما يزعجها ويؤلمها. وتحتاج بالطبع إلى شريك واع يحسن الإنصات، مما يؤثر بالإيجاب على نفسيتها فيجعلها أكثر عطاء وأكثر تفانيًا.. فتمنحه ما يحتاجه من ثقة وتقدير وإعجاب وغيرها.

إليكَ

وما الزوج إن لم تكن لتحس بأنها منه، وبأنها تحت جناحه يؤمنها ويخشى عليها من النسمة.

قد يخطئ في حقها بطبيعة الإنسان الخطاءة، لكن لا يسمح لغيره أن يفعل.

إليكما

لن تستقيم لكما الحياة إلا إذا استقامت فيكما الطاعة والعبادة ومعرفة المطلوب منكما على وجه التدقيق من الشارع الحكيم.

إن كنتما ستعيشان تحت سقف واحد يعين كل واحد منكما الشيطان على صاحبه، وتتفننان في معصية الخالق، أنت تعاندها؛ لأنها لا تطيعك فتضيع حقها بل حق الله قبل ذاك، وأنت تتمردين عليه وتذيقينه أنواع البلاء؛ لأنه لم يشأ أن يطوع لك، فتعتديان حدود الله وتضيعان حقوقه سبحانه، وتنسيان أن المطلوب منكما قبل كل شيء

تحقيق الطاعة والعبودية لله، ففراقكما حسنة أحدثا فيه نية خالصة لله واسألاه الأجر عليه والعوض، وأن يغني كل واحد منكما من سعته.

إليكِ

مشروعك في الحياة فرح تنثرينه على من حولك، وتفان وتضحيات واستماتة لأجل أداء رسالتك على أفضل وجه، ولأجل أن تكوني أنت السعادة التي كان يحلم بها.. لكن لا تجعليه مركز الدائرة وعالمك الوحيد وكل تفاصيل القصة، فتتعبي إن كان منه الانشغال، وتحزني إن كان منه الغياب، وتقتلي نفسك حسرة وكمدًا؛ لأنه لا ينشغل بك كما تفعلين أنت. تحرري قليلًا منه وحرريه من متابعتك اللصيقة لحركاته وسكناته وصمته وكلامه، ولا تجثمي على أنفاسه بجعله كل موضوع الرواية.. تعلمي أن تشاركيه ما يقتضي المشاركة، وأن تشركيه فيما ينفع فيه الإشراك، وأن تؤسسي عالمًا مصغرًا خاصًّا بك، تنمين من خلاله مواهبك وتطورين مهاراتك كأم وكزوجة وكأنثى قبل كل شيء.. وترحمينه من كتم أنفاسه ومن سجنه بتدخلك في كل صغيرة وكبيرة.. حرريه.. وتحرري قليلًا منه.

إليكَ

حينما تلحظ حزنها وتسألها ما بها فترد عليك:» لا شيء»، فاعلم أن وراء» اللاشيء» جبالًا من هموم وبحارًا من حزن عميق.. تريدك أن تلح عليها في السؤال، وأن تظهر لها بأنك قريب منها تفهم أحاسيسها وتشعر بتغيرها وتتعاطف معها.. هي لا تريد منك حينها أن تجد لها الحلول، ولا أن تقترح عليها العلاج، ولن تحوجك إلى فعل ذلك أبدًا.. ولن تقبل منك نظرة الإشفاق.. تريدك فقط أن تعترف لها أنك متنبه لأحوالها، فَطِن لتقلب مزاجها، وأن توافقها وتعترف لها بأن هناك فعلًا ما يستدعي الألم والحزن، وأن تخبرها- ولو كذبًا- بأنك متفهم لها متضامن معها.. وهي على أتم الاستعداد لأن تصدق كذبتك.

إليكما

الحب والاحترام والتقدير أكبر دافع للمرء أن يخرج أحسن ما فيه وخير ما عنده.. والاحتقار وعدم الاهتمام والسخرية كما الصخرة تسد فوهة المنبع، ولا تترك من الماء ما يتدفق منه إلا ما تسلل خلسة من بين نتوءاتها وشقوقها.

إليكما

لا شيء أثقل على القلب وأكثر استشعارًا بالخيبة من أن تكون واثقًا مما تفعل، ذكيًّا بالدرجة التي تجعلك تعلم متى تقدم ومتى

تحجم، عارفًا دورك وما تنتظره منك الحياة، تقرأ العيون وتتقن الإصاخة للصمت، مبدعًا تلون البهجة بالحياة.. فتضطر إلى أن تعاشر من لا يريد أن يراك أو من يتقن أن يجعلك نديم الإحباط ويتفنن في أن يجعلك هامشًا أو حدثًا خارج فصول الرواية.

إليكِ

ليس هناك أي تعارض بين أن تكون المرأة مثقفة مفكرة وطباخة ماهرة، وأنيقة مرتبة، وداعية إلى الله، وبين أن تكون زوجة ودودًا معشوقة، وبين أن تكون مربية أجيال.. فكل تلك رسائلها.. كوني مبدعة معطاء ذكية لماحة، تفهمين حاجاته في عينيه دون أن ينطق بها.. والزمي حسن التبعل له، فهو جنتك أو نارك.. ولا تنسي نصيب روحك من الرواء وكفل عقلك من الحرث وحظ أنوثتك من الأنوثة.

إليكَ

(من وحي الواقع) تلميذة صغيرة أمرها المدرس أن تكتب رقمًا على السبورة، لكنها حاولت جاهدة دون الوصول إلى ذلك، فما كان من المدرس إلا أن أهانها واستهزأ بها أمام زملائها واكتفى بالشتيمة والسباب.

كان بإمكانه أن يساعدها على التصحيح، وأن يجعل من فشلها ذاك فرصة لتعليمها ما غاب عنها لأي سبب من الأسباب.. لكنه لم

يفعل. ثم أليس من المفترض أن يلام هو أيضًا على عدم قدرتها على الكتابة؟ أين دوره في تعليمها وإرشادها وتيسير طرق التعلم لعقلها الصغير؟

هكذا أنت معها أيها الزوج،

خبراتها محدودة، وعقلها قليل استيعاب.. قل لي بالله عليك ما فعلت كي تجعلها تسايرك وتساير العالم حولها؟

تحب القراءة والثقافة وتحليل الأمور بعين واعية، وتتذمر من كونها لا تشاركك هواياتك، قل لي بالله عليك ما خطتك المحكمة التي هيأتها كي تجعل منها قارئة ماهرة ومحاورة نبيهة وشريكة حياة وهوايات وتطلعات واهتمامات؟

هل قدمت لها يد المساعدة وحرصت على سقي الغرس بيديك، أم أنك أعرتها للإهمال وللتعيير والاستهزاء والنظرة الدونية، كلما حاولت أن تناقشك وأن تبدي رؤيتها في الأشياء؟

إليكما

الكثير من المشاكل الزوجية سببها أن يكون لأحد الزوجين فلسفة واضحة في الزواج وفي التعامل مع الآخر، بل في طرق الإسعاد والتفنن فيها، ويكون الطرف الآخر سطحيًّا يعيش سبهللًا، لا يطور من نفسه ولا يتابع مشهد التطور والإبداع في الآخر، بل لا يعترف به أساسًا.

إليكِ

ليس هناك امرأة قبيحة، فمسمى الأنوثة أصلًا في حقها جمال، إنما هناك نساء لا يعلمن كيف يُخرجن جمالهن.. أو أنهن لا يعطين الأمر من العناية ما يستحق.. أغلب المشاكل الزوجية سببها: زوجة لا تحسن أن تكون أنثى فضلًا عن أن تكون زوجة، أو رجل لا يحسن الثناء والتعامل مع الأنوثة فضلًا عن التعامل مع زوجة.

إليكَ

أَحب روحها، تدم عروسًا في عينيك ولو صار لها من العمر مائة سنة.. فالأرواح لا تشيخ ولا تشيب.

إليكما

وأعتى السجون، أن تضطر للعيش مع من لا تحتاج فقط إلى أن يغير من بعض سلوكياته لكي تتآلفا، بل إلى أن يغير كل روحه حتى تتعرف إليها روحك.

إليكَ

بعض المفاهيم في الحياة، لا تحوجك إلى أن تكون أديبًا أو شاعرًا، ولا إلى أن تكون ذا لغة زجلة، أو صاحب عبارات رشيقة وصور بيانية أخاذة كي تعبر عنها، إنما هو حسك وإحساسك الذي يمليها عليك، فتتدفق أنيقة رقراقة منسابة صادقة شفيفة، غير

متكلفة ولا مصطنعة، لتخترق أذنيها وتستقر في وجدانها.. الكلمة الطيبة صدقة، ومع زوجتك أجر مكرور وغنيمة مزدوجة.. والمدح والثناء وقود حركتها، والرحمة والإيثار محرك دفع للعلاقة الزوجية في مراحلها المتعددة.. وإنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم.. ومن يرم السعادة يبحث عن أسبابها.. ويكن السباق إلى إرساء دعائمها.

إليكِ

الأمومة والحب والحنان.. معان لا تُسْتَجْدى بحال.

بعض الأقوال والأفعال إذا طُلب من الآخر- تصريحًا أو تلميحًا- قولها أو القيام بها فقدت معناها.

إليكِ

لا تسممي حياتكما بالحجر على تصرفاته، ولا تجعلي من كل حركة من حركاته رشقًا لتأويلاتك وظنونك.

الشك يقتل اليقين، والغيرة المفرطة تنسف بقايا مخزون جميل في الذاكرة، وحتى ذاك الذي لم يدخل بعد حيز الذكريات.

إليكَ

ما أنصفها إلا متعطر بمسك الوحي، ولا عرفها وعرف بحق معاني أنوثتها إلا متضمخ بمعاني الجمال والكمال من شريعتنا الفواحة.

إليكِ

لن يفهم ما لا يريد فهمه وإن ألححت وإن بكيت وإن زمجرت وغمغمت وصرخت ونكدت.. وكلما زاد نكدك.. زاد تشبثه بموقفه. كوني حكيمة ذكية رصينة ولا تقفي في فوهة البركان.. تحيني فرصة الكلام والطلب، وقدمي لذلك بمدح وثناء، وأشبعي رجولته الجائعة لكلمة «حاضر» و «نعم» و«من عيني».. افرشي الورود وحلقي كفراشة متحينة رشف الرحيق.. ولا تنزلي لتجمعي العطايا والهدايا إلا وقد علمت أنه الآن فعلًا مستعد ليلبي كل طلباتك.. وحينها وحينها فقط.. تربعي عرشك وأمري لا تطلبي.

همسة: الصبح الذي يبدأ بالنكد ذكرى صباح.. أجليه على الأقل إلى ما بعد الإفطار.

إليكَ

ستكون سعيدًا إذا ما وجدتَها طائعة.

وستكون أسعد أكثر إذا ما علمت أنها لم تكن طائعة ابتداء.. إنما أنت من طوعتها..

وستزهر لك الأيام إذا ما طاعت لك في شموخ راضية.. سعيدة بهذا الفتح الذي لم يخطئها ولم يخطئ أنفتها وكبرياءها.

إليكِ

- ذكاؤك وفطنتك.. سر أنوثتك.. فدعي عنك التجاهل والتغابي

- من الذكاء أن تنبهري بذكائه.. ذكاؤك لا يجب بحال أن يجعلك تتعالين عليه، أو أن تغفلي عن قيمته وشخصيته.

إليكَ

- اعترافك بذكائها لا ينقص من قيمتك شيئًا، وانتقاصها لا يغير من تألقها شيئًا.

- لا شيء يمس برجولتك وأنت ترى ذكاءها وتستكشف لمحها وتوقدها.

تلك شخصيتها هي، لا يلغيها حضورك.

وشخصيتك أنت لا يلغيها تألقها.

دع عنك رجولتك جانبًا، لا تزج بها في كل المواقف.

إليكَ

ليس الرجل فقط من يخشى المرأة الذكية، المرأة أيضًا تخشى رجلًا خارق الذكاء ينظر إلى تفاصيل تحركاتها بمنظار عالي الدقة يرى من خلاله بكل تفصيل أليافها العصبية والبصلة السيسائية وتغيرات النخاع الشوكي قبل وبعد كل حركة وعند العزم وقبيل تنفيذ القرارات.

وهي مع هذا، تكره البليد المتبلد.

إليكما

من كان ذا رسالة في الحياة، فليبحث عمن له رسالة مثلها أو شبيهة بها.. أو على الأقل يقدر معنى أن يكون مشغولًا بها.

إليكما

أختي الفاضلة،

لتفرقي رعاك الله بين أن تكوني ذات رسالة على الحقيقة، وبين أن تكوني- ومعذرة على العبارة- ساعية بريد على الفيس وعلى الواتس، تنقلين المنشورات والمواد السماعية وتظنين نفسك داعية عليك التفرغ، وعلى زوجك أن يعفو ويسامح عن تقصيرك في حقه وحق بيتك وأولادك لأجل ما أنت بصدده.

ولك أيضًا أيها الرجل،

يا من ضيعت حق أولادك وزوجتك، وأصبحت تمضي الأيام والليالي أمام جهازك، وإن لم تكن منشغلًا في الحرام، إلا أنك منشغل بالمفضول على الفاضل، وبنقل الأخبار والرد على المنشورات، ونسيت أن زوجتك أولى بردودك واهتمامك.

إليكَ

كثير من الأزواج يسقطون في معضلة مقارنة زوجاتهم بأمهاتهم، ويغفلون عن أن الأم قد خلقت لجيل والزوجة قد خلقت

لجيل آخر، بل حتى الميول والمواهب ودرجة الصبر والتحمل وطريقة العيش والثقافة وأسلوب التفكير، ووو، لا بد وأن تكون مختلفة. ولعله من العته أن يحاول الزوج إلزامها بأن تكون نسخة طبق الأصل من أمه. لا أحد ينكر أن قيمة أمه لا مجال لمقارنتها مع غيرها، وبأن حقوقها عليه مسبقة على زوجته وعلى أبنائه، ولا بد للمرأة أن تعي هذا، وألا تسمح لنفسها بأن تدخل في مقارنة معها، بل أن تحثه أو تمكنه من فعل ذلك.. ولو استطاع الزوج أن يفرق بين قيمة ومكانة كل واحدة منهما وواجباته تجاههما، وكف عن إلزام زوجته بتقليد أمه وانتهى عن جعل المرجعية والميزان في كل الأحكام وكل ما يقع بينهما أمه، لاستطاع أن يحيا حياة سعيدة بعيدة عن النكد، ولأعفى نفسه من كثير مشاحنات.. أمك ثم أمك ثم أمك.. ارعها وقم بواجباتك نحوها واجعل رضاها ذخرك يوم تلقى الله عز وجل.. واحترم اختيار زوجتك أن تعيش حياتها معك كما تريد هي وكما يفرضه عليها سنها ونظرتها للحياة.

إليكِ

هو لا ينتظر منك مُعلَّقات شكر ولا قصائد امتنان.. بسمة رضا صادقة منك تكفيه.

إليكَ

هي لا تنتظر منك وردة.. ولكن تنتظر أن تميط عنها الأشواك.

إليكما

ما أجمل أن يكون التأثير الإيجابي متبادلًا بينكما، حتى إنه لا يُعلم من المؤثر ومن المتأثر.

- «طيبة قلبكِ جعلتني طيبًا»

- «بل أنا من جعلتني طيبة قلبكَ طيبة»

إليكَ

أنصِتْ إليها، ليس بدافع تبرئة الذمة وإراحة الضمير والإحساس بأنك أديت واجبًا ثقيلًا لا طعم له ولا رائحة. وليس كما يفعل البعض، يتركها تحدث نفسها حتى إذا ما أنهت قال لها: «أنهيت هذيانك؟» في إشارة إلى أنه أولًا: لم يكلف نفسه الاستماع، ثانيًا: ما تتحدث عنه مجرد حروف لا تعدو أن تكون هلوسة وتخريفًا.. حتى يجعل مبلغ أمنياتها أن يعترف يومًا أن كلامها منطقيًّا، وأنها ليست مجنونة.

فقط جرب أن تنتبه لما تحدثك به، تلك فرصتك من جهة؛ لمواجهة نفسك بردود أفعالك، ومن جهة للاستكشاف المستمر لشريكة حياتك بالتفتيش عن معاني كلام شخص خبرته وانطباعاته

ورؤيته للأشياء تختلف كلية عن خبرتك وتصوراتك. وستنتقل بذلك بعلاقتك معها من الجمود إلى الحيوية، ومن علاقة دخلت حيز الاحتضار إلى بعث وحياة جديدة تسري في أوصالها.. دعها تصرح لك بما يزعجها وبما يشعرها بالخيبة من تصرفاتك وردود أفعالك، ولا تجعل تلك مناسبة للتصادم أو لتذكيرها برجولتك وبمجاوزتها الحدود، ولا لتيئيسها من تغييرك، بل شجعها على إيصال أحاسيسها لك في هدوء، وحاول تفهم ما تقول بدقة، فإنما هي تعبر لك عن سلوكيات لا تجد الراحة في التعايش معها.. واعلم أن نظرتك للأشياء بنظارتها لن تفقدك وجهة نظرك الخاصة، ولا يعني صحة كلامها أنك بالضرورة مخطئ تمامًا. وقم أنت أيضًا بنفس الشيء، أوصل لها ما يزعجك منها عن طريق الحوار، فالانتقادات اللاذعة والتعيير والشتيمة واللامبالاة لا تقدم حلًّا، إنما تزيد من تعميق الهوة بينكما.

إليكما

أول خطوة للتغيير تبدأ بتصحيح خبراتنا بتفهم خبرات شركائنا وذلك عن طريق الاستماع الإيجابي. خطوة في طريق الإصلاح.

إليكَ

إذا ما استشكلت عليها حالتك، ولم تفهم سبب حزنك ووجومك وضيقك، واستفسرت عساك تطمئن قلبها وتريح بالها وتؤمن روعها وتجعلها هادئة ساكنة مطمئنة، فليكن ردك- إذا ما كلفت نفسك عناء الرد- واضحًا مباشرًا لا يحتاج إلى حل ألغاز ولا إلى فك شفرات، ولا تجعله كمسألة فقهية مختلف فيها، لها وجه راجح ووجه مرجوح، وهي عليها أن تمتلك أدوات البحث والاجتهاد وآليات الترجيح دون أن تصل في الأخير إلى مرادك.

إليكَ

لا تجعل لنفسك عالمًا خاصًّا بك، لا تخرج منه إليها إلا متى ما تريد، ولا تستغن عن مجالستها والإنصات إليها ومبادلتها الحديث ومعرفة متطلباتها النفسية خاصة، بانشغالك الدائم عنها ولو كان في الجد وفيما يفيد.. إن تفعل، علمتها إذًا أن تحاكيك وأن تصنع لها- دون أن تخطط لذلك مسبقًا، وكحيلة دفاعية عن حقها فيك- عالمٌ لست أنت رائدًا فيه، وكتبت لها رواية لن تكون أنت بطلًا من أبطالها، ولربما استمرأت هروبها في عالمها الجديد.. و لربما اعتادت على تنظيم حياتها من حولها وحدها دونك.. فيصعب عليها أن تعود إليك ما دامت ترى أنك لست لها.

إليكِ

جفاؤك سيعلمه الجفاء، وبعدك سيعلمه الابتعاد، ووحشة روحك ستجعل منه إمًّا وحشًا كاسرًا، أو منطويًا على نفسه في مساحته الشخصية لا يروم إليك منها خروجًا.. أو متمردًا على قوانينك بل على قوانين الكون بأسره، فيكسر السلاسل ويبحث عن سكنه في مبعد عنك.. روحك، علميها أن تكون روحًا.. خميلة.. مرتعًا للأحلام.. لا مقبرة موحشة تنتشي بدفن الأرواح قبل الأجسام.

إليكَ

أن تشترط عليها ألا تعمل، ذاك اختيارك ولا أحد من حقه أن يغير رأيك، وحقها أن تقبل بك أو أن ترفض.. لكن أن تجوعها بعدها، وأن تجرعها نغب البخل والحرمان، وأن تتعسف عليها، وأن تمن عليها باللقمة التي تقتسمها بينها وبين أولادك، وأن تحرمها أبسط ما تحتاج إليه أنثى من ملابس وأدوات زينة؛ وتريدها في الأخير أن تخضع لك وأن تستكين، فهذا وأيم الله للظلم والإذلال بعينه ومطالبتها بالمستحيل.

#إليكِ

لا تجعلي كل الموضوعات مناسبتك لإبراز تفوقك عليه، أو لإصدار آرائك وأحكامك ولجعلها حلبة صراع تريدين بكل الأثمان أن تجعلي الانتصار من خلالها لك.

ضجيجك وأنت تبحثين عن نفسك بالقرب منه، وصراخك وأنت تحاولين إثبات وجودك، لا يعدو أن يكون صراخًا وضجيجًا.. إثبات الوجود ذكاء والبحث عن الذات فطنة.. والصراخ دليل على ضعف أو على عناد.

ضجتك وأنت تبحثين عن نفسك فلا تجدينها تُرْبك من حولك.

ابحثي عن نفسك.. لكن في صمت.. وفي مبعد عنه.

إليكَ

أن يضيق صدرنا بغيرنا، ونحاول إلزامه بآرائنا من غير تفهم لوجهة نظره، يعني أننا لا نرى في الحياة غيرنا.

أيها الزوج تنبه، هي هنا بالقرب.

إليكَ

موجع.. أن تراها تبكي فتضحك أنت.

والأكثر وجعًا.. ألا تراك ضاحكًا إلا إذا رأيتها تبكي.

إليكَ

خنجر مسموم تطعنها به.. تمزع روحها وتنأى عن دفن الجسد.. تقتل به آخر بصيص أمل لها فيك وفي حياة قادمة تتضوع سعادة:

«إن كنتُ مازلتُ هنا، حريصًا على الاستمرار، فلأجل الأولاد.. وفقط..»

يا سيدي كن هنا؛ لأجلها هي..

وإلا فارحل.

فللأولاد رب يحميهم ويجبر كسرهم ويؤويهم.

إليكِ

بوصلتك تلتقط لك إحساسه بالحنق عليك.. حاستك السادسة لا تخطئه ولا يمكن بحال ألا تنبهك إلى أنه قد تغير وقد صار يقضي الوقت كل الوقت في مبعد عنك، وبأنه يفتعل الانشغال كي تفضى مساحته منك.. كل حركاته وكل أفعاله وكل الردود تؤكد لك بما لا يسع معه شك ولا ارتياب بأنك إن كنت هنا- إن كنت ما زلت هنا- فلأنه يراعي العشرة والمعروف ويخشى على ضياع الأبناء.

لم يقلها لك صراحة..

ربما لن يقولها..

هل تنتظرين أن يقولها؟

يا سيدتي،

دعي عنك الدموع بين زوايا الجدران وخلف الأبواب الموصدة وتحت الغطاء، تتوارين عنهم كي لا تنكشفي.

دعي عنك التجسس عليه، واطردي عنك الوساوس والشكوك، وأقلعي عن تسليط كل الضوء عليه، فخلف باب بيتكما هناك طرفان،أحدهما أنت.

يا سيدتي،

أنت أعلم بنفسك منه وأعلم بمواطن التقصير، وأعلم بأن كل محاولاتك في تخطيئه وحده لن تجدي.. جلسة مصارحة مع نفسك تتوخين فيها قليل ذكاء وفطنة.. كسري بعدها كل السلاسل وتفاني في جعل القطار يرجع لسكته القديمة.. قليل ذكاء، وقليل إبداع.. والكثير الكثير من المصارحة والشفافية والاعتراف.

إليكما

لا للمثالية المفرطة وإغماض العينين عن العيوب بدعوى المحبة، حتى إذا ما كثرت التراكمات وأصبح الانفجار وشيكًا إثر ضغوطات الحياة؛ ندبتما حظكما واتهمتما منكما الفؤاد وقبله العينين.

نعم للواقعية ولاستيعاب السلبيات، ولوزنها بميزانها الصحيح

ولرؤيتها بكل ما من شأنه أن يكبر الصورة: بالنظارتين وبالمكبر وبالمجهر، لا لإعطائها أكثر من حجمها أو لمتابعة النقائص ورصد الهفوات، إنما لأجل رؤية واضحة حتى يتسنى لكما مباحثة الحلول.

إليكَ

منتهى الإجحاف والعبث أن تقيّم وتصنف أسلحة المرأة.. تهدر الجهد والوقت معًا ولا تحصل في الأخير إلا على حالات نادرة تمثل في كل مرة الاستثناء..

يا سيدي، لا قواعد في دساتير المرأة.

إليكِ

الوردة التي لا تؤمن بعطرها.. خرقاء.

إليكَ

لا يحسن الإصغاء للعبق.. إلا من يتقن الاستدفاء ببتلات الروح.

إليكما

وتلك السعادة التي فنَيْتما لأجل تحصيلها، هل خططتما للمحافظة عليها؟

إليكَ

بذكر الضرات والزواج وبيت جديد يمازحها (زعم)

يا سيدي،

مازحها بأنها نبض الشريان وقرة العين وسلوى القلب الحزين.. تغريدة البلبل ولون الأقاحي وشذى الياسمين.

وإذا ما جد جدك وعزمت وكان منك القرار.. فليس بالمزاح ستقنعها ولا بذاك يتم التمهيد.

بالله عليك صمم وطبق وكن لأمرك من الحذاق الحازمين.. ودعها تواجه أقدارها بالصبر وباليقين.

ولا تمازحها..

فمزاحك يميتها الموت البطيء.. يقتل فيها الأنوثة والإحساس ويكسر ما تبقى من طلك في أحشائها.. ينسف منها الوتين.

إليكِ

ستتحررين وستتقدمين، حينما تعلمين ما لك وما عليك.. حينما تتحررين من ربقة المجتمع السالب النائم في هوة سحيقة من هوات الجاهلية.. حينما ستفهمين نصوص الوحي على مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وتبذلين الوسع لتفعيلها.. حينما تتجردين من التبعية والنمطية والخوف من الناس على حساب أحكام الدين.

إليكِ

رجل له خصال كثيرة تحبها المرأة لابد أن يتصف بشيء لا تحبه، فإن كان هذا الشيء هو الغضب، فتحتاج معه إلى معاملة جدُّ خاصة.

الرجل الغاضب إذا ما فقد أعصابه، صار كطفل يحتاج الاحتواء والصمت حتى تهدأ العاصفة ليسترد حالته الطبيعية.. صوتان عاليان في بيت واحد سيجعلانه يتهدم ويسقط على رؤوس أصحابه، ثم إن هي بادرت خلال غضبه أن تصحح مفاهيمه أو أن تنبهه إلى أنه عصبي فإن ذلك يزيد من عصبيته.

الوقوف أمام فوهة البركان تعرض لما لا يحمد عقباه.

إليكِ

قليل واقعية لا تضر.. وقليل مواجهة وصراحة.

ستبرعين في حفظ المتون وفهم الشروح وضبط التأصيلات.. وستشحذين ذكاءك وتوقدك ولمحك كي تكوني من المتفوقات.. ستتفننين في الكتابة وستتقنين الرسم وسيكتب اسمك مسبوقًا بهمزة أو بدال أو بميم.. وسترين روحك ساحرة جميلة قادمة من بلاد الجوري والأحلام.. ستنتشين وأنت تكتشفين ذاك الجمال الساكن في أعماقك وتلك الطيبة التي تطوقينهم بها وتلك المبادئ وتلك المعايير التي جعلتها نبراسًا لحياتك ونهجًا لا تبغين عنه

حيادًا.. وستبحثين عنك في عينيه فلا ترين غير وميض منطفئ لا يحضن عينيك.. وستنطفئ فجأة الفرحة في عينيك.. نظارته لا ترى الجوهر يا سيدتي.. نظارته لا ترى سوى العرض.

هو كذلك يا سيدتي، فلا تبتئسي.. شكلك ومظهرك.. ذاك الذي تلتقطه باحته البصرية، وهو في العادة لا يحتاج إلى أشعة سينية ولا بنفسجية ولا ما فوق الحمراء ليرى ما ترينه أنت.. وينتشي بما تنتشين به أنت.

هونًا ما يا سيدتي، واربئي بنفسك أن تحزني وتتوجعي لتلك الحقيقة الواقعية المؤلمة.

كوني أقل روعة.. أو فلتنتشي وحدك بك وبروحك الجميلة.

ولا تلوميه على فطرة أودعها الله فيه، وجبلة لا ينوي أن يعدل منها قليلًا.

إليكِ

الأنوثة ذوق وذكاء وإبداع وجمال وروح ورقة.. واحتواء وضعف في شموخ وخفض جناح.

فإن عانقت الرصانة مع كل ذاك طفولة القلب، فاعلمي أنك أمام منبع أنوثة لا ينضبه شيب ولا يعيث فيه عبث السنين.

إليكَ

الرجولة قوامة ورقي.. إن امتزج فيها الكرم والإحسان بالتواضع والذكاء والانشغال بمعالي الأمور، فاعلمي أنك أمام الكمال في أجمل وأرقى صوره.

إليكَ

لا تلمها على شيء لم يكتبه الله لها، وعن رزق لم يقسمه الرزاق الحكيم لها.. إن كان من لوم فعن تقصير فيما يمكنها استصلاحه أو عن إهمال بمحض الإرادة وسبق الإصرار وترصد مستديم.. أما وقد أعطاها الله ومنع، فاعلم أنها أيضًا ينقصها منك الكثير مما منعه الله عنك ولم يقسمه لك.

إليكِ

شعر ملكات الجمال وشكلهن أغلبه مستصلح.. رضاك بقدر الله وعدم تسخطك أن لم يكن شعرك خيوط حرير، وشكلك شكل ملكات الجمال مأجورة بحول الله عليه.. لكن الرضا لا ينافي البحث عن الاستصلاح.. تلك الوصفات الطبيعية المنتشرة كالفطر البري في القنوات والمواقع الإلكترونية وفي مجلات المرأة لن يكلفك غير ما هو موجود في مطبخك وفي أقصى الحالات إلى بضع دراهم لن تحمل جيبه أو جيبك ما لا يطيق، وتلك الأداة

التقنية المسماة مجفف شعر ما صنعت إلا لحل مشاكل من ابتلين بشعر مجعد، فلا ترغميه فضلًا على أن يرضى أيضًا بما قد كتب عليك، ولا تتبرمي وتنزعجي وتنفعلي وتكملي حياتك في الغم والضنك وتقيمي الدنيا عليه إن هو أبى أن يقبل.

ملحوظة: فرق بين الرضا بالقضاء والقدر الذي هو واجب، وبين الرضا بالمقضي والمقدور، نحن مأمورون بعدم الاعتراض على ربنا في حكمه وتقديره، ولسنا مطالبين أن تطيب لنا البلايا والملمات.

إليكِ

لن تستقيم لك حياة معه، ولا سكينةَ لك ولا راحة إلا إذا أثبت له وأظهرت له بكل الوسائل وفي شتى المواقف بأنه قد ملأ عينيك والفؤاد، وبأن وجوده وقيمته لا ينافسها في حياتك وجود.. وإن كان أبواك.. اصدحي له على الدوام بأنه يحسن التصرف وبأنك تعتمدين عليه في البحث عن حلول الأزمات، وأظهري له رضاك عن أفعاله والردود- على الأقل تلك التي تلائمك وترينها صحيحة- وبأن أمانك وهناءك وسعادتك معه.. ومعه وحده.. وأقلعي عن مقارنته بأبيك وأخيك وزوج أختك، وبعلي زوج صديقتك، وبأحمد زوج بنت الجيران. (همسة: قبل سنوات فقط كنت تتبرمين من اضطرارك أن تعيشي لعبة القط والفأر مع أخيك،

وكانت غلظة أبيك وجفاؤه معك يطير النوم من مقلتيك الليالي الطوال فتتحول دموعك دعوات صادقة للحصول على زوج ينقذك من حياة النكد والهم.. فتذكري.)

إليكَ

أتدري ما أقصى أمانيها؟ أن ترحم ضعفها وأن تحترم أنوثتها وأن تمنحها الثقة، وألا تضطرها إلى أن تشحذ منك الأمان أو أن تتسول منك الحنان.

إليكما

علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم الإحسان لكل شيء وفي كل شيء.

علمنا كيف نرحم البهائم، وكيف نحسن للذبائح، وكيف نعصم دماء النمل والنحل والضفادع، وجعل لنا صدقة باردة، وغنيمة هنيئة مريئة؛ بقول حسن وكلمة طيبة.

وتاه الأزواج والزوجات يتكففون الحنان ويتسولون الأمان وعبارات ود تخفف عبء طول المسير.

جددا حياتكما.. ونمقاها بطيب الكلام.

والله إنها لدنيا زائلة فلا تفرطوا عقد أيامها في النكد والجفاف والجفاء..

إليكِ

كرامتك وعزة نفسك وروحك الأبية تأبى عليك أن تقبلي بظلمه لك بل بلامبالاته وعزوفه عن الاقتراب من مساحتك الشخصية.. لكن لا تعطيك أبدًا أحقية انتقاصه وجرحه بكلماتك «العنقودية».. تنسين أنت سبب النزاع وينسى أيضًا هو.. لكنه أبدًا لن ينسى إهانتك لرجولته التي لا يمحو أثرها عبق ورد ولا قصائد شعر ولا هدايا.. يقال عندنا:» خاصمني.. واترك لي مجالًا كي أصالحك»

إليكَ

وإذا ما نكست أعلامها وتغاضت عن خطئك وتنازلت عن رأيها لأجلك ومنحتك مسك الختام، وجعلتك- رغم كل شيء- ملكها المتوج، فلا تجعل من تنازلها ومن رقيها ذاك و الذي لا تحسنه إلا أنثى كاملة الأنوثة؛ فرصتك للتنكيل بها ولتمريغ كرامتها ولتجبرك وتسلطك عليها.. اعلم أن تنازلها كان تنازلًا في شموخ، لا ضعفًا ولا مهانة ولا استكانة سلبية.. وتذكر أنها إن فعلت فلأنها تعاملك معاملة النبلاء والأمراء والسادة المتوجين، فتعلم أن تقابل رقيها برقي، فالتي جعلت منك ملكًا تستحق أن تتوجها بتيجان الأميرات.

إليكما

كلما كانت العلاقة الزوجية واعية وأكثر نضجًا نفسيًّا وروحيًّا، كانت أقرب إلى النجاح.

إليكَ

كونك ملتزمًا ملتحيًا طالب علم حافظًا للقرآن لا يعطيك الحق أبدًا في إهانتها ولا في ضربها وشتمها ولا في فرض ذكوريتك عليها.. حفظك القرآن يخصك أنت وحدك، وبراعتك في طلب العلم لا تعني بحال حفظ المتون وإتقان الفنون دون فهم حقيقي وتطبيق واع لما تتعلمه.. إن لم تكن لتجلس إليها وتنصت إليها وتتفهم نفسيتها وتسعد بمزاحها وبجدها وبطريقة تفكيرها، فما طلبت علمًا وما حفظت قرآنًا وما اهتديت بهدي نبيك عليه الصلاة والسلام، الذي كان يأنس بنسائه ويتسامر معهن ويتشاور.

أعد حساباتك، هي عانية عندك، فلا تلعب دور الجلاد.

إليكِ

الخطأ خطأ، ولا شيء يسوغه، والحق لا تبرأ ذمتك أمام الله إلا بإحقاقه ولو على نفسك، فقط أحسني الظن قبل أن تعاتبيه، واختاري عباراتك إذا ما قررت مواجهته، فأنت على كل حال تودين إخباره بما يزعجك لتصلا معًا إلى الحل، لا تحديه وكسب

نقطة جديدة تضاف إلى بطولاتك في التمرد والتنمر.. كوني لينة هينة.. وإن كنت أنت على حق وهو المخطئ.. العلاقة الزوجية رقي وليست ترسانة حربية أو حلبة لاستعراض العضلات.

إليكَ

لا تُراهِنْ على ضعفها في كسب التحديات، وبأنها رغم كل شيء ستبقى لك كما كانت أول ما كانت.. ولا تغامر بكل رأس مالك في تجارة لك فيها شريك.. ضعفها إذا ما طالت لا مبالاتك، وتعلقها إذا ما تيقنت من زهدك فيها قد يجعل حيلها الدفاعية تتشكل وتتقوى إلى أن يلفظك يومًا قلبها المجروح.. وما أدراك.. لعله قد تبرأ منك وأنت ما زلت تظنها لك.. وتلك التي كانت بالأمس القريب تتغنى بك، ستكتب فيك قصائد الرثاء والهجاء وستعلق دواوينها على كل الجدران شماتة في قلبك الذي ما قدر هدايا فؤادها.

إليكما

ليس موضوع المفاوضات لأجل الأمن القومي بين دولتين بأكثر أهمية ورسمية من مفاوضاتكما داخل البيت كي يعم السلام.. مشكلتكما أنكما لا تأخذان الأمور بالجدية التي تنبغي.. السلام والسكينة هدفكما واستراتيجيتكما.

إليكَ

لم تدْرس كي تطبق عليها قواعد ما درست.. مسافة منعدمة بحساب الرياضيات، وبخل بمنطق أهل الاقتصاد، وتفكيك لكل حركاتها بدقة المهندسين، وانعدام للجاذبية بفهم الفيزيائيين، ونقد لكلامها بميزان الأدباء النقاد، وتشخيص دقيق لكل مواقفها بخبرة الأطباء.. ومحاولات متكررة لتصحيحها قبل تصحيح أخطائها بقلم المدرسين الأحمر.. ارفق بها وبنفسك، فلعلها درست في نفس المعاهد التي درست بها.

إليكِ

كلامهن يحفر في باحة شعورك، يؤثر فيك من حيث لا تدرين.. تجربتهن لا تنطبق عليك بالضرورة، وحلولهن التي ينتشين بمشاركتها هي أقرب إلى التخريب منها إلى الإصلاح.. يا سيدتي، إن كنت ولا بد منصتة لكلامهن أو مضطرة لحضور تجمعاتهن، فخذي الثمرة واطرحي النوى، وزني كلامهن بميزان الشرع، وانظري ما يوافق حياتك وحالتك، وإلا ففرار من سمٍّ يسري في حياتك مسرى النار في الهشيم.

إليكَ

كل كلمة وكل حركة وكل خطة من خططك لهزمها ولاحتقارها وللتنكيل بها، فرصة لإنفاد ما تبقى لديها من رصيد.. ولا تعلم بحق متى ستنتهي آخر شحنة ولا كيف ستنتهي.. ما هي سوى كتل مشاعر وأحاسيس تنضب إذا ما استُنزفت وتنضب معها طاقة التحمل.. فرفقًا بها.

إليكِ

يا سيدتي، تستطيعين تطبيق كل تلك الوصفات التي تجعل من زوجك خاتمًا في أصبعك.. تستطيعين جعله لا يأتمر إلا بأمرك ولا يتحرك إلا بإشارتك ولا يرى الدنيا إلا من خلال نظارتيك.. قد تتباهين بذلك، وقد تسول لك نفسك أنك انتصرت في تطويعه.. لكن لا تنسي أنك حينما ترومين دفن رجولته فإنك تدفنين قبلها أنوثتك.

إليكما

لا تجعلا من حياتكما قاعة للامتحانات يُخضع كل واحد منكما شريكه للاختبار.. القواعد التي تجس النبض، والدساتير التي من شأنها التصنيف، والموازين التي تقلب الموازين فتجعل من الطِّيبَة ضعف شخصية، ومن دوام الحضور انصهارًا وانسحاقًا، ومن اللطف صهوة يمتطي بها اللطيف، ومن الاندفاع

فرصة للزهد والتعالي على الشريك.. هي في الأخير قوانين للسطوة على العدو لا لامتلاك الحبيب.. عيشا اللحظات بعفوية، فإن القواعد تقتل الإحساس.

إليكما

لربما يحزنك الاضطرار إلى معاشرة من يصر على إحباطك أكثر من حزنك على إحباطك منه في حد ذاته.

ولربما يكون الذي يحزنك أكثر اختيارك- اضطرارًا- اتخاذ القرار ودفع مهر اختيارك.

إليكَ

لا تعرض أسرارها على أهلك، ولا تجعل منها شاي جلساتهم المتعطشة للْعَبِّ من نقائصها وهفواتها وتقصيرها إن كان.

أنت لباسها وأنت سترها وأنت المطالب باحتوائها وإصلاحها.. تنسى أنت تقصيرها إذا ما أحسنت وأصلحت، وتظل الصورة التي رسمتها لهم عنها راسخة في الأذهان.

إليكِ

قالت: فما بال عائشة رضي الله عنها قد جلست تحكي للنبي صلى الله عليه وسلم عن إحدى عشر امرأة في حديث أم زرع المشهور، ولم يتضجر من السماع لها؟

فقلت: لو لم يكن سوى حديث أم زرع دليلًا على فصاحة وبلاغة وبيان ورصانة وذكاء وفطنة؛ أمِّنَا عائشة رضي الله عنها وأرضاها لكفاها.

تراها- وحاشاها- قد سردت التفاهات وأسهبت وأطنبت وغرقت في التفاصيل، أم أنها أتت على كل قصة بأفخم وأجمل وأبلغ ما تسرد به القصص، في كلمات قليلة وبيان جَمّ؟

ولو لم يكن سوى هذا الحديث دلالة على حب النبي صلى الله عليه وسلم لأمِّنَا عائشة رضي الله عنها لكفى ووفَّى، وكيف وقد جلس إليها، وهو من هو، ومشاغله ما مشاغله- ينصت إليها وهي تروي له قصة إحدى عشر امرأة وما تضجر وما سئم، وما قال لها: وما شأني بذاك، ولا أسكتها قائلًا: «إنت رغاية».. بل فهم قصدها وأضاف إلى حسن الإصغاء طمأنة وتثبيتًا.

فرق كبير بين أن تتحدث المرأة لأجل الحديث، ولأجل أن تقيس- في أحيان كثيرة- درجة اهتمام زوجها بها، وإن لم يكن لها من ذلك الكلام غاية، وبين أن تشغفه بعذب كلامها وحسن انتقائها ما يقال، ومغازيها التي لا يخطئها فطن.

وفرق كبير بين مقاربة المشاكل والمتطلبات في حضور الحب والمودة بين الزوجين، وبين مقاربتها في غيابها.

إليكَ

لاشيء يقتل أنوثتها من الرجل؛ مثل عدم اهتمامه بها وإطرائه عليها وعلى مظهرها وملابسها وزينتها وعلى ما تقدمه من طبخ وحلويات واهتمام ببيتها وبزوجها.. قلة الاهتمام والثناء والمدح والاعتراف بجهودها يجعلها تتراجع في أدائها داخل بيتها، فالشكر والثناء في قاموس المرأة وقود حركتها وإبداعها، والطامة إن عوض كل ذلك بالنقد اللاذع والسخرية منها ومن شكلها ومن أفكارها ومما تقدمه.. قتل على نار هادئة وكسر للضلع إن اجتمعت اللامبالاة وانعدام المدح مطلقًا، وسيل من الانتقادات اللاذعة والتهكمات والسخرية في المقابل.

انعدام الهدية أيضًا يقتل جمال أنوثتها، خاصة تلك الهدايا الرقيقة التي تقتحم عالمها الأنثوي الجميل وتعزز فيها الثقة بنفسها أو تذكرها بطفولة قلبها.

انعدام الكلام الجميل أو على الأقل الطيب.. إن كان الرجل لا يحسن تنميق الكلام وإهداءها عبارات مودة رقيقة، فلا أقل من الإحسان إليها بالأفعال ومعاملتها بالحنان ومحاولة مخاطبتها بكلام طيب.

الابتعاد عن عالمها الخاص وعدم مشاركتها همومها وأفكارها

وطموحاتها يقتل جزءًا جميلًا من أنوثتها.

الجثوم على أنفاسها وجعل حركاتها تنفذ من خرم إبرة وبآلة تحكم «الريموت» ينسف شخصيتها ويخنق إبداعها

إليكِ

الدراسة والثقافة مهمة خاصة في وقت اختلطت فيه الموازين وكثر العبث والجهل، حتى تكون لك نظرتك الخاصة للحياة وحتى تصححي المفاهيم وتفهمي المبادئ وتعلمي رسالتك ودورك المنوط بك في المجتمع، لكن أعمال البيت لا تقل أهمية عنها.. فأنت أنثى قبل كل شيء، ومصيرك بحول الله إلى بيت زوجك، فماذا ستنفعك الدراسة والكشاكيل والأقلام وحدها وأنت أمية في أولى ما يجب أن تتعلميه؛ كي تكوني واثقة من نفسك، ولكي تنالي الحظوة عند زوجك؟

ليس هناك أي تعارض بين أن تكون المرأة طباخة ماهرة، وأنيقة مرتبة، ومثقفة مفكرة، وداعية إلى الله، وبين أن تكون زوجة ودودًا معشوقة، وبين أن تكون مربية أجيال.. فكل تلك رسائلها.. إن منحها الرجل الحب والأمان، ورأى بعين المحب المعجب إنجازاتها وإبداعاتها كي تجعل السعادة ترفرف على بيتها، وساعدها بحبه وامتنانه وثنائه وتقديره واحترامه على أن تكون

متوازنة نفسيًّا.. ستكون أنثى معطاء وقدوة للنساء.

كوني مبدعة معطاء ذكية لماحة، تفهمين حاجاته في عينيه دون أن ينطق بها.. والزمي حسن التبعل له، فهو جنتك أو نارك.. وقدر النعمة التي بين يديك أيها الرجل، واعلم أنك سبب سعادتها أو شقائها، وارفق بالأمانة المودعة عندك، إنك عنها لمسئول.

إليكَ

سنتفق أن هناك نساء يستحيل معهن النجاح في التغيير.. تلك حقيقة كونية لا يختلف حولها عاقلان،

فقط تيقن من أنك استفرغت الوسع، وبأنك قد استعملت الخطة المناسبة مع الشخصية المناسبة،

حتى في كرة القدم، هناك «تكتيك» وهناك خطة بديلة.

زوجتك أولى بها.

إليكما

أكبر الغبن أن تتوقفا عن التعلم.

الحياة درس لا ينتهي فلا توقفاها بتوقفكما عن طلب الكمال والرقي.

مادام في المرء رمق، فلا يقعدن عن طلب السعادة.

إليكما

سعادتكما في القرب من بعضكما وفي تعاونكما على مواجهة امتحانات الحياة، وفي تشارككما في تحقيق الأهداف والطموحات، انصهاركما في بعض لا يعني أبدًا ألا تتركا تلك المساحة الصغيرة الخاصة بكل واحد منكما، لا أتصور كيف من الممكن أن تبدو الحياة دون تلك المسافات التي ننشئها بيننا وبين من حولنا؛ كي نحتفظ بقليل حرية وقليل خصوصية، وقليل هدوء وسكينة.

تمامًا كما لا أتصور وجود آلة راقنة أو لوحة مفاتيح دون زر المسافة.

إليكَ

قال:» هي» منجم نكد وعصارة كدر فقلت: لعلها من أرضه نبتت، فليتفقد بذره.. قال: ليس بالضرورة، قد تكون هي أصلًا كذلك. فقلت: الأصل يُستأصل، والعوج يقوَّم إن وجد من يحتويه ويقبله كما هو، أو يعمل على التغيير بحكمة، فيعدل ما يستطيع تعديله ويقف عند ما يمكن أن يكسره التغيير. ثم استطردت: محروم ذلك الذي مازال لا يرى فيها سوى تلك المواصفات التي لا تفتأ تتناقلها الألسن.. موكوس من لم يلتق سوى بمن تسقيه حمم النكد، ولم ينجح في جعلها تمطر عذوبة وحلاوة لسان

وحسن عشرة.. مغبون ذلك الذي لم يكلف نفسه يومًا الاقتراب من مساحتها الخاصة والاستمتاع بفطرتها وأنوثتها ومفارقاتها العجيبة اللطيفة.. والاعتراف بأنها بهجة الحياة الكئيبة وعطرها المخملي ولحنها الدافئ الجميل.. محروم موكوس مغبون شقي تعيس.. فليسأل الله قطرة سعادة فإنه لم يعرف بعد كنهها.

إليكَ

الكرم والنخوة والمروءة والشهامة.. سحر الرجولة وعطر القوامة.

قد تقبل منك أن تكون قليل الكلام، قليل ذات اليد.. لكن أبدًا لن تقبل منك البخل ولا الخسة.

إليكَ

علام تتذمر؟ ومم تتسخط؟ ومن تلوم على الحقيقة إن أصابها إرهاق أو مرض؟

مرضها ابتلاء من الله سبحانه، ووهنها وضعفها قدر لم تختره ولم يكن لها يد فيه، فلا تلتفت إلى ما سيضيع عليك بسببه ولا إلى ما سيفوتك إن طال، بل أعنها على الصبر وعلى الرضا وكن قدوتها في ذلك، فإن تذمرك منها وانزعاجك من مرضها واتهامك لها بالتقصير عون للشيطان عليها، وزج بها في دركات السأم ولربما السخط من أقدار الله.

وتذكر أنك لو كنت أنت المريض لسارعت هي لأن تكون لك

نعم الممرضة ونعم المواسية ونعم المدلِّلة.. ولرأيت خفقة قلبها خلف الضلوع خوفًا عليك وتمنيًا لو كانت هي مكانك.

إليكما

ليس الحديث إليكما هنا كأزواج، ولكن كوالدين مسئولين عن تهيئة بناتكما للحياة.. تعزيز ثقتهن بأنفسهن وقوة شخصيتهن مما يعزى إليكما في ذلك.

من أول دروس العقيدة العملية التي يجب أن تلقن لهن: حسن التوكل على الله وتفويض كل الأمر إليه والاستغناء به سبحانه عن الخلق.. عليهن أن يتعلمن أن الله هو الرزاق الوهاب، وأن ليس لأحد منة عليهن في شيء وإن كان الوالدان.. إنما أنت أيها الأب منفق وإنما الرزق على من كفل لك رزقك معهن.. وعلى ذلك فلتهيَّأ البنت: إلى أن الزوج يبقى زوجًا وليس هو المنعم أو الرازق.. فلا تجعل زوجها كل مركز دائرة حياتها وكل تفاصيل الرواية.. فإن الحياة تضطر إلى الفراق، إن لم يكن بطلاق أو بزواج جديد فبالموت.. فلا يعقل أن تبقى المرأة مبتورة الجناح شريدة طريدة مبعثرة فقط لأنها فقدت زوجًا.. فالحياة لا تتوقف لفراق ولا لموت أو طلاق.

إليكَ

واعلم أيها الحصيف الرصين المتعقل، أنما النساء في النكد نوعان:

امرأة النكد فيها أصيل متأصل، ترفع لافتات الثورة على ردائها وشعرها ورضيعها ولا تسلم منها حتى صفارة طنجرة الضغط.. ولا تسل إن هي عثرت بالقرب منها على كائن حي راشد تنفس فيه كل غضبها وكل ثورتها، وتتذكر فيه بطولاتها القديمة حيث حازت- عن جدارة واستحقاق- وسام» أعظم نكدية على درب التبانة».

وامرأة قد أرهقها أن تثير انتباهك، وهدها أن تذكرك- في صمت- كل مرة أنها هنا، دون أن تبذل من جهتك أدنى مجهود وتكلف نفسك استحضار ذاكرتك لتعلم أن بالقرب منك كائنًا يتنشق الحياة من بسمتك، ويتنفس الهواء من رضاك، وقد تزهق روحه إن رأى منك الإعراض واللامبالاة.

ولأنك يا سيدي قد دأبت على اعتبار كل كلام منها تنبهك به إلى واجباتك نحوها «رغيًا» و «نكدًا»، فإنك بالطبع لن تكلف نفسك أن تتساءل عن مدى أحقية طلباتها، وعن درجة تقصيرك ودرك لامبالاتك بها، وستختصر- كي تعفي نفسك من التدقيق والتمحيص وتكلف القيام بما عليك القيام به- انتحابها وتوسلاتها لك أن تصلح من حالك معها، ستختزل ذلك كله في عبارة مختصرة:

« تنكد علي لتبتزني»

إليكِ

أوهميه- بضعفك في شموخ، تلك المفارقة العجيبة التي لا تحسنها إلا أنثى كاملة الأنوثة- أنك قد استسلمت لرأيه، تجعليه يذعن لرأيك الذي بحت به، وحتى لذاك الذي لم يولد بعد.

إليكَ

تستطيع أن تموه وأن تخادع وأن تكذب عليها وتحتسب في ذلك الأجر، وهي على استعداد دائم أن تصدق كذبك وأن تقبل خدعتك؛ لأنها غير قادرة في الغالب على أن تتهم وداعتك، ولا أن تتقبل بأن هذا المسالم يحسن تدبير الخدع. فقط أحسن الخداع، وكن بارعًا في أن تجعلها تطمئن.

إليكِ

أناقتك سر أنوثتك، لكن لا تجعلي كل الأنوثة أناقة.. حميتك، خصصي منها جزءًا لعقلك وثقافتك. لكم يحتاج العالم لعقول نسائية رشيقة، ولأفكار بناءة أنيقة.

إليكَ

أية علاقة زوجية تلك التي تُبنى على زرع الشك وزعزعة الثقة وجعل الزوجة تعيش على إيقاع الترويع والخوف وعدم الأمان؟ وأي عش ذاك الذي يُبنى على النضوب العاطفي والجفاء والجفاف؟

هل المرأة- حين انتقالها إلى بيت زوجها- كانت ينقصها في بيت والديها خبز وماء وملبس!؟ أم أنها في حاجة-بالفطرة والجبلة- إلى المودة والرحمة والسكن والإشباع العاطفي؟ وأية قيمة تلك لعبارات حب وحنان لم تخرج- إن خرجت- إلا تكلفًا وبعد طول شحذ وإلحاح؟

لا تتركها عالة تتكفف منك طيب الكلام، ولا تحوجها لإظهار فاقتها للود وللمشاعر.. (...إِنَّكَ أَنْ تَذرَ ورَثَتَكَ أَغْنياءَ خيرٌ من أنْ تذرَهمْ عالَةً يَتَكَفَّفُونَ..)

وإذا قلتم فانتقوا من القول أحسنه، وأغنوا، يغنكم الله من فضله.

إليكَ

إن كنت ولا بد مُنكدًا عليها، فأجمع كل كلماتك وكل حركاتك وصبها عليه دفعة واحدة، ولا تُقطِّر عليها نكدك كما السم البارد، فتقتلها في اليوم مليون مرة. (إذا قتلتم فأحسنوا القتلة..)

إليكَ

إذا كنت تبحث عمن تعوضك حلمًا قد ضاع من بين يديك، فاعلم أنك تضيِّع المستقبل كما ضاع منك الماضي.

ما ذنبها أن تتقمص دور «الكومبارس» في حياة كانت تود أن

تكون فيها البطل والكاتب وفصول الرواية!؟ وأن تعيش عمرها رشقًا لمقارنتها بمن لم يكن لك معها نصيب؟

إن كنت ولا بد باحثًا عن ارتباط، فأغلق ملفاتك القديمة أولًا.. أحرقها وانفض عن أعماقك ما بقي عالقًا بها من رواياتك البالية.

وإلا فلا تظلم نفسك وتظلمها.. وتفني ما تبقى لك من عمر تضفر جدائل الندم والحسرة.

التردد في حقك واجب، والعزوف عن الزواج في حالتك أولى من أن تطرق بابًا تعرضه للرياح والعواصف والرعود.

إليكَ

صورة متكررة في الكثير من البيوتات:(دخل على حين غفلة وهي أمام المرآة، في محاولة للقيام بالترتيبات الأخيرة استقبالًا له، شزرها بعينيه وفغر فاه ضاحكًا بهستيرية، وقال لها في استهزاء:« لا أدري لم تتعبين نفسك، لا شيء سيتغير ولو أحضرت مزينات العالم..» (و الحمد لله على اللغة العربية، تخفف وطأة المقال، وتلطف من وقع صواريخ الكلمات، ولكم أن تتصوروا هذا الكلام بلهجة محلية) أيها الزوج، هل علمت كم أمضت تلك المرأة من الوقت أمام المرآة وهي تحدث نفسها بقوله صلى الله عليه وسلم:(... وإذا نظر إليها سرته..الحديث) وكم أجهدت نفسها

لتحقق هذا الجزء منه؟ هل استشعرت أنما تعبها ذاك لأجلك أنت ولأجل إسعادك؟ أيها الزوج، إن لم تكن ممن يثنون على زوجاتهم، ولا يمدحونهن، فعلى الأقل اصمت ولا تستهزئ ولا تزدرِ، فوقع مثل هذه الكلمات على المرأة كوقع الخناجر، بل أشد (جراحات السنان لها التئام.......ولا يلتام ما جرح اللسان) فما بالك لو كانت هذه المرأة فعلًا جميلة ومهتمة بنفسها- وما من أنثى إلا وقد حباها الله قسطها من الجمال- وأنت إنما تمطرها بوابل كلماتك «العنقودية» محاولًا تشكيكها في قدراتها وإفقادها الثقة بنفسها.

اتق الله، فإنك مسئول أمامه سبحانه عما يمكنه أن يحصل لها من تداعيات بسبب هذا النوع من التصرفات وهذا النوع من الجرح والإيلام.. واعلم أن كلمة مدح بسيطة، ستعود عليك أنت بالفائدة قبلها.. ولكنه الكبر والتجبر والعناد.

إليكِ

«نظرت إلى المرآة، وتحسست وجهها الشاحب الممتقع. مررت يديها على شعرها المنفوش المتمرد، لا لتهدئ من روعه ولكن في محاولة لردع بعض الخصلات المتساقطة على جبينها وردها إلى مكانها، هناك حيث ثارت باقي أخواتها. منذ متى لم تقف أمام المرآة لتعالج هذا القحط الذي سببه الإهمال؟ شهر؟ شهرين؟ ربما أكثر.

تذكرت، آخر مرة حينما كانت ذاهبة لحفل عرس أختها، الصيف الماضي. كانت تبدو وكأنها عروس. كم كان زوجها سعيدًا.. مسكين، ظن أنها قد عادت إلى تلك الأيام، حينما كانت تمضي جل وقتها في بحث عن التميز. وما الذي ذكرها الآن بالمرآة؟ أهو الحنين للأنوثة؟ أم أنها تذكرت أجر إسعاد الزوج؟ وقفت لتتأكد من أن منظرها على «أسوأ» ما يرام، فقد اقترب موعد رجوع زوجها.. ابتسمت، فالأمور تسير كما خططت لها؛ لكنها سرعان ما رأت قسمات وجهها تنفرج؛ لتفصح عن جمالها فعادت للعبوس وتقطيب الجبين. وفي عجرفة وتطاوس:» لا أحد يستحق أن أكون سببًا في جذله.. لعله يعترف أنني كما أستطيع إسعاده، أستطيع أيضًا أن أجعله أتعس رجل في العالم..»

أنوثة.. مع وقف التنفيذ، وفي الاختصار أحيانًا غنى عن تفصيل وتطويل وطول شرح وتقريع.

إليكما

بيت لا تقوى فيه، أهله شباعى حتى الثخمة من حبائل الشيطان ومكائده، وتنوحان وتنتحبان، وتتساءلان ما لهذه السعادة قد طال غيابها، وما لراحة البال وللسكينة قد أخطأت طريقها إليكما.

إليكَ

كم هو مؤسف أن يضطر الورد إلى أن يدلل على أنه ورد، وأن يضطر الماء إلى أن يدلل على أنه رقراق، وأن يضطر اللجين إلى أن يبرهن على أنه براق، وأن تجد المرأة الضعيفة نفسها مجبرة على الصدح بأنها ضعيفة. أكثر ما يكرب المرأة ويجعلها تقف على حافة الانهيار؛ أن تحوجها إلى أن تقول لك ها أنا ذي، تخبرك بوجودها في حياتك، أو إلى أن تصرخ وتكرر: « ارحم بالله عليك ضعفي».

إليكِ

أجِّلي جلسة الهاتف والحديث عن آخر ما صنع» الشيف» فلان والطباخة فلانة إلى ما بعد الطبخ، والحلقة على كل حال تعاد أو تجدينها متى ما كنت متفرغة على النت. أجِّلي جلسة الهاتف وجلسة الفيس، بل حتى جلسة مراجعتك للقرآن، وقد حان موعد رجوع زوجك للبيت. لديك كل اليوم كي تراجعي أو تقرئي أو تحفظي، فلا تجعلي قراءة القرآن ذريعة لتغطي على فشلك في إدارة بيتك.

إليكِ

قد تعذرين في انزعاجك إن تفرد بشراء آلات المطبخ والثريا وأطقم الصحون والأكواب وستائر البهو والأفرشة دون أخذ رأيك، وخالف في ذلك ذوقك واحتياجاتك وما كنت تخططين له

وتصبين إليه، خاصة أن مثل هذه الأشياء من المتعذر بعدها تغييرها أو الحصول على غيرها في وقت قريب، فتسألينه أن يصحبك مرة قادمة للاقتناء، أو على الأقل أن يأخذ رأيك فيها قبل أن يقدم على ذلك، لكن أن تقيمي الدنيا ولا تقعديها بسبب أشياء بسيطة صغيرة اقتناها فترة التخفيضات أو من عند البائع المتجول المطحون بعجلة الحياة مساعدة منه له، فلا أحد سيعذرك في ذاك.

والأكثر من ذلك كله، أن ترفضي هداياه الصغيرة الخاصة بك، تلك التي قد تختلفان فعلًا حولها من حيث الذوق، وربما من حيث الحاجة، فلربما حاجتك ماسة لغيرها، لكنها تبقى هدية، قد عبر بها لك عن شغلك حيزًا في قلبه وفي وجوده، وبأن رحى الحياة لم تنسه أن يقطف لك منها شيئًا لك خاصًّا قد غلت قيمته ليس بما بذل فيه من أموال، وإنما بذلك الإحساس النبيل وبروح البذل والعطاء والإيثار.

إليكَ

أن تغيب وتعود، وتخيب وتصيب، وتخطئ وتندم، وتعدها ولو كذبًا بالتغيير= قلبك ما زال حيًّا، وجذوته ما زالت مشتعلة، والخير ما زال يرجى منه، فإنما أنت بشر تخطئ كما تخطئ هي، ولست معصومًا من الفتنة ولا من الزلل، أن تخبرها أنك كما أنت،

وأنك ستبقى كما أنت، وأن «الأمر سيبقى على ما هو عليه وعلى المتضرر أن يلجأ إلى القضاء»= قطعت حبال الود وسمط الرجاء، واجتثت من القلب فسائل الحياة.

إليكِ

وإذا ما رجع أيتها الزوجة واعترف، فلا تكثري الملامة، ولا تجعلي من لحظة بوحه واعتذاره ووعوده بالغد الأفضل فرصتك لشماتتك أو لتنمرك عليه. ولا تصرِّي على تحسيسه بتفضلك عليه بقبول عذره، ولا تجعلي من تلك اللحظة ساعة لتقليب الصفحات السوداء القديمة، ولا لاجترار الألم واستحضار كل صحائف أخطائه العتيقة، إنما هو يحتاج حينذاك لسماحتك وتغاضيك وتقبله واحتوائه، وتجاوزك على تلك الكبوة بحنانك وقلبك الكبير، ولفتح صفحة جديدة، إلى حين زلة جديدة. وليكن لك فيه أسوة، أن تؤوبي إذا ما أخطأت، وأن تعترفي كما فعل.

ويبقى الزلل صفة بشرية إلى أن يرث الله الأرض وأهلها الخطائين.

إليكما

اجعلا من التصادم والتواجه فرصة لعودة حثيثة للمودة وللصفاء، ولبداية جديدة جميلة تنسى فيها ما كان منه تنغيص الحياة.. واجعلا من العودة ساعة للصفح الجميل.

إليكَ

لو استحضر كل رجل أنَّ المرأة ضيف عنده في بيته، وأن من حق الضيف الإكرام والإيثار، وأنَّ الكرم من شيم الرجال النبلاء، لما توانى لحظة في الإحسان إليها. فما بالك وهذا الضيف قد هاجر الأهل والعشيرة، ولربما فارق الديار، وغادر مرتع صباه وذكرياته، فاستودع عندك قلبه وعمره وكل كيانه، وأبت روحه السكن إلا إليك، واحتمى من ضعفه فيك، واستجار من وحدته بأنسك، وقرر أن يهديك السعادة يلونها لك بألوان الربيع، وجعل كل تضحياته لأجلك ولأجل إعانتك على نوائب الزمان، ولربما على دينك وأمر آخرتك، أفما يستحق هذا الضيف إحسانًا ومودة ورحمة واعترافًا بالجميل؟ وما بالك لو علمت أنها أسيرة عندك.. هل تمعنت يومًا في قوله صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الله في النساء، فإنهن عوان عندكم..) الحديث. هل استشعرت معنى أن تكون أسيرة عندك، لا تملك لنفسها شيئًا، يمنعها الميثاق الذي بينكما أن تتصرف باستقلالية، وأن تتفرد برأيها وحياتها وقراراتها. لا تأكل إلا مما أنفقت عليها منه، قليلًا أو كثيرًا، ولا تلبس إلا مما كسوتها به، ولربما تؤثرك وأبناءك على نفسها؟ فقط، ضع نفسك مكانها وحاول أن تستشعر ما ستشعر به وتلك حالتها وأنت تتسلط عليها، وتستعلي عليها وتتجبر، مذكرًا إياها بمناسبة وبغير مناسبة أن ما هي إلا أنثى ضعيفة وأنت الرجل.

إليكِ

همسة: احذري أن تأمني طول العشرة، وأن تركني إلى سالف محبة وعهد، وأن تكتفي في حياتك بالروتين والمتاح حتى يدب فيها السأم، وأن تتكئي على أنه ذات سعادة رآك بعين المحب، فجعلت نظرته تلك خالدة أبدية لا تتزعزع بطول مكث.. واعلمي أنه لا شيبة الرأس ولا طول عشرة ولا تضحيات ولا بنين ولا بنات ستلزم رجلًا بالوفاء في غياب المشاعر الفياضة والتفاهم الروحي.. جددي مشاعرك واسْقها حتى تنمو وتترعرع، وعبري عنها بشكل هادر، واجعليها أول أولوياتك فالمنافسة بالخارج على أشدها، واحذري من ذلك الحب الأمومي المهووس، الذي يجعل من دورك فقط السهر على راحته ومسح الحزن والكآبة عنه، فليس ذلك فقط ما يرج قلب الرجل ويسعده ويملكك إياه، ولا يختلط عليك مع مشاعر الحب الرقيقة.

إليكَ

وَكْسٌ.. أن تكون زوجتك خفيفة الروح خفيفة الحركة كبيرة القلب.. ذكية طموحة.. تحسن التبعل وتحس بالكمال والسكينة معها.. ثم تعمد أنتَ إلى اختزال كل عيبها في واحد أو اثنين تقرر أنهما يغطيان على كل ما مضى من صفات.

إليكِ

زوج بطيء الغضب سريع الفيء.. حمول متفهم لبيب.. يغدق عليك من عاطفته قبل جيبه.. توِّجيه ملكًا، فإنه يكاد يكون وليًّا أو صدِّيقًا.

إليكما

الصدق والثقة والوفاء والأمان.. كنوز ثمينة إذا فقدت؛ فعلى علاقتكما السلام.

إليك

الحدس عندها مصفاة المشاعر.. قلما يخطئ إحساسها القوي، وقلما يترك في عقلها بذرة عقل أو رزانة.. الطفل المشاكس النائم في أعماقها قد يوقظه في لحظة استنشاق ذرة فكرة قادمة من وراء المدى.. أو تخمينٌ مسافرٌ عبر مركبة الزمان.

إليكَ

واجباتك تجاه أبنائك ومسئوليتك عنهم أمام الله لا يعفيك منها فراق ولا شقاق ولا بغض لأمهم.. فهيئ الجواب إذا ما سئلت عنهم غدًا بين يدي الله، ونمق ردك حينها إن استطعت واجعل كلماتك توري عنك تملصك.

وكفى بك إثمًا- إن لم يكن لك من إثم - أن تضيع من تعول.

إليكِ

من حقك أن تطالبي بحقوقك تلميحًا وتصريحًا، وبكل ما أباح الله لمظلوم أن يفعله حتى يحصل على مطالبه.. لكن قبل ذاك، تأكدي من أن ما تطالبين به حق وليس اعتداء.. وبأنك مازلت على عهدك القديم، ضلعًا ضعيفًا يستمد السكينة من كنفه والدفء من بين ضلوعه.. وروضة غناء لا تبغي برفعها رايات الاحتجاج إلا أن تطالب بعودة طيرها المهاجر إلى عشها الدافئ.

إليكِ

اجعليه حاكمًا بإرادتك.. يسلم لك التاج والعرش وزمام الحكم.

#إليكَ

أوهمها- بذكاء وحنكة- أنك قد استسلمت لرأيها.. تجعلها تذعن لرأيك الذي بحت به.. وحتى لذاك الذي لم يولد بعد.

#إليكما

وإني لا أرى من سبب في المشاكل الزوجية أكبر من قلة الفطنة والذكاء من الطرفين.. ومن موروثات المجتمع العقيم.. زوجان- كما الدونكيشوت - يحاربان طواحين الهواء.. وكل منهما ينشد غلبة ونصرًا.

إليكَ

قد أباح الله لك تطييب خاطرها ولو بكذبة صغيرة تبجحها بها كي تبجح لها نفسها.. فقط لتحسن الكذب ولا تجعل المبالغة تشي بك.

حينما زل يومًا وقرر أن يخالف قاعدته في عدم مدحها ولو مازحًا، ذيَّل كلامه بقوله:

«تعلمين يقينًا أن الله أباح الكذب في مثل هذه المواقف»

(كان يتقن الكذب في كل شيء، إلا في شيء قد أباحه الله له وجعل به تطييبًا لنفس زوجه، وتسكينًا لروحها المضطربة من فرط الجفاف.. ولأنه يعلم أن كلامه قد يشبع أنوثتها الجوعى لكلمة دافئة تلف بها كيانها كي لا تحترق بصقيع الصمت.. فقد قرر عدم الكذب).

إليكِ

زوجك الآن عائلتك وأهلك وكل وطنك.. لا تجعلي لمملكتك حاكمًا غيره.. وإن كانت أمك.

إليكَ

اجعل من بيتك فيئًا تستظل فيه وخميلةً تستجم فيها روحك بعد يوم حافل من التعب والضغوطات.. كن لها ومعها بكل وجدانك، تنسى حالك في سؤالها عن حالها.. تحسن الإصغاء لآلامها وأحلامها.. تتعاطف معها وتحمل عنها ما يتعبها ويضنيها.. تحتضن

همها وتسند ظهرها، وتحس أنت بالأمان إذ ترى الأمان مشرقًا في عينيها: آمنة بالقرب منك مستأمنة حضنك عمرها وحلمها.

كن لاجئًا عاطفيًّا حقيقيًّا إليها.. وستحسن إيواءك.

إليكما

(هو) الوطن.. و(هي) الوطن.. وكلاهما يطلب اللجوء السياسي.

إليكَ

إذا ما حملت حقائب هجرتها إليك ورمتها العواصف إلى حضنك تنشد السلم والسلام.. فكن لها الوطن الحاني.. لا ذاك الذي عهدته يطرد أبناءه يلجئهم إلى الهجرة.

إليكما

السخافات تقتل المودة.

إليكَ

كونك مثقفًا لا يفرض عليك أن ترتبط بمثقفة، تستطيع أن تختارها متوسطة التعليم لا شأن لها بعالمك، فقط تأكد من أنها مستعدة لأن تهيئ لك جوًّا هادئًا في بيتك تحقق فيه طموحاتك، وبأنك لن تشعر يومًا ما بأنك في حاجة إلى من تفهمك وتشاركك مشاريعك، فتبغضها وتجني عليها وعلى أولادك.

إليكِ

قد جربت الاستئساد والتطاول ومنازعته كينونته.. فما جنيت غير الحسرات والأوجاع، جربي لذة الانتماء. فقوامته لك وطن ورجولته مرفؤك الذي ترسو به سفينتك الآبقة، ونشوة الخضوع في شموخ.. والفرار منه إليه لا إلى شيطانك الذي يؤزك على الشرود.

جربي فقط.. ولن تندمي.

إليكِ

وما كل هذا الجمال المحلق حولك، المتربص ببسمتك سوى صورة للطفل النائم في أعماقك، يتحين فرصة للإعلان عن جنونه وهذيانه وبراءته.. جنون العقلاء، وهذيان الأسوياء.. وبراءة ذكية.. لا براءة السذج البلهاء

إليكَ

ما ضرها منك أن تُضيع بوصلتك طريقها، سوى أن تضيع أنت بين القوافي، وتفقد هي سر الكلمات.. وما ضرك ألا تقتفي جدائل الزنابق، سوى أن تتوه هي عن نجمة الليل العنيدة، وتخطئ أنت نبض العبق.

العطر يُجسُّ يا سيدي،

لا يراق.

إليكما

مدار الأمر على الأرواح، والمحظوظ - ذكرًا كان أو أنثى - من رزق الزوج الذي تسكن إليه روحه.

محاولات الإصلاح في غياب التفاهم والتآلف والتشارك الوجداني، لا تعدو أن تكون اجتهادات لأجل إقامة قانون التعايش.

قد نصلح كل شيء حولنا.. لكنَّ الأرواح لا تنصلح.

إليكَ

الجفاء قتل على نار هادئة.. والقلب العتُلّ مضغة ما نفعها أن تضخ الحياة إن لم تكن لتنبض حبًّا ومودة.. أعاصير العواطف الباردة أول ما تعصف به كيان حاملها.. هونًا ما.. هونًا ما.. هونًا ما.

إليكِ

ظلمه لك وتسلطه عليك لا يعني بحال أنك دائمًا مظلومة، وبأنك إن حبست شرك عنه فلأنك تودين العيش بسلام.. هو ظالم أو لنقل هو الأكثر ظلمًا، لا لأنك أقل إتقانًا للشر، بل لأنه الأقوى؛ ولأنه في منظومة حياتكما يتمتع بصولة أكثر.

إليكما

ماذا قدمتما لحياة ما بعد الستينيات؟ أطال الله في الخير عمركما.. عيشا السعادة الآن وخططا لما به ترتاح النفوس حينما تعثو في الأجساد الأيام

إليكِ

لا تنتظري أن ينبهك إلى ضرورة اتباع حمية قاسية مستعجلة وأنت لمّا تتنبهي لذلك، فقد يطول انتظارك فلا يقول، وقد لا يطول انتظاره أن تتنبهي لنفسك فتكوني حينها مضطرة للانتماء إلى أكاديمية العين الحمراء جناح الساطور قسم التفصيل والتقطيع؛ وأنت ترينه قد اختار من دونك من لن تكلفه عناء التنبيه.. لا تتحججي بشيء فكل ما تحتاجينه همة عالية وطموح كي تصلي لبغيتك.. الشبكة العنكبوتية مليئة بأنواع الحميات حسب الطاقة والرغبة، والمعدات الحديثة لم تعد جدُّ مكلفة، وقبل هذا وذاك نظام غذائي وعشاء منفي وحركة مستديمة ومشي يومي يغنيك عن كثير معدات.. لا تنتظري أن يطول انتظاره أو ألا يطول.. هي صحتك قبل أن تكون رشاقتك.. وقبل أن تكون ملحظًا منه أو حجة للتغيير.

إليكَ

اهتمامها بنفسها وببيتها وبك بشكل خاص اختفى فجأة، وتلك التي كانت من بسمتها تشرق الحياة ومن نشاطها وخفة ظلها تستمد بهجتك وراحتك صارت كئيبة حزينة صامتة منزوية.. ليس تمردًا ولكن احتجاجًا.. طريقتها الأنثوية كي تشعرك بدورها في

حياتك ووسيلتها لتنبيهك أن شيئًا ما ليس على ما يرام.

هي لا تسألك حينها سوى التنبه إلى تقصيرك، ولا تنتظر منك سوى الاحتواء.

إليكما

الكثير من المشاكل الزوجية سببها أن يكون لأحد الزوجين فلسفة واضحة في الحياة وفي التعامل مع الآخر بل في طرق الإسعاد والتفنن فيها، ويكون الطرف الآخر سطحيًّا يعيش سبهللًا، لا يطور من نفسه ولا يتابع مشهد التطور والإبداع في الآخر، بل لا يعترف به.

إليكما

أكبر مسبب لهذه الفجوة بينكما، طبيعتكما المختلفة.. أنت تمنحينه ما ترين أنه سيسعده- من خلال نظارتك الأنثوية- وتمضين حياتك في غرفة الانتظار لما سيجود به وفاءً وامتنانًا وتقديرًا لمجهودك وتضحياتك وتفانيك من أجل إسعاده، وفي المقابل، هو يمنحك ما يحتاجه هو من خلال طبيعته وفطرته الذكورية.. كلاكما يمنح، لكن من خلال ما يحتاج إليه هو لا من خلال وضع نفسه في مكان الآخر.. وهذا في الغالب سبب الزوابع والعواصف التي تؤدي في حالات كثيرة إما إلى الانفصال، أو إلى الطلاق الروحي وإكمال الرحلة من أجل الأولاد فقط.

إليكَ

لا تحجر على تصرفاتها ولا تجثم على أنفاسها بملاحظاتك عليها في الصغيرة والكبيرة.. دع لها مساحة شخصية صغيرة تتصرف فيها كما تحب هي مادامت تزن تصرفاتها بميزان الشرع والرقابة.. إن تفعل، تعلمها إذًا التمرد والمشاكسة.

حريتها.. سر إبداعها.

إليكَ

جافة،عصبية، لا تحسن أن تتبرج بكلمة حب وحنان.

تنبه إلى أنك أنت معينها، وموردها الذي تنهل منه، وإلى أنها من أرضك نبتت، فانظر أنت إلى ما زرعته.

فليس جفاف الروح إلا بجفاف الأرواح حولها.. يتسرب إليها عواء الرياح، ويُمنع عنها القطر فتصير هشيمًا يتقاذفه الأثير.

إليكِ

يسيء إليك، لا يتفهمك، كثير العصبية ويصرخ لأتفه الأشياء، لا يضع عن عاتقه قلمه الأحمر طول اليوم في محاولة لانتقاد كل شيء منك، ابتداء من شكلك، ووصولًا إلى طبخك ومعاملتك للأولاد، لا يشاركك همك ولا يقترب من مساحة شعورك وأحاسيسك ولا يحسن إليك.. فهل يعفينا كون من نتعامل معهم

لا يفهمون معاني المودة والرحمة والإحسان من أن نؤدي حقهم علينا؟ إنما الوقوف بين يدي الله وسيحاسبنا على التقصير، فهل يمكن بحال أن يكون جوابنا: هم لا يقدّرون ولا يفهمون؟ لن يقبر معك ولن يحشر معك ولن يتحمل معك الحساب والعقاب، فانظري من تعاملين على الحقيقة.

إليكما

وتركض السنون، وتذهلان عن عمركما الذي فتَّتهُ المشاكل ومزعته الاضطرابات ومزقه عدم الاستقرار؛ ليرمي بكما خريف العمر إلى صخور الحقيقة الشائكة.. كان بإمكانكما أن تعيشا لحظات سعيدة، وأن تغتنما أجواء الشباب والحيوية، لكنكما أفنيتما العمر في النكد وفي السأم وفي التضجر من بعضكما.

هي حياة واحدة.. تذكرا.

إليكما

في الحياة أشياء أهم وأرقى وأنبل وأكثر قيمة من شكليات وتفاهات تقيمان الدنيا عليها ولا تقعدانها.

لو تأملتما في أكثر ما تتجادلان بسببه!، ولربما ما يوصلكما أحيانًا كثيرة للأبواب المسدودة، ستجدان- في الغالب- أنها أشياء تافهة لا تستحق أن توقفا سير الحياة لأجلها.

لو انشغلتما بعظام الأمور وبما تجتمعان عليه لأجل إعمار أخراكما، وكان تعاونكما على ذكر وقرآن وصيام وقيام وتصحيح عقيدة وشحذ إيمان وما منه صلاح الآخرة بالدرجة الأولى، لما وجدتما وقتًا أصلًا للعراك وللجدال.. إنما هي حياة عابرة لا مقام بها وإن طالت، وإنما هي المركب الذي يبلغكما شواطئ الأمان، فلتسم همتكما، ولتعانقا الرقي والسمو، ولتطلبا الكمال هناك، فأما هذه ففانية آفلة متقلبة.. ما صفت يومًا لأحد حتى لخير البشر صلوات ربي عليه وسلامه.

إليكِ

تعلمي فن الطلب وفن المطالبة بما تريدين أن يحققه لك.. لا تنتظري أن يفهم من تلقاء نفسه دون تدخل منك.. نبهيه بود وبشكل مباشر بما تودين أن ينجز لك أو أن يساعدك فيه.. إن أنت انبريت لعمل كل شيء بنفسك وتحملت مسئولية ذلك ودأبت على ذلك سنين، فعلام تلومينه الآن؟ وما الذي يجعلك في هذه اللحظة بالذات تنتظرين منه المبادرة وتسمحين لكأسك أن تفيض؟

منهُ # إليكِ

زوجتي الغالية، انتظرت كثيرًا أن تعود البسمة لشفتيك، وأن تدب الحياة في البيت من جديد بدبيبها في أوصالك، لكنَّ شيئًا

ما قد حدث فغيرك.. كم يتألم قلبي- وإن لم أتكلم- وأنا أرى هذا الذبول على محياك وتلك الإشراقة التي كانت لقلبي البلسم قد غادرت لغير رجعة.. انتظرت وانتظرت أن تعودي كما كنتِ.. لكنني حينما أيقنت أن الخطب جلل، ها أنا ذا أستعير المداد لبوح عجز عنه اللسان.. ما ألفتك- مذ انتقلت من بيت أبيك إلى رحاب قلبي- إلا فراشة مرحة وعصفورة فرحة.. بلسمًا للجراح وشفاء للقلب العليل.. فإذا بك تمضين جل وقتك واجمة ساهمة.. الدمع لا يفارق مقلتيك والحزن قد استوطن طاردًا البسمة من شفاهك.. فماذا بالله قد دهاك؟ أعلم أنني انشغلت عنك في المدة الأخيرة، أقصد في الشهور الأخيرة، لكنها لقمة العيش.. أشقى طول اليوم كي تنعمي بالراحة.. أؤمن مستقبلك ومستقبل أولادنا.. أم كنت تودين أن أظل يومي في البيت إلى جانبكم؟ ختامًا أقول لك، عودي كما كنت فقد طال غياب الفرح عن بيتنا وأنتِ السبب.

منها # إليكَ

زوجي العزيز، لست أدري أأسعد أنك أخيرًا قد تنبهت وفطنت وعلمت أن هناك قربك روحٌ تئن، وقلبٌ تتسرب قطرة قطرة منه الحياة، وموتٌ بطيءٌ يتخطفني.. أم أحزن أن تعطلت بيننا لغة الكلام لحد لجوئك إلى الحرف تستعيض به عن كثير

قول وملام.. لكن على كل حال، ها أنت قد قلتها، قد كنتُ كما النسيم يتسرب بين دمك و أديمك، وكما العصافير أملأ دنياك شدوًا وتغريدًا.. وها أنت ذا تتساءل لم كفَّ النسيم عن الهبوب ولم صار الشدو شجنًا؟ ولم تطل حيرتك فوجدت لتساؤلاتك ردًّا، هو واحد من بين ردود كثيرة اختزلتها أنت في غيابك المستديم عن البيت من أجل اللقمة.. ويا ليته كان غيابًا فقط خارج البيت وليس وأنت بين جدرانه.. كم مرة هممت أن أبادرك بالسؤال إن كان بيتنا قد أصبح نزلًا، للنوم من أجل استئناف رحلتك، لكنني كنت أحجم في آخر لحظة، فشتان بين أن تفهم من نفسك احتياجاتنا، وتعلم أن للحياة الزوجية حقوقًا وواجبات، وبين أن أنبهك إلى أن الشمس أصلها الإشراق وأن الماء وصفه أنه رقراق، وأن اللجين براق.. زوجي العزيز، تخونني العبارات وتخنقني العبرات، ويتمنع الحرف علي، لكن دعني أقولها لك باختصار: ليس كل ما نحتاجه لقمة عيش.

إليكما

من بين أسباب أكثر المشاكل الزوجية شيوعًا:

- التبلد والابتعاد عن الملاحظة الذكية للأحداث اليومية التي نمر بها.

- عدم إشراك الشريك(ة) تأملاتنا وخبراتنا الجديدة والاعتماد على قراءتهم لأفكارنا، في حين أن المشاكل المتكررة قد تخلق

فجوة بين الزوجين في غفلة منهما، وتزيد اتساعًا مع الأحداث اليومية حتى البسيطة منها.

- رفض مشاركة الشريك(ة) أفكاره ومشاعره والإصغاء لها بتفهم وحنان.

- الإغفال عن أن هذه المشاركة هي ثقة لا بد من مقابلتها بثقة مثلها.

- الهروب من العلاقة ومن المواجهة بالانزواء في عالم داخلي أو عالم خارجي بديل.

- الإخفاق في التعبير عن ذواتنا بوضوح وصراحة وفاعلية.

- الهروب من النقد واعتباره خطرًا يهدد صورتنا المرسومة لذواتنا، في حين أن النقد الإيجابي الخلاق يهدف إلى التغيير والإصلاح.

- عدم تقبل حقيقة أننا نمتلك من الصفات السلبية ما يجعل الآخر ينتقدنا.

- التركيز على رغباتنا واحتياجاتنا دونًا عن رغبات واحتياجات الشريك(ة).

- الخوف من التغيير واختيار الهروب أو التغيير خارج العلاقة الزوجية الراهنة.

إليكَ

وإن لك عليها لحقًّا عظيمًا، وإن لم يكن لها من هاجس سوى أنك جنتها أو نارها فكفى به هاجسًا.. فأعنها ولا تعن الشيطان عليها، وخفف عنها الابتلاء ولا تعسر عليها الامتحان، واحرص على أن تكون بحق جنتها في الدنيا والآخرة.. لا سببًا في شقائها في الحياة وسُحقها من رحمة الله بعد الممات.

إليكَ

تلك المساحة الفارغة التي تتركها بينك وبين زوجتك، وتلك الفجوة التي يشكلها الصمت العقيم المحمل بالعتاب الأبكم والحنق الصامت، مرتع خصب لهواجسها ولظنونها ولتشكل أفكارها كما تريد هي؛ لا كما يجب أن تفهمها منك أنت.

صمتك في قاموسها زهد فيها، وكلامك المقتضب معها لامبالاة وقتل على نار هادئة.. أهون ألف مرة عندها أن تمزعها بسكين مشحوذة، أن تصيبها في مقتل.. على أن تتركها أسيرة الهواجس الهوجاء التي يحملها الصمت العقيم.. دقائق مستقطعة من وقتك الثمين، تسأل في شغف عن أحوالها، وتنصت في اهتمام إلى كلامها الذي تعتبره أنت ثرثرة، لن يكلفك شيئًا.. وإذا ما لحظت يومًا صمتها، فاعلم حينها أنها ليست على ما يرام.

إليكِ

حينما يقرر أن ينزوي في كهفه وأن يصمت، عليك أن تفهمي بأنه قد حدد مساحته الخاصة به، وبأنه ممنوع عليك أن ترتعي في حماه.. اعذريه، ولا تؤاخذيه على التقصير وعدم الاهتمام والرعاية.. ولا تحاولي بحال أن تقتحمي خلوته ولا أن تكسري صمته باستنكار أو باقتراح حلول ولا حتى بتعاطف أو مواساة.. ولا تجلسي بباب كهفه تنتظرين بفارغ الصبر خروجه كي تصبي عليه وابل أسئلتك أو غضبك.. ابتعدي قليلًا وانشغلي عنه وعن التفكير في حاله بما ينفعك وينفع الأسرة، فإنما هي فترة وسيعود أفضل مما كان.

إليكما

الصمت المشحون.. قتل على نار هادئة.

إليكَ

تريد طريقة سهلة مختصرة لفصم عرى المودة بينكما؟

أخبرها- بكل الطرق- أنك لا تستأمنها ولا تأمنها ولا ترتاح لها.. وأن وجودها لا يزاحم من حولك وحولها.

لا تغفر زلاتها إن زلت، واخلع عنها الملائكية التي تفترضها فيها، واعتبر ذلك آخر عهدها بالآدمية، وألحقها بالشياطين تنازعهم شيطنتهم.

امنعها الدفاع عن نفسها ولا تقبل عذرها، وإن احتضرت وهي

تعترف، ونزفت وهي تعتذر، واعتنقت كل فلسفات طلب الصفح والعفو، ولا تكتف بذلك بل اجعل لها وردًا من التذكير تشنف به مسامعها في كل حين.

أخبرها، بما لا يسعها معه شك ولا ارتياب، أنك مستغن عنها وعن دورها في حياتك، وبأن وجوده وعدمه عندك سواء، بل عدمه أفضل وأجمل وأطيب لك.

نهنئك،

قد فزت في مشروعك الإقصائي لمودتها، واستطعت- بمهارة وعن جدارة واستحقاق- أن تذبح بسكين إصرارك على تعطيل وجودها المشحوذة؛ آخر وريد ينبض لك.

إليكِ

تريدين خطة ميسرة ولا تحتاج لجهد جهيد كي يطردك بشكل رسمي وإلى الأبد من قلبه؟

لا تعتذري إن أخطأت، ولا تعترفي إن حاول تقريرك وحملك على الاعتراف.. إذا ما نصحك فارمي بنصائحه عرض الحائط، واستهتري بغضبه وبحنقه وبكلامه المكرور لك كي تقلعي عن عاداتك السيئة.. كوني نمطية في هذا الأمر، ولا ترضي بالتغيير ولا بالإصلاح والتقدم، ابقي على مبدئك في أنه سيصرخ وسيغضب

ثم سيصفح.

نهنئك، تمت العملية بنجاح.

إليكما

إذا هبت رياح الشك والتوجس وعدم الأمان من النافذة، خرجت المودة من الباب.

إليكَ

وردة قد نبتت في الأحداق وسقاها الجفن جمانه وأهداها عطره الشريان.. إن أنت تعاهدتها وحرصت على أن تبقى وفية للطل، قرت عيناك وأخلصت للطفل المتوثب في أعماقك يزف البشريات؛ يوقظ الفاتر الوسنان.

وإن أنت أردت اقتلاعها، اقتلعت معها روحك والأجفان.

فلتجهز قبلها السدر والصندل والريحان.

ولتجهز الأكفان.

إليكَ

إذا كان الزوج ضعيف الشخصية غير متوازن نفسيًّا فإنه سيرى في قوة شخصية زوجته تسلطًا، وفي ثقافتها كبرًا وتعجرفًا، وفي قدرتها على التحليل والمناقشة عنادًا.

إليكما

مباحثة حلول للمشاكل الزوجية تستدعي أن يكون هناك أزواج في الأساس.. لا مجرد متساكنين.. جارين دائمي المشاحنة لا يجمعهما سوى سقف.. وذرية.

إليكِ

انشغلي بتفاصيلك الصغيرة الجميلة عنه، واشغليه بها.. ثم إن أنت شغفتِ بفك الشفرات، وحل الألغاز، فاجعلي منه لغزًا لطيفًا تستمتعين بحله في هدوء.. لا ملاحقةً وكتم أنفاس، ولا هدفًا للتدرب على لعب دور «كونان».. وإن أردت الاستمتاع أكثر؛ فموّهي ولا تبرزي خططك ولا أسلحتك ولا عدتك كاملة في سبر أغواره.. قليل غموض منك إن لم تستطيعي الكثير؛ سيجعله راغمًا يساعدك على فك شفرته وقراءة طلاسمه.

إليكَ

وهي تستقبلك كل يوم بالشكوى من عدم اهتمامك بها وبمتطلباتها، وتكثر عليك الملامة من لا مبالاتك، لا تنظر بعين الازدراء والتعالي و الضجر إلى دمعها وإلى احتياجها إليك الآن وهي في كامل شبابها وصحتها وقوتها وقدرتها على الاستغناء عنك، ولكن انظر إلى فارق العشر سنوات الذي بينكما، وتذكر احتياجك لها واعتمادك عليها في كل حاجاتك وأنت قعيد الفراش هرمًا، وقد عاث المرض والمشيب بعنفوانك.

إليكما

«أغمضا أعينكما ودعا المركب يسير»

«عش حياتك لوحدك بموازاة مع حياتها، عالمكَ يحميك من تطفلها، وعالمكِ يحميكِ من قسوته وجفائه»

«عيشا الصمت.. كي لا تنفجرا»

«عيشا المعايشة»

جملة من قوائم مطولة من نصائح مستهلكة لجعل الحياة الزوجية مخدرة ساكنة محتضرة تتسول الحياة.

يا أيها السادة الأزواج الكرام،

لا يمكن للمركب أن يسير سبهللًا.. والرحلة التي تديم إغماض العينين آيلة لا مناص إلى الغرق.

يا أيها السادة الأزواج الكرام،

ما كانت الحياة الزوجية صمتًا ولا تخديرًا ولا هدنة مستديمة.. ما كانت جيرة ولا تساكنًا.

يا أيها السادة الأزواج العقلاء،

إذا كان بالإمكان التغيير والتجديد للوصول إلى الاندماج وإلى الانصهار فلم الاكتفاء بالمعايشة؟

إنما المعايشة حيلة الخامل الضعيف.. أو من انقطعت به إليها الحلول.

إليكِ

روح شفيفة، وحس متجذر في العمق، وعيون محبة للجمال.. تلك كل القضية؛ حتى تستشعري الجمال في كل ما يحيط بك، وتجعلي من كل القصاصات موضوعات للتأمل والتفكر.

الجمال صنعة.. فتعلميه.

إليكَ

حياتها كلام، وسعادتها كلام، وجمالها كلام، وأمنياتها حروف تنثرها- على الدوام- بين يديك.. الصمت في قاموسها حكاية، والاستفهام سلسلة لا تنتهي، فلا تعجب من صمتها إذا ما يومًا صمتت.. ولا تتبرم من ثرثرتها ولا من استفهامها، فكل العجب من صمت لا يحكي، ومن أسئلة توأد قبل أن تُنجَب.

إليكِ

غيرته عليك مروءة.. مودة.. عطر الرجولة وعبق النخوة وأريج الشهامة.

فاقدري قدر الغيور المرتوي برواء العروبة والإسلام، الحريص على دينك ودنياك.

غيرته أحيانًا تعبير عن الوداد.. وطريقته الخاصة في التدليل.

إليكِ

تدربي على تقدير ذاتك حتى تستطيعي تقدير زوجك.. فمن لا يحسن تقدير ذاته فلن يقدّر من حوله.. لا تنتظري أن تعطى لك قيمتك وتقديرك وأنت لا تفعلين ذلك مع نفسك.. أهينيها، تعطي الفرصة لغيرك كي يدوسها، قدريها وسترين من حولك يضربون لك ألف حساب قبل محاولة إهانتك. وحتى وإن فعلوا بسبب طبعهم الغالب، فسيقاربون فقط جسًّا للنبض ثم ما يلبثون أن يتراجعوا خائبين.. واعلمي أن الرجل السوي، في أعماقه، لا يقدر من تستهين بنفسها، ولا يحترم الخَنوع السلبية.

إليكَ

هي أبسط من أن تستعمل ضدها استراتيجياتك العجيبة من أجل فرض سيطرتك على الأوضاع، أو مخططاتك السداسية لكسرها وجعلها لا تأتمر إلا بأمرك ولا ترى إلا من خلال نظارتيك.. قلبها قلب طفل.. يكفيها منك أن تعاملها معاملة الأطفال.. قطعة شوكولا قد تطفئ غضبها ووردة بل زهرة تلتقطها من شجرة البرتقال التي تقبع خلف البيت؛ تسعدها.. وتغافل منك عن هفواتها يجعلك تأسرها.. قالت له أمه الحكيمة الناصحة الأمينة يومًا وقد رأته فجَر في خصام زوجته واعتلى أبراجه وألحق

بها كل الهزائم ونعتها بكل الأوصاف ونكل:- هل تضع رأسك برأسها؟ (عبارة عندنا تعني لتكن أرجح عقلًا ولا تتعامل على أساس رؤيتك أنت للأشياء)

إليكما

الحياة قصيرة والعمر على كل حال يمضي، فلا تستعجلا الرحيل بسكتة قلبية أو بورم متشكل من كثرة الأزمات وأساطيل الأوجاع.. ستستفيقان يومًا على غياب أحدكما فتلك سنة الممات.. فاستغلا كل لحظة فيما يقربكما من بعضكما ومن ربكما.. ثمة أشياء لن تعرفا قيمتها إلا برحيل أحدكما عن الحياة.

إليكَ

طفلة هي.. يكفيها صدقك كي تنخدع لك.. وهي تعلم أنها لا تفعل أكثر من أن تنتشي بصدقك.. وتنخدع

إليكِ

عطلي كل حواس الرقابة والتفتيش والتنقيب للحظات على الأقل.. واستمتعي بتصديقك له.. ودعي الطفل الكامن في أعماقك يتلقى اعترافاته بالبسمات.

إليكِ

إن لم تكوني أنت من يسنده ويعذره ويحمل عنه ما ينوء به جيده، فمن إذًا؟

أنت ستره وأنت هاديه وأنت حضنه الذي يلقي فيه بكل ضعفه.

وأنت الحليمة الحكيمة إذا ما انزلق وغابت عنه بوصلات الطريق.

إليكَ

سبب أغلب مشاكلك معها، نظرتك إليها وإلى الأحداث حولكما بنظرتك الرجولية، ومحاولاتك المتكررة لإلزامها أن ترى بنظارتيك.

ما تراه أنت اعوجاجًا فهو استقامة في نظرها بل فيما فطرها الله عليه.

اختلافكما في فطرتكما يؤدي إلى اختلاف في السلوك والتفكير والميول.

تركيبتها وفطرتها تقتضي أن ترى الأشياء بمنظارها الأنثوي.. فلا تلزمها بنظارتيك، ودعها ترى الحياة بعيونها الأنثوية.. قد تفيدك نظرتها في الحياة.

إليكما

إذا ما اقتنع كل واحد منكما بحقيقة مفادها أن رؤيته الشخصية للأشياء حوله محدودة، وبأن نظرة الشريك صائبة تحتمل الخطأ، خاطئة تحتمل الصواب.. وبأن تصوره للحقائق هو تصور منطقي من وجهة نظره الخاصة وأيضًا من طبيعته المختلفة عن طبيعة الطرف الآخر، فسوف تنفتح أمامكما عوالم جديدة متكاملة.. وعوض أن يكون الاختلاف سببًا للخلاف وأساسًا جوهريًّا في الصراع، سيصير مصدر معرفة مغفول عنها وخطوة استكشاف لعالم جديد، ليس فقط في الزوج(ة) ولكن أيضًا في الذات وفي خبايا حقيقتها الكامنة المجهولة وفي البحث المستمر عن الكمال. وكلما اقترب أحدكما أكثر من مساحة الآخر، ازدادت نسبة معرفته واستطعتما بذلك الحصول على علاقة محبة حقيقية باعتبارها مشيدة على أرضية صلدة هي أرضية واقعكما وحقيقتكما المختلفة عن أي زوج آخر.. لا على وهم رومانسي فارغ هو أقرب إلى الجنون والتهور منه إلى حقيقة الوئام والمحبة الخالدة.

يا أيها الزوجان،

عليكما بحياتكما.. الحل داخلها وليس في الركض وراء الفقاعات الهلامية وخلف هلوسات الأحلام.

إليكِ

في الغالب، الاستفزاز والتطاول والتعالي على الزوج والابتزاز من أكبر أسباب العنف بين الأزواج.. المرأة المتعالية أو المنانة أو تلك التي تتفنن في الإطاحة به وتمريغ كرامته؛ من الأسباب المباشرة للعدوان والقسوة وبالتالي اللجوء إلى الضرب.

يا سيدتي،

هو زوجك على كل حال، واحترامك له احترام لنفسك قبل كل شيء ولهذا الميثاق الذي بينكما.. وذكاؤك وفطنتك يقتضيان ألا تقفي بفوهة البركان إذا ما كان غاضبًا، بل حتى في حالة خطئه في حقك تستطيعين الصمت والابتعاد قليلًا عن مساحته الشخصية إلى حين يهدأ.. فإن كان من النوع الوقَّاف الرجَّاع، فما عليك سوى الاستمرار في حياتك بشكل طبيعي وفي أداء واجباتك منتظرة ساعة الأوبة، وإن كان من النوع العنيد الذي لا يرجع بسرعة، فسيزيد في نفوره وعناده معاندتُك له. لن يتنازل عن موقفه مهما حاولت مواجهته واتهامه وانتقاده، وبالتالي لن تحصلي على حقك.

اعلمي سيدتي أن صفحك واحتواءك له وصمتك حال غضبه أكبر معين لك على كسبه.. رفضك الدائم لما يقوله وانتقادك المتواصل لقراراته يزيد الهوة اتساعا بينكما.. ويؤجج نيران

إحساسه بعدم اقتناعك بشخصيته وبرجولته.. وذلك ما يؤدي في الغالب للعنف الجسدي، ليذكرك أنه هنا الرجل وأن زمام الأمور كما أرادها الله سبحانه بيده.

تستطيعين أن تحولي سطوته لصالحك- بذكائك ولمحك واحتوائك- وبطريقة تشعرينه فيها بالأمان وبالتوازن النفسي وبحضوره بقوة في حياتك، وبالتالي تتفادين قسوته وعنفه، وتجعلين مجريات الأمور لصالحك.

شغلي مشاعر أمومتك في هذه الحالة وفعِّلي خاصية البذل والتفاني والصفح والاحتواء، تمامًا كما تفعل الأم مع أبنائها المخطئين.

وتناسي قليلًا من أنت.. يجعلك- إن كان بحق رجلًا- أميرة في بلاطه.

إليكَ

سبق وقلتُ لها:» غيري الأجواء وفاجئيه بموضوعات شيقة عند عودته من العمل للتخفيف عنه..» عطاء وتواصل وفسيل سعادة.

فماذا لو لم تحسن هي فعل ذلك، أو لم تسمح لها حالتها النفسية بالمبادرة؟ لم ينتظر الرجل دومًا أن تحضر (هي) له الكلام الشيق؟ لم يحسن (هو) الكلام المثير مع أصدقائه وزملائه

في العمل وفي المقاهي والاستراحات ولا يمل منه، ويسترعي اهتمامهم وانتباههم بحديثه المنمق، ولا يخطط لفعل ذلك معها؟ أليست هي أولى بصحبته وكلامه واسترعاء اهتمامها؟

أيها الزوج، هل تعلم كم من الوقت تقضي المرأة داخل البيت وحدها، تدور وتدور مع أشغالها وأعبائها كما الطاحونة، بشكل روتيني رتيب ممل، من غير أدنى تغيير ولا تجديد؟ فمن أين لها بالموضوعات الشيقة وهي طول الوقت على نفس الوتيرة؟ أليس حريٌّ بالزوج الذي يمضي نهاره بالخارج مع التجديد والتغيير والمستجدات، أن يفاتحها في موضوع شيق ينسيها هي أيضًا عناء يومها؟ هي تستكفي ولو حدثتها فقط عن يومك بالعمل أو عن بعض المواقف التي صادفتها في طريقك، أو عن شيء يضيق منه صدرك.. فقط حدثها عن أي شيء وفي كل شيء، وسترى نتائج تواصلك معها.

إليكما

لو استطعنا أن نصل إلى المبادرة «الحرة»، وإلى البحث عن متطلبات الشريك دون الوقوف مكتوفي الأيدي في انتظار ما سيجود به هو، سنصل فعلًا إلى السعادة الحقيقية.

أيهما بدأ «بالكلام وبالمبادرة» فهو أفضل.

إليكَ

أعلم يقينًا أنك تعلم يقينًا وتحفظ عن ظهر قلب حديثين شريفين صحيحين هما: الأول: (استوصُوا بالنساءِ، فإنَّ المرأةَ خُلقتْ من ضِلعٍ، وإنَّ أعوجَ شيءٍ في الضِّلعِ أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمُه كسرتَه، وإن تركتَه لم يزلْ أعوجَ، فاستوصُوا بالنِّساءِ) صحيح البخاري والثاني:(ما رأيتُ مِن ناقِصاتِ عَقلٍ ودينٍ أذهبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحازِمِ مِن إحداكُنَّ. قُلن: وما نُقصانُ دينِنا وعَقلِنا يا رسولَ اللهِ؟ قال: أليس شَهادةُ المَرأةِ مثل نِصفِ شَهادَةِ الرَّجُلِ. قُلن: بلى، قال: فذلك من نقصانِ عَقلِها، أليس إذا حاضَتِ لم تُصلِّ ولم تَصُم. قُلن: بلى، قال: فذلك مِن نُقصانِ دينها) صحيح البخاري.

وأعلم يقينًا أنك- ولن أعمم تحريًا للإنصاف- تفهم من الحديثين ما تريد، وتستقطع منهما ما يستهويك، وتستشهد بهما في غير محلهما، ولا تفهم مناط الحكم فيهما، فتسول لك نفسك أن تسمي المرأة، هكذا ومن غير ربط التسمية بسياقها وتردد في نشوة وزهو وازدراء، وكأن مقتطفك من الحديث قد جاء على جرحك:(المرأة ضلعة عوجاء (هكذا ينطقونها عندنا بالتأنيث حتى تتماشى مع مسمى امرأة) و(المرأة ناقصة عقل ودين (هكذا من غير سياق ولا لحاق)، فتحذف من الحديث الأول، أمر نبيك لك ليس فقط

أن تعامل المرأة بالحسنى، وإنما أن توصي بها خيرًا وأن تقبل أن يوصيك بها غيرك خيرًا (مفهوم استوصوا)، بل أطر-صلى الله عليه وسلم- الحديث بهذا الاستيصاء، فصدر به الحديث وختمه به، وعلل عليه الصلاة والسلام سبب الاستيصاء بها، ورد ذلك لجبلتها وفطرتها لا لإرادتها واختيارها أن تكون كما ذُكر، و لأمر الخالق الذي يفعل في ملكه ما يريد، فقدر لها أن تخلق من ضلع. وبين عليه أزكى الصلاة والتسليم أن الضلع صفته الاعوجاج، وأن أية محاولة لإقامته تبوء بالفشل بل بكسره، ومن الطبيعي أنه إن لم يقوَّم بقي على اعوجاجه، فما أنت بقادر على إصلاحه، وما أنت بقادر على الاستغناء عنه، فعلام تنتقصها لشيء قد قدره الله عليها؟

إليكَ

أحسن إليها فيما تريد هي لا فيما تحب أنت، تكسب ودها وتأسر قلبها.

إليكما

كثير من الاستشارات الأسرية تأتي على هذا الشكل

« «هل يجوز أن أتعامل مع زوجي (زوجتي) بهذا الشكل؟

لو أن الأمر في التعاملات مبني على هل يجوز أو لا يجوز، وعلى العدل وعلى المطالبة باستيفاء الحقوق والحرص على

ذلك، وعلى أمر أو نهي فقط دون نظر إلى الفضل وإلى الإحسان والجود و سماحة النفوس؛ لتمزعت العائلات ولطال العلاقات الجفاء، ولأصبحت التعاملات رياضية محضة:

1+1=2 أو 1-1=0

كم من العلاقات لا تحتاج إلى تأدية واجب لأجل الواجب، بقدر ما تحتاج إلى بر وإحسان وتغاض وإيثار ومسابقة إلى إرضاء الآخر.. كم من مواقف لا يحسن فيها- بل يفسد الود فيها- معاملة بالمثل ومطالبة بالحق كاملًا دون غض الطرف عن الأخطاء وتمرير للتقصير وعدم تجاوز عما قد يبدر من الآخر من جفاء وتهاون.

إليكَ

علام تتذمر؟ ومم تتسخط؟ ومن تلوم على الحقيقة إن أصابها إرهاق أو مرض؟

مرضها ابتلاء من الله سبحانه، ووهنها وضعفها قدر لم تختره ولم يكن لها يد فيه، فلا تلتفت إلى ما سيضيع عليك بسببه ولا إلى ما سيفوتك إن طال، بل أعنها على الصبر وعلى الرضا وكن قدوتها في ذلك، فإن تذمرك منها وانزعاجك من مرضها واتهامك لها بالتقصير عون للشيطان عليها وزَجٌّ بها في دركات السأم، ولربما السخط من أقدار الله

وتذكر أنك لو كنت أنت المريض لسارعت هي لأن تكون لك نعم الممرضة ونعم المواسية ونعم المدلِّلة.. ولرأيت خفقة قلبها خلف الضلوع؛ خوفًا عليك وتمنيًا لو كانت هي مكانك.

إليكِ

يا سيدتي، اهتمامك بنفسك تقدير لك قبل أن يكون اهتمامًا بغيرك.. فماذا لو اجتمع لك شيء تحبينه- جبلة- وفطرك الله عليه، مع الأجر باستحضار نية إسعاد الزوج؟

إليكَ

تُرَوِّعُهَا، حينما تخرج لأصدقائك ويطول غيابك دون أن تستعمل تلك الأداة التقنية التي تسمى هاتفًا؛ من أجل أن تخبرها بتأخرك، فتقعد حزينة مرعوبة تضرب الأخماس في الأسداس، وتنتظر الفرج بعودتك.

إليكما

سبب مشاكل أغلب البيوتات: امرأة لا تحسن أن تكون أنثى فضلًا عن أن تكون زوجة، أو رجل لا يحسن الثناء والتعامل مع الأنوثة فضلًا عن التعامل مع زوجة.

إليكِ

دعي العرش له وسلميه مقاليد الحكم، واستمتعي بقيادتك له من وراء الكواليس.

ودك ورحمتك وفيض عطائك والتضحيات كفيلة بأن تجعلك القائدة.

ألا يسرك أن تكوني جندي الخفاء؟

إليكِ

ضعيه كحلًا في أحداقك.. واتركي عشقك للمرآة يدله عليك.

إليكَ

حلمك وصفحك وتفهمك واحتواؤك واستيعابك لها؛ عنوان رجولة وشهامة وقوة ونخوة..

وعنادك لها وتتبع هناتها وهفواتها وتقصيرها حذو القدة بالقدة؛ نقص في شخصيتك وقبلها في عقلك.

أعنها.. ولا تعن الشيطان عليها.

إليكما

لا تميل إليها.. ربما تكرهها لسبب منها أو لمحبة لم يلقها الله في قلبك لها؟.

أحسن إليها..

لا تطيقينه.. تأنف نفسك من سماع صوته فضلًا عن اسمه.. لسبب منه أو لروحك التي لم تتعرف لروحه؟.

أحسني إليه..

نحن لا نحتاج إلى من يوصينا بالإحسان لمن نحبه، هي أرواحنا وقلوبنا من تملي علينا الإحسان والإيثار وتسليمهم مقاليد قلوبنا وحياتنا.. وإنما التواصي بمن عافته النفس وفرت منه الروح وأغمض الفؤاد جفونه عن مرآه..

ليس المحسن بالمكافئ.

إليكَ

هي أختك ورحمك ووصية والديك.. وإنما حقها عليك أنت لا على زوجتك، وآراؤها ورؤاها ومنهجها في الحياة تخصها وزوجها وعائلتها الصغيرة، ولا حق لها وأنت قبلها أن تفرضها على زوجتك.

قد خلق الله لكل جسد عقلًا، ولم يشرك عباده في عقل ولا في جسد ولا في قالب واحد.. لو شاء الله لجعل للكون قانونًا واحدًا ومنهجًا واحدًا، ولجعل الناس على قلب رجل واحد..

حتى في دينه سبحانه، قد جعل الخلاف السائغ بين أهل الحق توسعة على عباده..

فلم تريد أن تلزمها برداء أختك وبطريقة تفكيرها وبما يصلح لها هي ولحياتها ولعائلتها وحالتها؟

لزوجتك الحق أن تعيش كما تريد هي.. لا كما يملى عليها.

إليكما

وأغلب ما تؤتيان من قبله في مشاكلكما اليومية:

- قلة الفطنة.
- عدم الاهتمام.
- انعدام الرقي، وانمحاء بعض الرسمية التي تنم عن الاحترام العميق.
- الاكتفاء بالمتاح وعدم بذل الجهد في التغيير.
- التكرار والنمطية.
- إما تدشين الحواجز العالية بينكما حتى لا يعلم هل هو زواج أم شراكة، أو تحطيم كل الأسوار والسقوط في الابتذال والتبذل والميوعة اعتبارًا أن ذلك من التفاهم والتقارب فتضيع بذلك الهيبة والاحترام المتبادل.

الرحلة الثالثة

سري للغاية

كوني أنثى

كن قوّامًا

مقدمة لابد منها:

أول مرجع للأنثى في حياة الأنوثة أمها، فإن غاب عنها المثال غالبًا تغيب عنها معايير الأنوثة، وتمضي وقتًا طويلًا في البحث عن نفسها وعن المفاهيم الغائبة عنها، هذا إن تنبهت أصلًا إلى أنها نشاز عن جبلتها وإلى ضرورة الرجوع إلى فطرتها التي فطرها الله عليها.

لربما لم تفتحي عينيك يا سيدتي على المثال المنشود، وعلى خبرة حياتية تختصر عليك مسافات البحث، وتعفيك من التخبط في رحلتك لنحت تمثالك، فتخبرك أوّلًا وقبل كل شيء بأنك أنثى، وبأنه عليك التضوع من عطر الأنوثة ومن سحر الأنوثة ومن غموض الأنوثة ومن فطرتك ومنة المعطي سبحانه القدير الذي قدر لك أن تكوني مخالفة للرجل.. لكن هناك دائمًا فسحة من

وقت تراجعين فيها حساباتك، وتتصالحين فيها مع مرآتك ومع ما يجعلك تؤدين رسالتك في الحياة.

فقط، لتكن لديك الرغبة في ذلك، ولتثقي في حدسك وفي قدرتك على استخراج أجمل ما فيك.

سؤال يفرض نفسه

بما أن الأنوثة فطرة، فلم الدعوة إلى تعلمها؟ وهل الأنوثة تُتعلم؟

أثبتت التجربة أن جزءًا من الأنوثة فطري، وجزءًا منها مكتسب من الموروثات الثقافية ومن تبادل الخبرات ومن الاجتهاد في رسم صورة مميزة للذات والرقي بها كي تكون دائمة الحضور والتألق.

الأنوثة يا سيدتي منهج حياة وطريقتك الخاصة في تحسس العالم حولك، والإحساس بما يحيط بك، ووسيلتك لإثبات وجودك وتميزك.

فلتكوني يا سيدتي أنثى.

مفاهيم تأسيسية:

أعلم أن الكثيرات تنتظرن بفارغ الصبر الانتقال من التنظير إلى الخطط العملية أو إن شئنا إلى المناهج والاستراتيجيات للدخول إلى عالم الأنوثة أو إلى البحث عن التطوير، والحق أن الأمر بقدر

ما هو بسيط متناول، بقدر ما هو متشعب لا يمكن أن ننتقل فيه إلى ما هو عملي دون نحت هادئ بأزميل التأني، من جهة لأجل هدم المفاهيم المعششة في الرؤوس بسبب التأثر بالمحيط وبالأفكار المروجة والموروثات الخاطئة، ومن جهة لأجل رسم الصورة التي نريد الوصول إليها في الأذهان أوّلًا قبل البدء في النحت.

كوني أنثى

1 - أول ما يجب الحديث عنه، التكامل بين الصورة وبين الروح، ولأجل هذا فلن نقبل بتلك الأفكار الهادمة التي تعطي القيمة لأحدهما على حساب الآخر.. روحك مهم أن تغذيها وتسقيها، ومهم أيضًا أن تنتبهي لشكلك، وأن تحرصي دومًا على أن تكوني في أبهى منظر حتى في الحالات التي تظنين فيها أنك معذورة بسبب تربية أولاد أو بسبب انشغال بطلب علم أو رزق أو لأي سبب كان.

لا عذر لك مهما اختلقت من أعذار أن تهملي نفسك، بل حجة عليك تلك التي اجتمع عليها كم من المسئوليات وهي رغم كل ذلك تستقطع وقتًا لنفسها.

لا تبرري عجزك أو كسلك.. أو عزوفك عن طلب الجمال.

لا عذر لك.

2 - أكبر جناية ترتكبها الأمهات في حق بناتهن من حيث أردن راحتهن أو تدليلهن، حينما يربينهن على الدراسة وفقط، وحينما لا يشركنهن في أشغال البيت وفي التدبير وفي الإبداع

في صنع الأطباق منذ سن صغيرة، وأكبر جريمة يرتكبها المجتمع في حقهن، حينما يصور لهن أن الحياة ستبدو جميلة بين أحضان المطاعم والمقاهي، وبأن لقمة من «ماك دونالز» أو «كنتاكي» أو غيرهما لا تعدلها سعادة.. وبأن الزوج الحنون المحب المنفق الكريم، من يجنح لرغبتهن في حياة أشبه ما تكون بحياة الغربيين بل بحياة العزاب.

تستيقظ الفتاة فجأة، فتجد نفسها في بيتها وهي من أول يوم ربما لا تحسن إشعال موقد الغاز فضلًا عن صنع طبق أو التفنن في صنع الحلويات؛ ولأنها لم تعتد على الأشغال، فغسل كأس ينهد له حيلها، ونفض فراش يستدعي مكوثها أسبوعًا في الفراش، ويغرقها الترتيب والتنظيف في قطرة ماء.. تهتز ثقتها بنفسها، وتفرغ فشلها وإخفاقها في النكد.

ويزيد الطين بلة، تذمرها المستمر وتسخطها من أمر حتمي لا فرار منه، فلن تأكل ولن يأكل زوجها وأبناؤها إن لم تصنع طعامًا، ولن ينظف البيت نفسه ولن تغسل الأواني بعضها.. فإما أن تحب ما تفعله وتجعله هواية جميلة ووسيلة للتودد لزوجها ولجعل المركبة تسير في استقرار وأمان، وإما فإنها ستظل عمرها متبرمة ساخطة ولن يغير التسخط أمرًا محتومًا، ولن يحل التقاعس والفوضى معضلة الأواني والطعام والبلاط.

إن كنت ربة بيت، فأنت تعلمين الآن ما أتحدث عنه، وإن كنت بعد على البر، فها أنت تعلمين الآن ما ينتظرك، فإما كفاح وتضحية ونجاح، وإما لا تجازفي بالدخول على حياة لا خيار لك فيها سوى أن تكوني أنثى مديرة مدبرة فنانة، تنفخ فيما حولها من روحها ومن لمساتها فتصيِّر القفر جنانًا وتصنع من اللاشيء ألواح إبداع.

ستنجحين- بحول الله- حينما ستحبين كونك أنثى.. وحينما سترضين على نفسك وقبلها على ربك الذي جعلك كذلك.

وستبدعين وستتألقين حينما ستحبين مسئولياتك ومهامك المنوطة بك، وحينما ستقتنعين بأن إدارة بيتك فن قبل أن تكون مسئولية، وأنها لا تقل أهمية عن إدارة شركة بل هي أهم وأجمل: إبداع جميل متطور ومتغير كلما زادت رغبتك في الرقي والتألق، فنحن إذا ما فقدنا الرغبة وحب فعل الشيء فإنه محكوم عليه بالفشل ومحكوم علينا أيضًا بذلك.. لن تتفوق سوى من تتفانى وتنفق من شريانها الاهتمام والجد والكد.

تذكري أيام الجامعة والمذاكرة والامتحانات والسهر وجني الثمار في الأخير، بيتك أولى بذلك الحرص والاهتمام.

3 - كم الأشغال والمسئوليات الملقاة على عاتقك حياتُك وسيرة أيامك المتبقية من عمرك، لا يعفيك من دور الزوجية

والأمومة تقدم في السن ولا انشغال ولا هروب، ولا يعفيك من أن تكوني أنثى انشغال ولا تراكم واجبات، فاحرصي على ألا تذوبي بين الأطباق وألا تنصهري في زحام المسئوليات، فتنسين أنوثتك.

ملابس المطبخ سيدتي، ليس بالضرورة أن تكون من عينة الأسمال، وليس مفروضًا على من حولك أن يستمتعوا بحصائد الشوك المزروعة فوق رأسك (حتى تلك المجتمعات البدائية التي لم تكن تعرف أداة تقنية اسمها «مصفف شعر» كان لديهم زيت يصبّونه في أكفِّهم ثم يردعون به خصلات الشعر المتمردة) وليسوا مطالبين بأن يتنعموا برؤية مريلة المطبخ المعطَّرة برائحة البصل والثوم والسمك، الموشَّاة بأصباغ التوابل تتجول داخل البيت.. تراك لو كنت في استقبال ضيفة غريبة راقية، أكنت ستستقبلينها بشكلك ذاك؟

زوجك أولى بحسن الاستقبال..

خصصي ملابس عملية للمطبخ لا تقل جمالًا عن باقي الملابس؛ تقديرًا لنفسك أولًا، وبُعدًا عن أن تقع عين غيرك يومًا على ما يدعوهم للاشمئزاز.. وتعودي على ألا تجلسي إلى مائدة الطعام إلا بعد أن تكوني في كامل أناقتك، لا تتساهلي في ذلك يومًا واحدًا فيكون الاعتياد.. وعودي أولادك وخاصة منهم البنات

على ألا يجلسوا إلا بعد أن يكونوا في أجمل حلة.. ساعة الاجتماع على مائدة الطعام ساعة نفيسة مقدسة قلما تجدين مثلها للاجتماع في زحمة انشغال زوجك وأولادك، فلتحرصي على أن يكون كل شيء فيها ملائمًا للمناسبة الجميلة.

تصرفي دومًا برشاقة كـ «ليدي» أو «كونتيسة» أو «أميرة».

كوني راقية ذواقة، وأنفقي من وقتك كي تتعلمي.

4 – الكثير من الذوق.. ومن الرقي، والكثير الكثير من الذكاء والحنكة.

هي لعبة يا سيدتي، ومبارزة لطيفة.. لا مكان للملل فيها ولا للسذاجة ولا للبلاهة.. ولا للعيش كيفما اتفق.. والحرة الأبية لا تستسلم.. وفي نفس الوقت لن يسعدها أبدًا أن تدخل في حرب معه بل في مبارزة جميلة لطيفة تظهر فيها أنوثتها وتتبرج فيها روحها لتنكز روحه وأمنياته وتستفز فيه إحساسه بأنه الملك المتوج في بلاطها.. لن يسعدها أبدًا أن تخرج منتصرة في مملكته، وإن كان هو مخطئًا وهي على حق.. ويوم تفعل فستكون حينها قد تحررت من قيده.. الحرة الأبية تحب تنكيس أعلامها ورفع الراية البيضاء معه، وإن كانت من عشاق التحدي.. ويوم أن تقرر أن تتحداه وأن تغالبه، ستكون حينها إمبراطوريته قد تنكست.

الكونتيسة حينما بارزت الماركيز سقط سيفه أمامها وكانت شوكة سيفها في فتحة عنقه.. نظرت إلى السيف الملقى على الأرض وافتعلت التعثر كي تلوح بسيفها خلف ظهرها.. فيتمكن هو من حمل سيفه.

5 - الحرة الأبية لا تحب منازعة الأشياء منازعةً مادامت جديرة بسلبها، ولا يسعدها الابتزاز ولا الاستجداء ولا استنقاذ ما تعلم يقينًا أن حاله الهباء.. هي تسلب.. لا تغالب ولا تطلب.

ولا يمكنها بحال أن تفرض وصايتها على من حولها أو أن ترغم من لا يريد أن يراها على أن يراها.

الحرة الأبية.. إما أن تكون.. أو ألا تكون.

6 - هو يريد أن يصمت.. يريد أن ينزوي في مكان وأن يقوم بكل ما يحب أن يقوم به عدا أن يتكلم.. رده المقتضب، تجهمه، ضيقه،تجاهله لأسئلتك ولكلامك.. كلها دلالة حقيقية على أنه لن يتكلم.

تريدين إرغامه؟ تحملي، سيتحدث لكن بما سيجعلك تقضين ليلتك أو يومك أو لربما باقي حياتك تندبين حظك وتولولين من غلبة الصوت و قهر الرجال.

تريدين أن تعلمي سبب صمته؟

تأكدي أولًا من أن تلك ليست عادته مع الأصحاب والعائلة ومع الأولاد.

وفتشي رغم كل شيء في نوعية كلامك معه:

نكد وتكرار و»رغي«وكلام لأجل الكلام؟... لن يتكلم

طريقة تحليلك ونقاشك وأسلوبك معه غير راق.. غير حصيف، غير دقيق، غير مشوق..غير مفيد، خارج دائرة اهتمامه؟.. لن يتكلم.

تجعلينه على الدوام موضوعًا للنقاش ولتفرسك في دقيق ما يفعله وما لا يفعله؟... لن يتكلم.

يا سيدتي،

ذكاؤك وفطنتك وبراعتك في جس نبضه وفي قراءة عينيه ستعفيك من أن تضعي نفسك في مواقف أنت في غنى عنها.

7 - ليس مضطرًا يا سيدتي أن يقعد الساعات ينصت إلى حديثك عن صديقتك وعن أختك وعن خصامات الجيران.

ليكن حديثك شيقًا، ولتختاري من الموضوعات الجمة التي تريدين الحديث عنها ما يلائم طبيعته كرجل وتودين إشراكه فيها، ولتنتقي طريقة سرد لا تجعله يتضجر سواء على العلن أم في أعماقه

فيتركك- إن أبدى بداية رغبته في الاستماع وإن لم يزجرك ويسفه حلمك ويقذعك بأوصاف السذاجة والعته والاستهتار- تحدثين نفسك.. هو لا يهمه تفاصيل صنعك ذلك الطبق العجيب، ولا جزئيات كلامك مع الصديقات.. اسحبيه إلى عالمك بذكاء من غير فرض وصاية عليه ولا زج به في سراديب الجزئيات.

يا سيدتي،

لا تجعلي قلة الفطنة والذكاء حاجزًا لك عن التوغل في عالمه وعن جعله يسعد ويستمتع بعالم الأنوثة الجميل.

هو يحب المرأة الطموحة الذكية المهتمة بعظائم الأشياء.

ليس مضطرًا يا سيدتي أن يتابع التفاهة.. بل منا نحن النساء من تتذمر من تفاهة بعضهن في حديثهن الممل عن تفاصيل وقائع وأحداث لا تضيف لك رصيدًا في شيء، فما بالك بالرجل.

الأصل أن يستوعبها وينصت إليها ويجاملها، لكن الأصل أيضًا أن تختار موضوعات حديثها وألا تلزمه بالإنصات لما لا يحبه.. هناك ما يصلح لأن تتكلم به مع أمها ولا يصلح أن تحدث به صديقتها، وهناك ما يصلح لأن تحدث به صديقتها دون زوجها.. وهكذا.

فإن قررت رغم كل شيء أنه يجب عليه أن ينصت لك وأنت «ترغين»، فما عليك سوى أن تتحملي النتائج وردة فعله التي لا

تعدو أن تكون في أفضل الأحوال «تطنيشا» ولا مبالاة وقد تصل إلى الزجر والتهكم والاستهزاء.

حرة أنت في اختيارك!

8 - هو ليس كتابة سومرية على جدار كهف، ولا رموزًا فرعونية في أقباء الأهرام.. ولا لغزًا محيرًا يستحيل فكه.

حاولي أن تقتربي من مساحة تفكيره، وأن تعلمي ما يريده وما يزعجه دون أن تضطريه إلى المباشرة في الكلام، فبعض الرجال يكرهون أن يوضحوا الواضحات، ويملون من لعب دور المدرس أو الموجه أو الواعظ.

اجتهدي، فليس على باب الاجتهاد ضرائب ولا مكوس.

9 - تقديرك لذاتك واحترامك لنفسك أولى أولوياتك.

نظافتك وأناقتك وثقافتك؛ تقدير لنفسك واحترام لها قبل كل شيء.

طريقة كلامك، اختيارك للعبارات الراقية، بل - واعذريني على هذه التفاصيل - طريقة أكلك ونوعيته.. أسلوبك في تقديم مائدة الطعام.. طريقة حملك الفنجان والملعقة بين يدك.. ارتشافك من كأسك (ارتشافًا وليس عبًّا) بل شكل الفناجين التي تستعملينها وألوان الأطباق والستائر واختيار الملابس والعطور.. كلها دلالة حقيقية على أنوثتك.. وشاهد على أنك تحترمين نفسك قبل أن

تطالبي غيرك أن يفعل معك.

الأنوثة يا سيدتي أناقة في كل شيء.

ورقي.

10 - الأنثى الحقيقية تعلم كيف تثبت وجودها وكيف تؤكد حضورها دون أن تفرض نفسها ومن غير أن تجعل من حولها يتضجرون من جثمها على أنفاسهم ومن احتكارها الكلام.

ترعي سمعها، وتُعمل عقلها فيما يقال حولها وتطلق بصرها على العالم حولها في ذكاء وتوقد لتعود بمزيد أفكار ومزيد خبرات وما به تساير المستجدات.

تبدي رأيها بكل ثقة ودون تكلف.. ولا تتحدث إلا إذا ما علمت قيمة كلامها وبأنها ستضيف إلى النقاش قيمة جديدة، وإلا فإنها تلزم الصمت كي لا تبدو مضحكة وهي تأتي بالعجائب وتؤصل للغرائب وتجعل من نفسها نكتة سمجة لزوجها أو لمحاوريها.. تنصت باهتمام إلى ما يقال وتحاول أن تستفيد وأن تناقش بحرية لكن في لطف ومن غير هجوم.. بكل ثقة وبكل ذكاء تطرح أسئلتها، ولا يحرجها أن تُظهر أنها لم تفهم شيئًا.. لكن في نفس الوقت لا تجعل من كل ما دق وكل ما جل موضوعًا لأسئلتها حتى لا تبدو بليدة.

الأنثى الحقيقية أذنٌ لزوجها وهو يتحدث، ومتحدثة بارعة إذا ما أنصت.

11 - فوارق لا تغفل عنها أنثى لا بد من استيعابها

أ) فرق بين الصبر، وبين الخنوع والاستكانة والسلبية. الخنوع سلبية ودونية وذلة لا تليق بحُرَّة. هو الصبر السلبي الذي لا يلتقي مع الصبر الحقيقي المطلوب إلا في الاسم.. والصبر الإيجابي حبس للنفس عن الجزع من الأقدار، ولا يعني ذلك بحال القبول بالمتاح والصمت عن الخطأ، والابتعاد عن المشاركة الوجدانية والفعلية من أجل بناء صرح أسرة شامخة.. ولا يعني البحث عن التغيير والاجتهاد في إيصال عدم الموافقة على المواقف؛ إعلان الثورة والانقلاب ولا السعي إلى حرب أهلية.. البحث عن التغيير تشارك في مباحثة الحلول، وعبقرية في طرح ما يزعج ويقف حاجزًا أمام السعادة، وذكاء عاطفي وقلب واع.

تفعيل الصبر الإيجابي شيء تكاد تجهله المرأة.. بل منهن من تظن بأنها صابرة، لكن في الحقيقة هي إما خانعة أو مستبدة، ومعنى الصبر عندها فقط أن تبقى على ذمته.. وإلا فإنها ترتكب في حقه كل المعاصي الممكنة والمستحيلة، وهي تتصور أن الصبر معناه ألا تطلب الطلاق.. كم ممن تفني حياتها في الآثام وهي تنتظر أجر الصابرات.

ب) فرق بين خفض الجناح والرقة والدعة، وبين الخنوع والاستكانة والمسكنة واستضعاف النفس.. خفض الجناح = اختيار وقرار، وشيمة لا تتحلى بها سوى من تفهم معاني الأنوثة الحقيقية.. زوجة خَنوع مُستَلبة = ذكرى حرة، بل هي أقرب إلى العبودية والذلة منها إلى الأنوثة في مفاهيمها العميقة.. وأخرى مستبدة متسلطة متجبرة = ذكرى أنثى، بل هي أقرب إلى السجان والجلاد منها إلى السكن والحضن الدافئ.. أيتها المرأة، قوتك في ضعفك الفطري، وكمال أنوثتك في فهم تلك المفارقة العجيبة من الضعف في قوة، والانكسار في شموخ، والخضوع في أنفة.

ت) من أمارات دلال المرأة ورفاهيتها.. أن تكون ضعيفة.. وأن تستمتع بضعفها الفطري..

أفلا يكون ضعفها واستمتاعها به دلالًا ورفاهية وعلامة على الترف؟ وهي إذا ما اضطرتها دروب الحياة إلى أن تكون قوية، كم من طاقة ستستهلك كي تفرق بين الضعف كفطرة وبين الضعف كإحساس وبينه كسلوك ومنهج حياة؟

كم من مجهود ستبذل كي تكون شديدة متماسكة بل وتظهر لمن هم تحت مسئوليتها أنها كذلك كي لا يحسوا بالفزع وعدم الأمان، وأعماقها ترتج من أثر ضعفها الذي خلقها الله عليه؟

سعادتها الحقيقية إذًا وأمنها وأمانها فيما جبلها الله عليه.. وقد جبلت على الضعف..

فقط لابد من التفريق بين الضعف الذي هو فطرة والذي لا يمنع أن تكون حاضرة الشخصية والنبوغ والإبداع، وبين استضعاف النفس والمسكنة الذي هو استكانة وخنوع سلبي، وبين الاسترجال الذي تعتبره بعض النساء قوة شخصية.

12 - وقتك رأس مالك وعونك على الترتيب والبعد عن التوتر، نظميه ينظم لك الحياة..

ولا مكان للحديث عن تنظيمه في مبعد عن تحديد الأهداف وترتيب الأوليات..

حددي أهدافك ورتبي أولوياتك، ينتظم الوقت عندك فتستنفعين به وتنفعين.

13ـ يا سيدتي،

من قال لك إن التمرد والتعالي والقسوة والصوت العالي معيار قوة الشخصية؟

من أقنعك بأن الصراخ والبذاءة وإعلان الثورة والاستنفار والعصيان المدني وسيلة لتسجيل الحضور أو لنيل الحقوق؟

يا سيدتي،

امرأة تدور في فلكها ولا ترى حولها سوى نفسها وتتعالى عليه بما قد تمتلك من ثقافة أو جمال أو مال، وتمضي حياتها في التخطيط للثورات والانقلابات ونزع زمام الملك منه، لا تليق أن تكون جارة في بيت فضلًا عن شريكة حياة وقسيمة روح.

امرأة قاسية دائمة التمرد والصراخ؛ ذكرى أنثى.. مسخ.. استرجال في أسوأ صوره..

أنوثتك يا سيدتي.. في أنوثتك.

فاتركي عنك منازعته عرشه، وانشغلي عن ذاك بمنادمة خمائل الورود، دعيها تستمد العبق من أريجك.. علمي الطير حولك كيف يشدو يتعلم العزف من ألحانك.. واتركي النسائم تستعير رقتها من عطر أنوثتك.

يا سيدتي،

كوني أنثى.

بضدها تعرف الأشياء

متى تفقد المرأة أنوثتها؟

حينما:

- تهمل مظهرها ونظافتها وأناقتها وزينتها (والمقصود داخل بيتها وليس خارجه).

- تهمل روحها فلا تغذيها بما يغذي الروح عادة.

- تهمل بيتها وزوجها وأولادها، فتضيع بذلك جزءًا من أنوثتها الذي هو العطاء.

- تبتعد عن الذوق والرقي في كل شيء.

- تنشغل بالعلم والدراسة والعمل على حساب الإبداع في بيتها ومطبخها وفي تربية أولادها واستقبال زوجها.

- تسترجل، وترى نفسها ندًّا عنيدًا للرجل؛ فتنازعه دوره وسلطته.

- تهمل ذكاءها وحدسها، وتعطل فطنتها وطفولة قلبها.

- تغفل تقدير ذاتها واحترامها لنفسها وإثبات وجودها بما حباها الله من ذكاء وعقل ورزانة وعاطفة.

- لا تستمتع بضعفها الذي فطرها الله عليه- خاصة مع الرجل-.

- حينما تنتهج الصراخ والبذاءة والتمرد والتعالي والقسوة.

- حينما تضطرها الحياة إلى عشرة عتل زنيم أجلف.

ذاك الذي علمته مواعظ المقاهي والاستراحات؛ أن دلال الأنثى واحترامها وتقدير أنوثتها هزيمة لرجولته.. ولأنه لا يقبل أن تهزمه أنثى، ولأنه «عبقري محنك» لا تفوته ألاعيب النساء، يقرر أن يصر على الرفض وعلى التمسك بمواقفه، وأن يستعمل تلك العبارة المكونة من حرفين حتى قبل أن يسمع ما تريد قوله

أو طلبه. ولأنه من أولئك الذين لا يعترفون بالمرأة أساسًا؛ فإنه لا يعترف بشيء اسمه ذكاء أو أنوثة، بل كل محاولة منها لاسترضائه أو لتجعله يتقرب منها أو تتقرب منه؛ تعتبر في قاموسه محاولة احتلال واستيلاء وإخضاع.

ولأنه «رجل حازم قوي» كما يملي عليه عُرْفُه؛ فيستحيل أن تنعم معه بأنوثتها.

التدبير المنزلي

كوني أنثى

1 – لا شيء يعدل النظام والترتيب واليقظة الدائمة.

وقتك رأس مالك، ساعة منه إن أنفقتها في غير محلها أصاب يومك الإفلاس، وقضيته بل وربما أيامًا بعده متوترة متذمرة من تراكم الأشغال، فينعكس ذلك على كل من حولك، وتفجرين ضيقك النفسي وإحساسك بالاكتظاظ نكدًا وعنفًا ومَنًّا.

حددي وقتًا معينًا لاستيقاظك ووقتًا لنومك وراحتك.. عدد الساعات الكافية لنومك يحددها نشاط جسمك بعد الاستيقاظ، فلا تظني أن زيادة عدد ساعات النوم ستؤدي إلى مزيد حيوية، بل على العكس؛ أحيانًا كثيرة كلما زادت ساعات النوم قل مردود الجسم وخمدت حيويته..

كوني أنثى

2 – سطري برنامجًا أسبوعيًّا لأشغالك واستعيني في ذلك على رسم جدولة حسب ما عندك من مهام، وسطري برنامجًا موازيًا يوميًّا؛ بحيث تعطين لكل مهمة حقها. بلاط البيت ومواعين

المطبخ وأدواته والحمامات قد لا يأخذ منك تنظيفها وقتًا طويلًا إذا حرصت على بعض المبادئ:

- التخفيف من الأواني والأثاث:

اتركي فقط ما تحتاجين إليه من حلل وقدور وصحون، وما تستعملينه لأجل الضيافة، وعدا هذا فللصدقة منه نصيب.. أجر وغنيمة.

- التنظيف اليومي المنتظم بحيث لا تتراكم الأوساخ على الأواني وعلى الحيطان.

- التنظيم والتخطيط

فقبل أن تبدئي رحلتك اليومية مع أشغال البيت، ارسمي في ذهنك مخططًا متجددًا كي تكون الأمور كلها تحت السيطرة.. ليكن بالقرب منك منديل مبلل كي تمسحي به قارورات الملح والتوابل بعد كل استعمال، واحرصي على أن تمسحي أيضًا مكانها قبل وضعها فيه بشكل يومي متكرر بعد كل استعمال.. اطلعي بشكل يومي على محتويات الثلاجة كي تعلمي ما تقادم منها وما يجب الاستعجال باستعماله، وما الذي لم يتبق منه إلا القليل، اجعلي ورقة وقلمًا بالقرب تكتبين بها ما شارف على الانتهاء ويجب شراؤه خلال التسويقة المقبلة، وعلقي الورقة على باب الثلاجة بمغناطيس على شكل فاكهة أو خضروات (يباع بمحلات الأواني

المطبخية بأثمان زهيدة جدًّا).. هذه طريقة مثلى للتذكر سواء إن كنت أنت المكلفة بالتسوق أو زوجك، كي لا تجعليه يخرج مرات متكررة لشراء ما تحتاجينه كلما تذكرت شيئًا.

- اغسلي الخضر قبل وضعها بالثلاجة، ولا تضعي بها الأواني والقارورات وهي تقطر ماء أو قد لامس جوانبها شيء من مرق أو طعام.

- احرصي على أن تمسحي رفوفها يوميًّا قبيل وضع الحاجيات بها.. اجعلي لمقابضها منديلًا تغيرينه كل يومين ثلاثة حتى لا تتراكم الأوساخ عليها ويصعب عليك بعدها تنظيفها، واحرصي على ألا تلمسيها بيدين ملأى بالزيت أو التوابل أو غيرها، وعلمي أبناءك ذلك أيضًا وألزميهم به.. افعلي نفس الشيء مع علب وقارورات التموين ومع باقي معدات المطبخ.

- احرصي على أن ترتبي الأواني يوميًّا بعد مسحها بشكل منظم حتى لا تتراكم.. لكل آنية مكان مخصص يساعدك من جهة على الوصول إليها بسهولة، ومن جهة على ألا يصبح الدولاب كـ« كَفر ناحوم»..

- بعد الطهي، احرصي على مسح الموقد إما بسائل مخصص لذلك أو بما توفر عندك.. وافعلي نفس الشيء مع الجدار الموالي للموقد، وإن تكرر الطبخ في اليوم الواحد، لأن البخار العالق

بالجدار ورشات الطعام المتطايرة هنا وهناك تكون أسهل في الإزالة مادامت طرية، وكلما تراكمت صعب تنظيفها..

(ملحق)

هل أنت مضطرة قبيل كل رمضان وكل عيد أن تقلبي البيت ترسانة، وأن تطعني بطن المطبخ وأن تخرجي كل أقتابه، وأن تمضي الأيام تلو الأيام تنظفين وتمسحين؟ وهل زوجك مضطر لأن يعيش في بيته حالة استنفار قصوى قد تمتد لأسابيع قبيل كل مناسبة؟

أما آن لك أن تحطمي أصنام مجتمعاتنا التي تستقبل النفحات الربانية بالكنس والغسل والتنظيف؟ ما الذي سيجري إن استعنت منذ البداية بما تم الإشارة إليه في النقطة السابقة؟ فرمضان والأعياد مناسبات عبادة لا مناسبة للغرق في الأشغال.

- تهييئ بعض الأطعمة الصالحة للتخزين قبل رمضان، وأيضًا تحضير المواد التي تسهل عملية الطبخ والتي تختلف من شعب لآخر شيء مهم جدًّا، حتى يتسنى لك النهل من قراءة القرآن والصلاة في وقتها والظفر بإحياء بعض السنن التي لا يتسنى لك القيام بها في باقي أيام السنة.. الشهر شهر عبادة، لكن حاجة الزوج والأطفال إلى بهجة الإفطار والسحور، وربما العشاء سترهقك

وستجعلك دائمة التوتر قليلة الاجتهاد.. لم لا تقومي بتجهيز لائحة للأطعمة بمشاركة الزوج والأطفال، تقسمينها حسب أيام الشهر وحسب عدد الوجبات المعتادة عندك خلال رمضان وأيضًا حسب طاقتك الشرائية، من جهة ستوفرين على نفسك عناء التفكير اليومي فيما يمكن تقديمه لهم، ومن جهة ستحاولين تهيئة المواد وربما صنع الأطعمة الصالحة للتخزين، ومن جهة أخرى لن يحتج عليك أحد بأنه لا يحب ذلك الطعام؛ لأنه قد شارك في انتخابه والتصويت عليه.. اكتبي القائمة بشكل واضح وجميل باستعمال بعض الألوان وعلقيها على باب الثلاجة مثلًا، وهكذا ستكونين كل يوم بحول الله على أهبة واستعداد.. إن كان زوجك وأولادك من هواة العصائر، فاصنعيها قبلًا، أو هيئي موادها مغسولة محفوظة، وإن كانوا يحبون الفطائر هي قابلة للتخزين من غير أدنى إشكال، والكثير من الخضر قابلة أيضًا للتخزين في المجمِّد بعد نقعها في ماء مغلي وملح وتمريرها بماء بارد جدًّا.

سيدتي، تنظيمك وقدرتك على تسيير مطبخك وبيتك بإحكام وإتقان فرصتك لاستغلال الوقت من أجل الاهتمام بنفسك وأيضًا من أجل التفرغ للعبادة.. واحتسبي في كل ذلك الأجر من الشكور سبحانه الذي يعطي على القليل الكثير.

– ملابس العيد، تستطيعين اقتناءها قبيل شهر رمضان، بل قبله بشهر أو أكثر، لن تتلفها الحرارة ولن تحتاجي إلى مجمد ولا إلى براد من أجل تخزينها.. وهي ليست من سنن العشر الأواخر فلا داعي لإرجاء اقتنائها إلى قبيل العيد بيومين أو ثلاثة.. إن وسع الله عليك في الرزق، فاصطحبي الأولاد مبكرًا، واغتنمي فرصة ندرة المشترين وفراغ المحلات من الزبائن مقارنة مع اكتظاظ قبيل العيد، ستربحين الوقت بحول الله خلال العشر الأواخر لاستغلاله في مزيد طاعات واجتهاد، وستحصنين نفسك ضد الاختلاط والزحام.

كوني أنثى

3 – كثير من العراكات الصباحية في البيوتات سببها جراب ضائع أو ربطة عنق مختفية أو قميص غير مكوي أو سروال غير مغسول.. يستيقظ الزوج كي يتوجه إلى عمله، فإذا بملابسه التي كان من المفترض أن تكون جاهزة تحرمه فرصة الإفطار، إما تغلق شهيته عن الأكل، أو اضطراره لكيها أو البحث عنها وإشعال فتيل حرب لأجلها قد فوتت عليه الفرصة.

أنت المسئولة عن هذه الأشياء باعتبارك مديرة البيت، لابد أن تكوني على أهبة دائمة لمعرفة أين هي الملابس؟ هل هي مغسولة ومكوية؟ هل هي موضوعة في مكانها المخصص؟

نرجع مرة أخرى للحديث عن التنظيم وعن التخطيط.. لابد من تحديد يوم معين بالأسبوع لغسل الملابس البيضاء مثلًا وآخر لغسل الملونة، وآخر للملابس الحساسة التي تحتاج غسلًا خاصًّا، دون إغفال الجوارب.. ويوم لكيها ولترتيبها في الدواليب عقب كل غسيل.. لابد من تنسيق هذه العمليات وتوزيعها بشكل منظم على الأسبوع بحيث تضمنين ألا يحتاج منها شيئًا فلا يجده، وتضمنين أن تصلي إليها بسهولة إذا ما طلبها.. وأن تعلمي ما يجب استصلاحه وما يجب رتق أزراره، وما يجب التخلي عنه واستبداله.

كوني أنثى

4 - العناية بالطبخ وبالحلويات وبالتفنن في صنع المقبلات والمثلجات وغيرها مما يحبه زوجك وأطفالك لا يقل أهمية عما سبق ذكره.. المجلات قد تكفلت بالأمر، بل تكفلت القنوات المختصة بالطبخ سواء على التلفاز أو على الإنترنت بتعليم المبتدئات أبجديات الطهي، فلم تعد لأنثى حجة في التقاعس أو في التذرع بعدم المعرفة.. هذا عالمك وهنا تبرز براعتك ومهارتك وتفننك في إرضاء أذواق من حولك وإشباع نهمهم.. ليس مضطرًا أن يكلف أمه العجوز المريضة أن تصنع له تلك الأطباق التي يحبها، وليس في حاجة إلى أن يشتري كل شيء يحبه من الأسواق.. أنت

أولى بأن تبحثي عما يرضي ذوقه، وأن تستخدمي براعتك وذكاءك فـي التعامـل مـع الأصناف حسب طاقتك الشرائية وحسب ما توفر في بيتك دون استنزاف ولا تبذير.. أشياء كثيرة إن عرفت مبادئ صنعها استغنيت بالمواد المتوفرة عندك عما يمكنه أن يثقل كاهله.

نوِّعي في الأطباق وامزجي بين الأصالة والمعاصرة وبين الوجبات الثقيلة والوجبات الخفيفة المتوازنة وبين كل مكونات الغذاء حسب قدرتكما الشرائية.. واحرصي على التوازن الغذائي، وعلى تنويع المواد التي يحتاجها الجسم بشكل منظم سواء خلال اليوم أو خلال الأسبوع، وعلى شكل الطعام وطريقة تقديمه والتفنن في تنميقه، فالعين تأكل قبل البطن.. ولمزيد من الحرص على النظام، هيئي لائحة للأطعمة بمشاركة زوجك وأولادك.. اجعلي من الحدث مناسبة لاجتماعكم ولمناقشتكم ما تودون أكله.. لائحة مفصلة مقسمة حسب أيام الأسبوع، لا تغفلين فيها كل الوجبات بما فيها اللمج.. تستطيعين إلصاقها بباب الثلاجة مع أوراق الحاجيات الواجب شراؤها التي تحدثنا عنها في فقرة سابقة.. من جهة توفر عليك عناء التفكير اليومي في تلك الإشكالية العويصة المتكررة بتكرر الأيام والتي مفادها:» ماذا أطبخ؟» ومن جهة، فقد شارك في تسطير برنامجها كل أفراد الأسرة وتم الاتفاق

على المواد، فلا حاجة لاحتجاجهم على طعام معين أو لإرهاقك بمزيد طلبات.

هذا التخطيط يساعدك ليس فقط على تنظيم التغذية من حيث مكوناتها ومن حيث طريقة تجهيزها ومن حيث تنويعها وعدم تكريرها، بل حتى من الناحية التوفيرية.. بحيث تتعاملين مع المواد الغذائية المتوفرة عندك بالبيت بشكل عقلاني منظم، وأيضًا تكونين دومًا مستعدة للتهيئ القبلي للأطباق التي تستدعي تجهيزها ليلة قبل طهيها أو ساعات قبل ذلك.. دون الإغفال عن توفير الوقت لأجل قرآنك وقراءاتك وراحتك واعتنائك بنفسك قبل مقدم زوجك.

كوني أنثى

5 – التنظيم والترتيب بقدر ما يعفيك من التوتر ومن التبعثر، يساعدك على أن تحصلي على وقت كاف لاسترجاع الأنفاس قبل استقبال زوجك وأبنائك، وعلى وقت خاص بك للاسترخاء ولممارسة هواياتك.. ولتتذكري بعد حصة الركض و»الجذبة» اليومية أنك قبل كل شيء أنثى.

كوني أنثى

6 – الثقة بالنفس وبالأنوثة التي أودعها الله في روحك قبل شكلك تضفي بهاءها على الصورة.

كوني أنثى

7 – ليجعلك تقدمك في السن تتصرفين كامرأة أرستقراطية؛ لا كعجوز خرفة متجاوزة.

الأنوثة صفة لصيقة بك لا تفارقك إلا بخروج الروح، فلا تجعلي من السنين عبئًا عليك أو مبررًا لك في عدم الاهتمام بنفسك.

لكل سن نكهتها ولكل فترة من مراحل حياتك عطرها وسحرها.. فقط كوني دائمة الحضور.

خارج السرب

بميزان التجار ومعيار الربح والخسارة الدنيوي، قد تتأثر بعض النساء بنصائح تعلم «النصاحة والفهلوة»، تقلب بصرها حولها فإذا تلك التي لا تهتم بزوجها ولا ببيتها وأبنائها، وتلك التي تمضي جُلَّ وقتها في التفاهات، قد حظيت بالراحة وربما زوجها يعاملها أفضل بكثير من تلك التي تفني صحتها وجهدها وتضحي بوقتها لأجل إسعاده دون أن تلقى منه اهتمامًا أو شكرًا وامتنانًا، فتستعجل الربح وتجد الخلاص في أن تتخفف من الأعباء، وأن تلعب دور البلهاء أو المدللة التي لا تعلم من اهتمامات الزوجية شيئًا، فتعفي نفسها من المسئولية وترغم زوجها على ذلك.

لو افترضنا جدلًا أن هذا هو الواقع، بل هو واقع نراه بأعيننا ونسمع عنه في الأسر، فهل تسمين هذه المرأة زوجة، فضلًا عن أن تكون أنثى؟ وهل تسمين علاقة مبنية على الدهاء زواجًا تتحقق به السكينة وما شرع لأجله الزواج؟ وكيف تفترضين أن يكون هذا الزوج الذي انطلت عليه حيلتها طيلة سنوات دون أن يتنبه أو ينتفض؟ وكيف تفترضين أن يكون بيتها وأولادها؟

صحيح أن الأمر من الناحية الشرعية قد تحدث فيه الفقهاء، وبينوا أن أمر الخدمة ليست واجبة على من اشترطت ذلك قبل الزواج فوافق، أو على من كانت عادتها في بيت أهلها عدم الخدمة، جاء في «الموسوعة الفقهية الكويتية» (44/ 19): « لا خلاف بين الفقهاء في أن الزوجة يجوز لها أن تخدم زوجها في البيت، سواء أكانت ممن تخدم نفسها أو ممن لا تخدم نفسها. إلا أنهم اختلفوا في وجوب هذه الخدمة: فذهب الجمهور (الشافعية والحنابلة وبعض المالكية) إلى أن خدمة الزوج لا تجب عليها، لكن الأولى لها فعل ما جرت العادة به» اهـ

وفي بيان مذهب المالكية جاء أيضًا:»... إلا أن تكون من أشراف الناس؛ فلا تجب عليها الخدمة، إلا أن يكون زوجها فقير الحال» انتهى

إلا أن العادة محكمة كما يقول الأصوليون، وقد جرت المجتمعات على إدارة المرأة شئون بيتها مما لا يسع الزوج القيام به بسبب عمله خارج البيت، جاء في الموسوعة الفقهية كذلك:

«ويتأكد القول بلزوم الخدمة على المرأة إذا جرت العادة به، وتزوجت دون أن تشترط ترك الخدمة؛ لأن زواجها كذلك يعني قبولها الخدمة؛ لأن المعروف عرفًا كالمشروط شرطًا، وقد

رجح جماعة من أهل العلم القول بوجوب خدمة الزوجة لزوجها وذكروا أدلة ذلك»

ـ قال ابن تيمية رحمه الله: «وتجب خدمة زوجها بالمعروف من مثلها لمثله، ويتنوع ذلك بتنوع الأحوال، فخدمة البدوية ليست كخدمة القروية، وخدمة القوية ليست كخدمة الضعيفة. وقاله الجرجاني من أصحابنا وأبو بكر بن أبي شيبة» انتهى. «الاختيارات» ص 352

وقال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد 186/5: « فصل: في حكم النبي صلى الله عليه وسلم في خدمة المرأة لزوجها: قال ابن حبيب في «الواضحة»: حكم النبي صلى الله عليه وسلم بين علي بن أبى طالب رضي الله عنه، وبين زوجته فاطمة رضي الله عنها حين اشتكيا إليه الخدمة، فحكم على فاطمة بالخدمة الباطنة، خدمة البيت، وحكم على علي بالخدمة الظاهرة، ثم قال ابن حبيب: والخدمة الباطنة: العجين، والطبخ، والفرش، وكنس البيت، واستقاء الماء، وعمل البيت كله. فاختلف الفقهاء في ذلك، فأوجب طائفة من السلف والخلف خدمتها له في مصالح البيت، وقال أبو ثور: عليها أن تخدم زوجها في كل شيء. ومنعت طائفة وجوب خدمته عليها في شيء، وممن ذهب إلى ذلك مالك،

والشافعي، وأبو حنيفة، وأهل الظاهر، قالوا: لأن عقد النكاح إنما اقتضى الاستمتاع، لا الاستخدام وبذل المنافع، قالوا: والأحاديث المذكورة إنما تدل على التطوع ومكارم الأخلاق، فأين الوجوب منها؟ واحتج من أوجب الخدمة بأن هذا هو المعروف عند من خاطبهم الله سبحانه بكلامه، وأما ترفيه المرأة، وخدمة الزوج، وكنسه، وطحنه، وعجنه، وغسيله، وفرشه، وقيامه بخدمة البيت، فمن المنكر، والله تعالى يقول: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) البقرة/ 228، وقال: (الرجال قوامون على النساء) النساء/ 34، وإذا لم تخدمه المرأة، بل يكون هو الخادم لها، فهي القوامة عليه. وأيضًا: فإن المهر في مقابلة البضع، وكل من الزوجين يقضي وطره من صاحبه، فإنما أوجب الله سبحانه نفقتها وكسوتها ومسكنها في مقابلة استمتاعه بها وخدمتها، وما جرت به عادة الأزواج. وأيضًا: فإن العقود المطلقة إنما تنزّل على العرف، والعرف خدمة المرأة، وقيامها بمصالح البيت الداخلة، وقولهم: إن خدمة فاطمة وأسماء كانت تبرعًا وإحسانًا يردّه أن فاطمة كانت تشتكي ما تلقى من الخدمة، فلم يقل لعلي: لا خدمة عليها، وإنما هي عليك، وهو صلى الله عليه وسلم لا يحابى في الحكم أحدًا، ولما رأى أسماء والعلف على رأسها، والزبير معه، لم يقل له: لا خدمة عليها، وإن هذا ظلم لها، بل أقره على استخدامها، وأقر سائر أصحابه على

استخدام أزواجهم مع علمه بأن منهن الكارهة والراضية، هذا أمر لا ريب فيه. ولا يصح التفريق بين شريفة ودنيئة، وفقيرة وغنية، فهذه أشرف نساء العالمين كانت تخدم زوجها، وجاءته صلى الله عليه وسلم تشكو إليه الخدمة، فلم يشكها، وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المرأة عانية، فقال: (اتقوا الله في النساء، فإنهن عوانٍ عندكم)، والعاني: الأسير، ومرتبة الأسير خدمة من هو تحت يده، ولا ريب أن النكاح نوع من الرق، كما قال بعض السلف: النكاح رق، فلينظر أحدكم عند من يرق كريمته، ولا يخفى على المنصف الراجح من المذهبين، والأقوى من الدليلين» انتهى

وحتى إن كنتِ فعلًا مدللة وكنت في بيت أهلك كذلك، فلم قبلت بزواج يفترض أن تقومي أنت على المصالح المنوطة بك حتى تسير السفينة؟ لمَ لمْ تبقي في بيت أهلك معززة مدللة لا يمس جلد يديك ماء؟ لم لمْ تشترطي قبلًا ذلك، وتتحملي أن يقبل بشرطك أو ألا يقبل؟

أفلا أدلك على خير من ذلك؟

إن كنت آنسة لم تتزوجي بعد، أن تطلعي على المسئولية التي تنتظرك، وأن تتهيئي لها تهيؤك لامتحان الجامعة الذي كنت دومًا

تحرصين على ألا ترسبي فيه بل أكثر.

أن تتعلمي مبادئ الطبخ ورتق الملابس والأزرار وكيفية كي البنطال دون تخريب طياته، وأن تكوي القميص دون حرقه أو حرق يديك.

أن تتعلمي التدبير وكيف تصنعين أشياء من اللاشيء، وأن تتصرفي بمهارة في القليل الموجود أمامك فتصنعي منه العجائب.

أن تتعلمي التنظيف بما قل من جهد ومن ماء ومن مستحضرات التنظيف.

أن تتعلمي النظام والترتيب، كيف ترتبين الدولاب، وكيف تنظفين الثلاجة، وكيف تجعلين منها بهجة بالألوان، وكيف تنمقين صوان الأواني.

أن تتعلمي أن تصنعي البهجة في بيتك البسيط بكل البساطة المحيطة بك.

أن تتقني استقباله في شكلك وفي بيتك وفي طبخك.

أن تتعلمي كيف تكونين ملكة متوجة داخل بيتك.

كيف تكونين أنثى.

فإن لم تستطيعي.. فبيت أبيك أوسع لك.

كن قوّامًا

مقدمة لا بد منها

إن كانت الأم تؤثر بشكل مباشر وملحوظ على تشكل شخصية ابنتها وعلى تصوراتها ورؤيتها للحياة حولها، فإن دورها لا يقل تأثيرًا على شخصية الابن الذكر وإن كنا نظن أن تأثره يكون فقط بوالده.. مفاهيم كثيرة تحشوها أمه برأسه، منذ نعومة أظافره، سلبًا وإيجابًا وتنقل له ثقافتها باعتبارها الأقرب له لمدة طويلة فتتشكل نظرته لكل شيء حوله وتتبلور اعتمادًا على ما تم تلقينه له، فإن كان حضور الوالد قويًّا، فقد يتشبع بآرائه وسلوكياته وتوجيهاته في مرحلة المراهقة والشباب، وإن كان باهتًا، فإما أن يتشبع بهذا الغياب فيظن أن هذه هي الصورة النمطية للرجل داخل البيت، وإما أنه يتلقى ثقافة مزدوجة من البيت ومن الشارع والرفاق، فيصعب بعدها أن تتغير أفكاره وموروثاته الثقافية.

مفاهيم تأسيسية

* مفهوم القوامة بين الموروث والمسنون

لا أحد يخالف في أن الكثير من المشاكل الزوجية مرجعها إلى شيئين اثنين: امرأة لا تحسن أن تكون أنثى فضلًا عن أن تكون

زوجة، ورجل لا يحسن أن يكون قوّامًا فضلًا عن أن يحسن فهم الأنوثة والتعامل معها، (مع بعض التفريعات هنا وهناك).

ولعل سبب هذه الاختلافات الرئيس، خلط وتمييع المفاهيم والفهم الخاطئ لمناطات الأحكام.

وقد جرت العادة - من خلال ما تروجه وسائل الإعلام والقصص والروايات الحداثية- على خلط معنى القوامة المنصوص عليه في القرآن بمعاني التسلط والتجبر والتسيد والاستئثار بالرأي بل وبالعيش، ففهم الرجل عمومًا أن دوره كرجل يقتصر على أخذ حقوقه وبأن الحياة الزوجية أحادية القطب يبدو فيه دور المرأة باهتًا بل لا وجود لها ولا قيمة، إنما دورها أن تكون أمة ذليلة تعيش لأجل لقمتها وكسوتها إن وجدت ولأجل أن تسهر على راحته وأبنائه في مقابل ذلك.

والحق أن الله سبحانه حاشاه أن يهين خلقا خلقه وكرمه وأمر نبيُّه بالإحسان إليه.. بل إن اعتبار القوامة تسلطًا قدح في حكمة الحكيم سبحانه وفي عدله عز وجل.

فما القوامة؟ وبم فسرها العلماء؟

«القوام والقيم بمعنى واحد، والقوام أبلغ وهو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب» البغوي (رحمه الله)

« أي يقومون بالنفقة عليهن والذب عنهن» (القرطبي رحمه الله)

« القوام: الذي يقوم على شأن شيء ويليه ويصلحه، يقال: قوام وقيام وقيوم، لأن شأن الذي يهتم بالأمر ويعتني به أن يقف ليدير أمره، فأطلق على الاهتمام (القيام) بعلاقة اللزوم، أو شبه المهتم بالقائم للأمر على طريقة التمثيل(...) وقيام الرجال على النساء هو قيام الحفظ والدفاع، وقيام الاكتساب والإنتاج المالي» (التحرير والتنوير)

القوامة إذًا مسئولية وإدارة وقيام بالمصالح وتدبير للحياة ونفقة وذب وولاية وإصلاح.

هذه قوامتك أيها الرجل، أخًا كنت أو أبًا أو زوجًا.

فكن قوّامًا، واحتسب واجتهد في أن تلقى ربك غير مضيع لأمانتك ومسئوليتك.

(لقاؤنا بحول الله فيما سيأتي من كلام لتفصيل المطلوب منك كزوج قوام أمام ما ترمي به الحياة في طريقكما)

*** معنى «الدرجة» في قوله تعالى: (وللرجال عليهن درجة)**

قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: (وللرجال عليهن درجة) (وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله ابن عباس وهو أن «الدرجة» التي ذكر الله تعالى ذكره في هذا الموضع: الصفح من

الرجل لامرأته عن بعض الواجب عليها، وإغضاؤه لها عنه، وأداء كل الواجب لها عليه. وذلك أن الله تعالى ذكره قال:» وللرجال عليهن درجة «عقب قوله:» ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف»، فأخبر تعالى ذكره أن على الرجل من ترك ضرارها في مراجعته إياها في أقرائها الثلاثة وفي غير ذلك من أمورها وحقوقها، مثل الذي له عليها من ترك ضراره في كتمانها إياه ما خلق الله في أرحامهن وغير ذلك من حقوقه، ثم ندب الرجال إلى الأخذ عليهن بالفضل إذا تركن أداء بعض ما أوجب الله لهم عليهن، فقال تعالى ذكره: «وللرجال عليهن درجة» بتفضلهم عليهن، وصفحهم لهن عن بعض الواجب لهم عليهن، وهذا هو المعنى الذي قصده ابن عباس بقوله: «ما أحب أن أستنظف جميع حقي عليها» لأن الله تعالى ذكره يقول: «وللرجال عليهن درجة».

ومعنى «الدرجة»، الرتبة والمنزلة.

وهذا القول من الله تعالى ذكره، وإن كان ظاهره ظاهر الخبر، فمعناه معنى ندب الرجال إلى الأخذ على النساء بالفضل، ليكون لهم عليهن فضل درجة» اهـ.

كن قوّامًا

1 - هل سألت نفسك يومًا ما الذي يمكنك أن تكافئ به زوجتك على خدمتها لك ولأبنائك وسهرها على راحتكم جميعًا؟

هل حدثت يومًا نفسك بشكرها وامتنانك لها على كل ما تقدمه لك؟

فقط هل تعذر تقصيرها إن قصرت، وهل تعترف، ولو بينك وبين نفسك، بما تتفانى فيه كي تسعدك، أم أن رتابة الحياة وسرعة جريانها، أو لربما أنانيتك وحب ذاتك قد منعك الوقوف للحظة من أجل التفكير فيما يدور حولك؟

هل منحت يومًا نفسك التأمل في إبداعها، وفن إدارتها بيتها بحنكة؟

هل منحت نفسك الاستمتاع بفن تهيئتها مائدة الطعام، ولربما ملابسها وتسريحة شعرها واهتمامها بأطفالها ونظافتهم ونظافة البيت وترتيبه؟

هل فكرت يومًا أن تستمتع بكل الأشياء الصغيرة الجميلة المحيطة بك، فيلهج لسانك شكرًا للوهاب على ما أغدق عليك به من نعم؟

هل علمت كم من الوقت تمضي زوجتك في المطبخ من أجل إعداد الوجبات اليومية؟ وكم يستغرق منها البيت كي يصبح نظيفًا مرتبًا؟

هل تعلم أن كل ما تقوم به فهي تؤديه من صحتها وجهدها وراحتها النفسية قبل الجسدية؟

هل جربت يومًا أن تقف لساعات متتالية بين طبخ وكنس، ونفض ومسح غبار، وترتيب وغسل أوان وملابس، ورعاية أطفال وعناية بالرضع منهم وكي ملابس ووووووو، فقط كي تجرب ولو لمرة حجم معاناتها وتعبها!؟

لربما ستجيب: ولم أنا تزوجتها إن لم تكن للكنس والطبخ ورعايتي وأولادي.. ذاك واجبها، ولذلك سُخِّرت، فما الجديد وما الغريب في أن تفعل كل ذلك؟

ولربما أجبت: لو علمت هي أيضًا كم أتعب لكي آتيها بلقمة العيش.

ولربما كنت أكثر تسلطًا وعنجهية فتجيب: تلك مبالغة أن يقال بأنها تتعب، إنما عملها كلعبة بسيطة. و لو كانت أكثر حذاقة وخفة، لأتمت كل عملها في دقائق وبضغطة زر أو بالرجلين قبل اليدين.

ولربما كنت أكثر إنصافًا ووسطية فتجيب: كلانا يتعب، نسأل الله العون لنا جميعًا، وكل شيء بأجره.

ولربما كنت أكثر شاعرية ولطفًا ورفقًا وذكاء فتجيب: لوددت

أن أحمل عنها كل ما يتعبها، ولوددت أن أفديها بعيني فلا ترهق نفسها، ثم أنا راض منها باليسير كما ترضى هي مني باليسير، ولست عاتبًا عليها إن هي يومًا قصرت؛ لأنني أعلم أن ذلك جهدها وأقصى طاقتها، وأنها إن لم تتمكن من إتمام شغلها، فلعذر حبسها.

سأصوغ الحالة بشكل آخر:

أنت في عملك محاسِب مثلًا، وكل شغل الشركة على عاتقك، تسهر الليالي وتحرم نفسك من أبسط المتع والفرص في الراحة كي يكون عملك دومًا مرتبًا وجاهزًا، فما الذي تنتظره من رئيسك؟ لا تكن مثاليًّا أو مخادعًا فتقول: لا أنتظر شيئًا من أحد، أنا أقوم بواجبي وفقط. فحب الثناء والتقدير فطرة بشرية.

ما الجواب الذي ستختاره مما مضى ذكره كمقابلة من رئيسك لعملك؟

سأترك لك الجواب..

أيها الزوج،

فتش في نفسك، لربما كنت من أولئك الذين يرون- بتلك الفلسفة الملقنة من كراسي المقاهي أو بسط الاستراحات- أن الثناء وإظهار الامتنان للمرأة يورثها التسلط والغرور والدلال، ويجعلها تشعر بأكثر مما يجب أن تكون عليه.

احذر من تلك المقولات الساذجة الجاهزة المسوقة ككبسولات لرفع درجات الرجولة- زعموا- فإنها مدمرة، وإنما الرجولة مودة ورحمة وتفهم واحتواء.

احذر أن تجعلك أنانيتك وحب نفسك تغمط حق من ولاك الله شأنها وجعلك قوّامًا عليها.

احذر أن تبيع حظك من الآخرة بحظك من نفسك الأمارة بالسوء ومن كبرك وحبك التسلط..

وجرب- إن لم تكن قد جربت ذلك من قبل- أن تثني عليها وأن تعبر لها- بعباراتك البسيطة الصادقة- عن امتنانك وعن اعترافك بجهدها، وغض الطرف عن بعض التقصير غير المتعمد. وأشبع عاطفتها بكلماتك الدافئة الحنونة.. ووطِّن نفسك على ذلك حتى يصير الثناء والتقدير فيك سجية.. وبالممارسة والتكرار تحل عقدة اللسان، ويصبح الكلام الطيب سليقة فيرفرف الحب والاحترام.

فقط جرب وسترى بأنك قد أسرت قلبها، وبأنك كفيتها ما ينغص عيشك وعيشها.

القوامة ذب عليها من كل سوء.. عدم اهتمامك بها وبعالمها يسيء لنفسيتها.

القوامة حنان وثناء واحتواء واعتراف بالجميل.

كن قوّامًا

2 - لا تجثم على أنفاسها ولا تجعل تحركاتها تنفذ من خرم إبرة، ولا تحركها على خشبة الحياة بآلة تحكم أو بخيوط كدمية متحركة (ماريونيت).. واترك لها فرصة للتعبير عن ذاتها ولتأسيس فلسفتها الخاصة، وللتفنن والإبداع في التعامل مع الأشياء.

لا تخطط لها ما يجب أن تكون.. بل اجعلها بذكائك وحنكتك تكون ما تريدها أن تكونه وهي تظن أنها كما تريد هي.

واجلس على كرسيك ترقب في صمت محاولاتها الأنثوية في تلوين الحياة حولك.

لا تتدخل إلا إذا ما رأيت الأصباغ قد تداخلت كثيرًا وأن امتزاجها سيفسد رونق الصورة..

لا تسبح ضد تيارها.. ولا تغرق فيه بكليتك، واترك طرفًا من الحبل على المرفأ حتى يسهل عليك في كل مرة العبور إليه.

أن تحركها بمخططاتك نسف لشخصيتها.

أن تقمع تحركاتها هدم لإبداعها.

أن تريها الحياة بنظارتيك إلزام لها أن تكون نسخة منك.

أن تبتلعها بأحكامك كسر لضلعها.

قيوميتك عليها.. ألا تكسر الضلع.

كن قوّامًا

3 - شخصيتك وروحك، ونظرتك لشخصيتها ولروحها..

تلك كل الحكاية.

كلما كنت أكثر تناغمًا مع نفسك، أكثر قربًا من روحك، أكثر اطلاعًا على طموحاتك وما تريد.. سهل عليك فهمها وفهم روحها.

احترامك لها ولميولاتها، مشاركتك لأفكارها ولاهتماماتها، اقترابك من عالمها.. مشاركة في تدبير أمرها ومناسبة للإصلاح كلما واتت المناسبة.

كن قوّامًا

4 - لن ألومك على اختيارك..

أعلم يقينًا ما تعنيه الأقدار، وما يعنيه أن تفتح عينيك- لسبب ما- على نفسك في المقطورة الخطأ، وفي الرحلة القافلة الآيبة؛ في حين كنت قد هيأت حقائبك لرحلة عبور آمنة تستذري فيها بفيء روح جميلة تداعب روحك، وتتنعم فيها بسكون وسكن وغض بصر طموحاتك المتنامية بمن تستحق أن تعتنق فيها عقيدة التوحد والإفراد بل الحلول والاتحاد.

قد أخطأت الاختيار..

لم تتنبه..

لكنك الآن على متن القاطرة، ولربما على متنها معك وفي عهدتك زغابى لا ماء لهم ولا شجر.. يقترب قطارك من منتصف الطريق.. ربما أكثر أو أقل قليلًا.. وشيبتك المتقافزة في رأسك وفي لحيتك قبل أوان المشيب أصبحت تطيل بك المكوث أمام المرآة.. لا تفتأ تذكرك أن ها هنا، بين عينيك وفي ناصيتك وما بين الضلوع؛ أمنية عتيقة يخفت ومضها حينًا ثم ما تلبث أن تبرق وتتوهج وتتشظى «فوتوناتها» بالقرب من صندوقك الأسود.

تعبس المرآة في وجهك.. تهمس لك في حنق أنه لابد أن تنتفض.. شيء ما عليه أن يتغير.. الآن وقبل أي وقت مضى.. تبحث حولك عن شارة البداية، فتتبعثر خطاك على الطريق..

أنت أمام خيارين يا سيدي،

أن تكمل الرحلة كما هي وأن تئد الأحلام العنيدة والأمنيات المعتقة.. أو أن تبادر للإصلاح.

لكن، من أين يبدأ الإصلاح؟

هل تستحق الأمور فعلًا أن تجهد نفسك لإصلاحها؟

ما الذي تستطيع فعله؟

بل ما الذي يجب عليك أن تبادر لفعله؟

استراحة مقاتل، قبل الرد على هذه التساؤلات..

مناسبة لتعمل فكرك أيها المقصود بهذا الكلام..

وربما مناسبة لفتح باب مزيد أسئلة عنيدة أغفلت عنها صاحبة الكتاب.

كن قوّامًا

5 – أعتى السجون، أن تضطر للعيش مع من لا تحتاج فقط إلى أن يغير من بعض سلوكياته لكي تتآلفا، بل إلى أن يغير كل روحه حتى تتعرف إليها روحك.

كن قوّامًا

6 – تقبل منها وترد، لها سلبيات كثيرة، لكن الأمر لم يصل إلى أن تبغضها وأن تكره الحياة بسببها.

مازال هناك بصيص أمل.. لا تقعد أمام خشبة المسرح تلعب دور المتفرج الذي ينتظر أن تنتهي فصول المسرحية كي يصفق أو كي يعلن عن استيائه من العرض المقدم..

أنت القوّام، ولعلك مازلت تذكر ذلك المعنى الذي أسسنا له في أول فقرة:

«القائم بالمصالح والتدبير والتأديب الذي يقوم على شأن شيء ويليه ويصلحه، يقال: قوام وقيام وقيوم؛ لأن شأن الذي يهتم بالأمر ويعتني به أن يقف ليدير أمره»

مهمتك أن تقف على أمر زواجكما لتديره، ومسئوليتك في الإصلاح تفوق مسئوليتها..

هاك بعض النصائح التي من الممكن أن تعينك في مهمتك الاستصلاحية التدبيرية:

١ - الإدراك أول خطوة للتدارك..

تحديد مواطن الخلل في العلاقة الزوجية أول خطوة للإصلاح.. نقاش شفيف واع معها قد يعينك على تشخيص الداء، وقبله جلسة هادئة مع نفسك بعيدًا عن التوتر وعن مجريات الأحداث، تعالج فيها مع نفسك أسباب انزعاجك، وتضع من خلالها يدك على مسببات إحباطك.. تعامل مع الأمر بوعي أكثر، خذ ورقة وقلمًا، وارسم جدولًا من ثلاث خانات:

- إيجابياتها
- سلبياتها
- ما تنتظره منها

ربما ستدهش وأنت ترى أن كم سلبياتها أقل بقليل من إيجابياتها.. وبأن تلك الأشياء التي تنتظرها منها إما أنها غير واعية بها، وهذا يستدعي تدخلك الحكيم الذكي لتوعيتها، أو أنها موجودة لكن حنقك عليها لا يجعلك تراها.

نحن لا نحصل على الدوام على كل ما نريده، فإما أن نقبل بالمتاح من غير تذمر ولا نكد، وإما أن نصنع بأيدينا ما نريده.. إن كنت تريد أن تحصل على ما تريده.. فاصنعه وشكله بيديك.. تحتاج إلى مجهود وطاقة وصبر طويل.. لكنك في الأخير- بحول ربك وقوته- ستصل.

2 - افتح قنوات التواصل بينكما..

أشياء كثيرة قد تفهمها هي بحدسها، حدس الأنثى، وكلما تمتعت- بنعمة وفضل من الله- بذكاء وتوقد ولمح أكثر، استطاعت أن تفهمك من نظرة في عينيك ومن نبرة صوتك ولربما من صمتك أيضًا.

لكن قد يحصل أن تكون أقل ذكاء، كما قدر الله لها أن تكون، أو أن تكون أنت مغلفًا بالغموض، فلا تستطيع الغوص في أعماقك كي تصطاد متطلباتك وما يزعجك وما تروم أن يكون منهجًا في حياتك..

تنتظرها أن تفهم لنفسها؟ سيطول إذًا انتظارك، ولربما أفنيت عمرك في قاعة الانتظار دون أن تفهم هي.

اخترق غفلتها واقتحم بساطة إدراكها، وافتح بينكما قنوات اتصال تخبرها من خلالها، في هدوء وروِّية ورجاحة عقل، ما تريده، بكل المباشرة وبكل البساطة التي تجعل من الكلام القليل الواضح المباشر الرفيق وسيلة للوصول إلى الهدف..

التواصل البنَّاء أقصر الطرق إلى تحقيق الأهداف وإلى نيل السعادة.

3 - هي تجتهد وتعطي أجمل ما عندها إذا حظيت بالاهتمام وبالامتنان.. وإذا ما أشبعت عاطفتها الجوعى للمسة ود وحنان.

تقديرك لجهدها هو » الدينامو « الذي يحركها ويجعلها تواصل العطاء والإبداع.

وشكرك لها وامتنانك لما تغدق عليك به من اهتمام، بل تَنبُّهك أصلًا إلى أنها تبذل مجهودًا لإرضائك، سبب وجيه في عرفها كي تجعلك الملك المتوج في بلاطها.

الكلمة الطيبة صدقة، فلا تنسها من صدقتك وإحسانك.

يا سيدي،

قد دخلت امرأة الجنة في كلب سقته.. أفلا تسقي مشاعرها

كلمات دافئة تلف بها كيانها كي لا تحترق بثلج السكون وبَرد الصمت واللامبالاة؟

4 - الرجولة والقوامة لا تعني أبدًا فرد عضلاتك والصولة عليها بقوتك الجسمية تنكل بها كلما بدا لك، لكمًا ولطمًا وجلدًا وتعزيرًا.. إنما الضرب قد شرعه الله في ترتيب متأخر عن الموعظة الحسنة والهجر في المضجع وبسبب وجيه هو النشوز، أما أن تفرغ في ضربك لها كل عقدك النفسية وكل مشاكلك الداخلية والخارجية وتتحجج بأنك الرجل وما هي إلا امرأة فتتشفى وتنتقم، فانتظر انتقام المنتقم سبحانه الذي حرم على نفسه الظلم وجعله بين عباده محرمًا.

فالضرب الذي أباحه الشرع إنما هو ضرب إصلاح من أجل إقامة العشرة بين الزوجين في حال تجبر المرأة وعصيانها الذي يستحيل معه أن تستقيم الحياة الزوجية، وقد حكمه بحصول سوء مغبة النشوز من جهة، وبالترتيب من بعد الموعظة والهجر من جهة، وبألا يكون مبرحًا من جهة أخرى، وبأن يكون بقدر رجوعها إلى الطاعة من بعد النشوز، وعدا هذا فهو اعتداء. ولعل هذا الضرب هو بمثابة الكي للمستشفي والذي هو آخر العلاج. وقد ذكر بعض العلماء أن الضرب لا يكون إلا إذا كان قد دأب عليه القوم دون أن يعتبر عندهم اعتداء على المرأة.

قال صاحب التحرير والتنوير رحمه الله في تفسير آية النشوز: (فلا جرم أنه أذن فيه لقوم لا يعدون صدوره من الأزواج إضرارًا ولا عارًا ولا بدعًا من المعاملة في العائلة، ولا تشعر نساؤهم بمقدار غضبهم إلا بشيء من ذلك) ا هـ.

القوامة احتواء وتفهم وحكمة في التعامل، والضرب المبرح في غير ما ذكره الشارع طريقة للإصلاح، ضعف شخصية وانهزام واهتزاز.

وتذكر أنك حينما تظلمها؛ تسقط من عينها وتقصم عرى الألفة والمودة بينكما، فأية نفسية تلك التي ستنظر بها إليك بعد هذا؟ وأي قلب سيضمك بعدها وقد كسرته ونكلت بأنوثتها وجمعت عليها ألم الجسد وألم النفس؟

5 - ضعيفة هي مهما بلغت من درجات القوة.. ولا يفهم ضعفها إلا رجل كامل الرجولة.

6 - قد تكون ممن اختاروا زوجة موظفة لأي سبب من الأسباب أقله إقرار الحديث الشريف (تنكح المرأة لأربع؛ لمالها..) بعادة بعض الرجال في اختيار المرأة لأجل المال.

لكن كونها ذات راتب لا يعفيك من واجب إنفاقك عليها، بل لا يعطيك الحق في التسلط عليه واحتكاره ومنعها من حرية التصرف فيه، إن فعلت تكون إذًا في عداد من يأكلون السحت. ألم تسمع قول نبيك صلى الله عليه وسلم: (إنّ رجالا يتخوّضون

فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة) قال الحافظ بن حجر رحمه الله: (يتخوّضون فى مال الله بغير حقّ) أي يتصرّفون في مال المسلمين بالباطل. أ.هـ الفتح (ج 7 / 178)

ومن حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يحلبن أحد ماشية امرئ بغير إذنه أيحب أحدكم أن تؤتى مشربته فتكسر خزانته فينتقل طعامه؟ فإنما تخزن لهم ضروع مواشيهم أطعماتهم فلا يحلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه)

قال الحافظ ابن عبد البرّ: في هذا الحديث النهي عن أن يأكل أحد أو يشرب أو يأخذ من مال أخيه شيئًا إلا بإذنه، وذلك عند أهل العلم محمول على ما لا تطيب نفسه.

قال: وفي هذا الحديث ايضاً ما يدل على أن من حلب من ضرع الشاة أو البقرة أو الناقة بعد أن يكون في حرز؛ ما يبلغ قيمته ما يجب فيه القطع أن عليه القطع؛ لأن الحديث قد أفصح بأن الضروع خزائن للطعام، ومعلوم أن من فتح خزانة غيره أو كسرها فاستخرج من المال أو الطعام أو غيره ما يبلغ ثلاثة دراهم أنه يقطع... ا.هـ التمهيد (ج 14ص 212-206)

وقال الإمام الحافظ البغوي رحمه الله: والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم أنه لا يجوز أن يحلب ماشية الغير بغير إذنه، فإن اضطر في مخمصة ومالكها غير حاضر، فله أن يحلبها ويشرب ويضمن للمالك وكذا سائر الأطعمة... شرح السنة للبغوي (ج 8 / 233 ح 2168)

وعن أبي حميد الساعدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:« لا يحل لامرئ أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفسه قال ذلك لشدة لشدة ما حرم الله من مال المسلم على المسلم» رواه أحمد وابن حبان الرقم (5978). والطحاوي (2822) وصححه الشيخ الألباني.

بل لا حق لك في أن تلزمها بدفع حصة منه لمصاريف البيت إن لم يكن ذلك بطيب خاطرها، عن أبي حرة الرقاشي، عن عمه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:« لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس» حسنه الألباني رحمه الله.

أيها الزوج الفاضل..

قوامتك وقيوميتك عليها تقتضي إنفاقك عليها، وقد سبق الاتفاق في أول فقرة على أن القيام يقتضي فيما يقتضيه؛ الاكتساب والإنتاج المالي والإنفاق.. وما كان تفضيل الله لك عليها إلا لتلك المزية الجبلية التي تستلزم احتياجها لك لحمايتها وللإنفاق عليها، لا يتغير ذلك بتغير زمان ولا مكان ولا بتطور في الأحوال المجتمعية.. ولا بامتلاكها راتبا تشقى وتكد للحصول عليه[1]

(1) ملحوظة: الكلام هنا تأصيل للمسألة من الناحية الشرعية وليس حثًّا أو تحريضًا للمرأة على ألا تساعد زوجها. من جهتها فلتفعل من باب المروءة ومن باب محبتها لزوجها ولبيتها وأبنائها، ومن جهته لا يأخذ إلا ما طاب به خاطرها، أما إرغامها فينافي الشهامة والرجولة فضلًا عن منافاته لأمر الشارع الحكيم.

مسألة:

قد تقول: أتكون ذات راتب ولا تساعدني؟ فما حاجتي بها إذًا؟

لا عليك، اخترها منذ البداية من غير وظيفة، وارحمها وارحم نفسك من نكد بسبب المال، فما رأيت من شيء يسقط هيبة الرجل وقيمته من عيني زوجته مثل صراعه السرمدي معها لأجل الإنفاق.. أو استيلائه على كل مالها؛ لا حق لها في التصرف ولو في جزء منه..

نخوة الرجل في كرمه وفي قيامه بمتطلباتها بنفس راضية ولو من قليل ما آتاه الله..وكمال أنوثتها في صبرها على ضيق ذات يده، وإعانتها له بتدبيرها على نوائب الأيام.

8 - أن تشترط عليها ألا تعمل، ذاك اختيارك ولا أحد من حقه أن يغير رأيك، وحقها أن تقبل بك أو أن ترفض.. لكن أن تجوعها بعدها، وأن تجرعها نغب البخل والحرمان، وأن تتعسف عليها، وأن تمن عليها باللقمة التي تقتسمها بينها وبين أولادك، وأن تحرمها أبسط ما تحتاج إليه أنثى من ملابس وأدوات زينة، وتريدها في الأخير أن تخضع لك وأن تستكين، فهذا- وأيم الله- لَلظلم والإذلال بعينه ومطالبتها بالمستحيل.

التدبير المالي

الكثير ممن يشتكون من الضائقات المالية قد لا يكون ذلك بسبب قلة ذات اليد بقدر ما هو سوء تدبير وتخطيط وقبلهما قلة توكل و قناعة واستعانة.. قد يجدر في هذا المقام التذكير باسترزاق ذي الخزائن الرزاق، وبسؤاله الدائم البركة، وباللوذ بأدعية قضاء الدين وسعة الرزق، كما يجدر التذكير بحسن التوكل على الله وبالرضا بالقليل قبل الكثير وبالبعد عن الجشع وعن التكالب على الدنيا وعن الحصول على المال أو صرفه فيما يغضب الله وبطريقة تنم عن رعونة صاحبها وسفاهته.

ثم يأتي بعد ذلك التخطيط من أجل الموازنة بين الطاقة الشرائية وبين الحاجيات، بحيث تقسم هذه الحاجيات إلى ضروريات وإلى ثانويات، وإلى مستعجلات وإلى ما يمكنه الانتظار.

نظام الأظرف أو مذكرة التقسيم خطة عملية تساعد على التدبير..

فلا شيء يعدل النظام والتدبير في التعاملات مع المال؛ لأن النفس البشرية شرهة متطلبة لا يكفيها شيء ما لم تستكف. ولأجل هذا وجب إلجامها والحد من تطلعاتها وترشيد متطلباتها.

أول خطوة بعد الاستعانة بالله وسؤاله البركة والسعة، التخطيط والتشارك والتبصر.

اجرد قائمة بمجالات الإنفاق:

-الإيجار.

-الكهرباء والماء.

- الهاتف (أو الهواتف).

- البنزين.

- الدواء (بالنسبة لمن لهم دواء مستديم شفاهم الله)

- الملابس (وهذه في الغالب لا تكون بشكل شهري إلا أنه بالإمكان جعلها منظمة ومرتبة حسب أولويات أفراد العائلة، وكي لا تتراكم فتثقل الكاهل بالإمكان جعل كل شهر لفرد مثلًا)

- مدارس الأولاد ومصاريف الساعات الإضافية أو مدارس اللغات أو غيرها.

- الكتب(لمدمني الكتب)

- مبلغ قار للصدقة.

- مبلغ حسب فائض ما يتبقى من المرتب لحالة الطوارئ (سفر، مرض، ضيوف)...

- مبلغ ولو بسيط جدًّا جدًّا للادخار.

- نفقة البيت (وهنا يلزم وجوبًا التشارك بين الزوجين في تحديد الاحتياجات اليومية الأساسية والاحتياجات الثانوية حسب القدرة الشرائية وحسب عدد أفراد الأسرة وأيضًا حسب المواسم والمناسبات: لائحة مفصلة لكل عناصر التموين: زيت، دقيق، سكر، شاي، صابون، معجنات، أرز... بتفصيل دقيق ممل) ولائحة أخرى للمواد الثانوية التي تستطيعان الاستغناء عنها في حالة ضيق مادي أو طارئ أو استقدامها عوضًا عن مواد أساسية متبقية من شهر سابق.

ملحوظة: نظام الأظرف أو مذكرة التقسيم خطة عملية تساعد على التدبير، بحيث تجعل عددًا من الأظرف مكتوب على ظهرها أحد مجالات الإنفاق الآنفة، تساعدك على تذكر كل المجالات وأيضًا على ألا تختلط النقود فيختلط بذلك عليك الأمر.

2 - تريد زيادة في مالك وبركة تغنيك عن الاستدانة؟ أنفق واحتسب ولا تخش من ذي العرش إقلالًا.. على أمك = بركة مكرورة، حينما أنفقت وحينما دعت لك بالفتح والبركة.. وعلى زوجتك وأولادك خير ما تنفق وخير ما تؤجر عليه (إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في فم امرأتك) متفق عليه.

ولتفرق بين البخل والشح والتقتير، وبين التدبير فشتان بينهما.. التدبير حكمة واحتياط واستعداد، وإجراءات وقائية تنظم بها حياتك كي لا تسقط في الضيق والاستدانة، أما التقتير والشح فمرض إذا ما تمكن؛ عز شفاؤه وصيرك عبدًا لفلسك تخشى عليه الزكام إذا ما فارق جيبك.. معدمًا فقيرًا تخشى أن تمد عينك لما تعرضه الحياة خشية الاضطرار إلى أن تمد معها يدك إلى جيبك.

القوامة كرم وجود ونخوة.. وإنفاق

الرحلة الرابعة

التعدد

اعتذار واجب

بين المطالبين بشدة به، وجعله عنوانًا للرجولة وللفحولة ووسيلة للتنكيل بالمرأة، وبين ناكريه المستهزئين به وبأصحابه، الحاملين لواءات الحنق على من يرى مشروعيته قولًا أو فعلًا، يضيع هذا المباح.

لست هنا كي أحاول جرد الأدلة على مشروعيته، فهذا يبحث عنه في مظانه، وليست تفاسير القرآن ولا كتب الفقه عنا ببعيدة، فليبحث من أراد مزيد تيقن من أنه شرع الله عن ذلك إن أراد، ولست هنا كي أشجع عليه ولا كي أدعو إليه ولا كي أحث النساء– بورع بارد – على أن يقبلن به من غير نقاش ولا ألم، فأتهمهن ظلمًا بأنهن إن لم يفعلن فقد كفرن بشرع الله، ولست أيضًا هنا كي أحرض ضده وأشوه صورته وأعطل الحكمة التي من أجلها قد شرعه الله، إنما حديثي سيكون– بحول الله– من أجل هدم ذلك الصنم أوّلًا الذي تصلد في العقول، فجعل هذا الموضوع من المسكوت

عنه أو من الجرائم التي لا تغتفر، والتي يستحق مقترفوها الجلد أو التعزير أو الشنق أو الطرد من أمام أعين مزدريه، فكالوا الاتهامات للمرأة الثانية وألحقوا بها أشنع التوصيفات وسموها- في أفضل الأحوال- سارقة للرجال، ولاموا الأولى واتهموها بالتقصير وبعدم الكفاءة، وإلا لما اختار زوجها التعدد ونظروا إليها ككائن متجاوز، وجردوا الرجل من إنسانيته واعتبروه فارغ العين خائنًا للعشرة نهمًا عديم الوفاء.

ثانيًا: لمباحثة بعض الاستراتيجيات والحلول من أجل ترشيده إذا ما حصل، أو تهيئة كل الأطراف المعنية قبل وقوعه للتعامل مع الأمر بنضج وبحساسية أقل مادام لا مفر منه ولا حل في واقعهم سوى القبول- ولو على مضض- به.. وأن أنبه خائضيه بطيب خاطر إلى أن الأمر ليس بالسوء الذي تبثه الجرائد ووسائل الإعلام والمسلسلات ومواقع التواصل، وفي نفس الوقت، ليس بالسهولة واليسر التي يفترضونها.

ثالثًا: ليس الحديث هنا إلى من تستطيع تدبر أمرها بطلب الطلاق أو الخلع وهي تعلم أن مصلحتها الدنيوية والدينية في الابتعاد عن مناخ قد تفقد فيه أعصابها وسلامة نفسيتها ودينها وتعصى فيه الله، إنما الحديث إلى المستضعفة المغلوبة على أمرها

التي لا تتحمل الوضع، وفي نفس الوقت لا يمكنها إعالة أولادها، ولا تستطيع بحال أن تفارق زوجها أو أن تمنعه من الزواج.. تلك التي لا تستطيع إيجاد حل إلا التعايش مع واقعها، فهي محتاجة إلى كبسولات وجرعات منها ما هو وقائي، ومنها ما هو استشفائي؛ كي تستطيع التغلب على أزمتها، وتعيش بنفسية صحية تربي بها أولادها ودون أن تنكر شرع الله.

فهل نتركها تموت كمدًا وحزنًا؟ هل نهديها لمستشفيات الطب النفسي وعقاقير الاكتئاب؟ أم نتباحث معها حلولًا؛ كي تتماشى مع واقع مفروض عليها ولا فكاك لها منه؟

التعدد شرع والغيرة فطرة، وإنما تهذب الفِطَر لتوافق الشرع مع مراعاة طبيعة المرأة في الغيرة.

أسأل الله أن أخرج من هذا الموضوع سالمة كما دخلت، وأن يرعي القارئ فهمه؛ كي يصل إلى المراد من هذه الحروف.. فباسم الله مرساها ومجراها.

إليكَ

جلسة مصارحة ومكاشفة وصدق مع نفسك، قد تجعلك تقدم أو تحجم عن اقتحام هذا المشروع.

اسأل نفسك، ورُدَّ بكل صدق وشفافية:

- هل أنت مؤهل نفسيًّا وماديًّا ومعنويًّا لزواج جديد؟
- ما الذي تفتقده في زواجك حتى تفكر في التعدد؟
- هل هي نزوة عابرة، تريد أن تتباهى أمام أقرانك ممن عددوا أنك مثلهم، أم أنها حاجتك الملحة؟
- هل أنت مستعد لاحتواء زوجتك الأولى وتفهم غيرتها وتقلبها، والحرص على استقرار بيتك وأبنائك كي لا تبني على ردم؟
- هل أنت مستعد للعدل بينهما ولأخذ الأمور من زمامها، أم أنك تعول على صبر الأولى وتضحيات الثانية؟
- هل لديك القدرة على فك النزاعات إذا ما حدثت بسبب هذا الزواج الجديد؟
- هل ستستطيع الحفاظ على البيتين دون أن تضحي بأحدهما على حساب الآخر؟
- هل ستستطيع تحقيق سعادتك من خلال تخطيط متقن، وقبله هل أنت تحسن التوكل على الله وتحسن فيه اليقين سبحانه؟

- هل أنت مستعد لإرضاء الله قبل التفكير في إرضاء إحداهما أو كليهما؟

- هل تستطيع أن تحيا حياتين متباينتين حسب شخصية ومقومات كل واحدة منهما، أم أنك ستريح نفسك بإلزامهما بنفس طريقة العيش؟

- هل شخصيتك بالقوة التي ستجعل النظام يستتب إذا ما حصلت العواصف؟

- هل أنت بالحكمة التي تجعلك تميز بين الخطأ والصواب وبين ما يجب فعله ومتى ومع من؟

- هل تستطيع كتم أسرار كل بيت وعدم نقل العيوب أو المزايا بينهما؟

هذه جملة من أسئلة لابد أن تجيب عنها بكل صدق، وأن تضع نفسك أمام المرآة قبل أن تخوض غمار التجربة، فالأمر زواج وبيت جديد ومسئوليات تضاف إلى عاتقك، وأولاد واستقرار وراحة نفسية وديانة.

فكر.. ثم قرر

إلى الزوجة الأولى

لو أنك وطنت نفسك على أمور منها:

- أن النعم مهما تزينت فإنها منقوصة زائلة، وأنك في الدنيا ممتَحَنة، وأن ابتلاءك لابد وأن يكون فيما تحبين.

- أن أقضية الله كلها خير، وإن كانت في فقد عزيز.

- أنك أنت العانية عنده بدلالة حديث نبيك صلى الله عليه وسلم (استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عوان عندكم)، وليس العكس.. وبهذا فلا حق لك أمام الله أن تحجري عليه أو أن تمنعيه حقًّا قد أباحه له الله ما دمت لم تشترطي ذلك قبل الزواج ولم يوافق هو.

- أن الحياة تبغي الكثير من الحكمة والمرونة في التعامل مع أحداثها، وأنها لا تتوقف لموت ولا لفراق ولا لزواج زوج.

- أنك محظوظة أن لم يشرع لك الله التعدد وإلا فلكنت معرضة لابتلاء وامتحان لا تعلمين أتنجحين فيه أم تأتين ربك بشق أعوج، فالحمد لله الذي عافاك وابتلاه.

- زواجه لا يعني دومًا أن بك عيبًا، فقد يكون العيب فيه إذ لم يستطع استيعابك والاكتفاء بك، وقد لا يكون العيب لا بك ولا به، إنما هو يمارس حقه المشروع في الزوجية كما تحبين أنت أن تمارسي حقك في الأمومة مثلًا.

- أن تنظري دومًا بعين الحكمة والتفاؤل وإلى الجانب المشرق من المسألة وإلى الحيز المملوء من الكأس: فزواجه يعني يوم راحة والتفات إلى نفسك وانشغال بك عنه وترتيب لبيتك ولأشيائك الشخصية من غير توتر ولا ضغوطات، وانهماك في مواهبك وأنشطتك المفضلة التي لا تجدين لها وقتًا خلال وجوده بالبيت.

- أن تبحثي عما يسعدك منه فتجعلي ذلك نصب عينيك، ذلك سيساعدك على تقبل الأمر مبدئيًّا، وبأنك إن كنت صابرة على زواجه فلما يسعدك منه وما لا يمكن أن تفرطي فيه لأي سبب.

- أن تعتادي على انتقاء حيلك الدفاعية أمام ما يكدر خاطرك، ومن بينها ما تم الإشارة إليه.

- أن تحتسبي صبرك وألم غيرتك عند الله: موطن أجر جديد وحسنات بحول الله ما كنت لتحصديها لولا هذا الابتلاء.

- أن تبتعدي عن كل من بإمكانه أن يضعفك بكلامه وكل من سيجعل منك موضوعًا للنقاش ولصب أسقام المجتمع المعتوه والعادات العوجاء.

- احتسبي أجر مساعدته على غض بصره في الحلال، ولا تكوني سببًا أن يبحث عن ذلك في الحرام.

لو أنك توطنين نفسك على هذه الأمور (وغيرها مما سيأتي

بحول الله)، فإن نظرتك للتعدد ستتغير، لا أقول أنك ستقبلين بها من غير تردد أو أنك ستذهبين للخطبة له، وإنما سيخفف عنك ذلك ما تجدين.

همسة :

امرأة لا تغار من زواج زوجها،

ليتنبه هو جيدًا لمكانه منها، ليعلم ما الذي جعلها لا تغار

(*) تذكير:

ليس الخطاب هنا إلى من تستطيع تدبر أمرها بطلب الطلاق أو الخلع وهي تعلم أن مصلحتها الدنيوية والدينية في الابتعاد عن مناخ قد تفقد فيه أعصابها وسلامة نفسيتها ودينها وتعصى فيه الله، إنما الحديث إلى المستضعفة المغلوبة على أمرها التي لا تتحمل الوضع وفي نفس الوقت لا يمكنها إعالة أولادها ولا تستطيع بحال أن تفارق زوجها أو أن تمنعه من الزواج.. تلك التي لا تستطيع إيجاد حل إلا في التعايش مع واقعها، فهي محتاجة إلى كبسولات وجرعات منها ما هو وقائي ومنها ما هو استشفائي؛ كي تستطيع التغلب على أزمتها وتعيش بنفسية صحية تربي بها أولادها ودون أن تنكر شرع الله.

فهل نتركها تموت كمدًا وحزنًا ؟ هل نهديها لمستشفيات الطب النفسي وعقاقير الاكتئاب؟ أم نتباحث معها حلولًا كي تتماشى مع واقع مفروض عليها ولا فكاك لها منه؟

إلى الزوجة الثانية

لست خاطفة ولا سارقة ولا عديمة أصل ووفاء كما يحلو للمجتمع أن ينعتك به، بل أنت تمارسين حقك الذي شرعه الله لك.. لا تلتفتي إلى أقوال من حولك، ولا تجعليهم يسممون حياتك بنظرتهم.. ابتعدي عن كل مَن مِن شأنهم أن يكسروك، أو أن يصوروا لك نفسك كذئب شرس انقض على فريسة.. هو قد اختارك بمحض إرادته، بغض النظر عن كل الحيثيات، على شرع الله وسنة رسوله صلى الله عليه سلم، وأنت قد وافقت لمّا رأيت منه ما أقنعك أن تقبلي به وما يصلحك من هذا الارتباط.

عيشي حياتك بشكل عادي وكأنك الوحيدة في حياته، من غير دخول في مقارنات ولا تجسس على بيته الأول.. حاولي أن تحتفظي بخصوصيتك وبعالمك الخاص، من غير محاولة للتيه على أولئك الذين يشزرونك كي تقنعيهم أنك سعيدة، أو أنك قد أحسنت الاختيار.. حياتك وقراراتك تخصك وحدك، وليس من المفروض عليك أن تبرري لكائن من كان، مادمت ملتزمة فيها بشرع الله، بل وليس من العقل ولا من المروءة أن تتباهي بنفسك وبحياتك على حساب الزوجة الأولى فقط كي تقنعيهم أنك سعيدة وبأن اختيارك كان صائبًا.

إليكَ

إذا كنت ولابد معددًا، فابحث عن القيمة المضافة لحياتك بهذا الزواج الجديد، وعمن يظن أن تكمل النقص الذي تحسه إن كان.

أما أن تضيف مَن لن تحس معها بتغيير في نمط الحياة، فصورة مكرورة وسقوط في وابل من المشاكل التي قد تزحزح استقرار بيتك الأول من غير طائل ولا كثير منفعة.

إليكَ

لست مضطرًا إلى إخبارها إذا ما أردت الزواج ولا شيء يجبرك على ذلك، لكن وازن قبل اتخاذ هذا القرار بين ما يمكن أن تحققه أنت من راحة بال بسبب عدم خوضك هذا الموضوع قبلًا، وبين ردة فعلها والصدمة التي من المؤكد أنها ستنتابها إذا ما وضعتها أمام الأمر الواقع.. لا تطالبها حينذاك بالحكمة ولا تنتظر منها أن تتقبل مشروعك الجديد بالقبول والتصفيق والتشجيع والاستبشار.

ما تحتاجه منك؛ أن تهيئها للأمر، أن تحتويها.. أن تساعدها على التعامل مع غيرتها ومع هذه الحياة الجديدة الغامضة المجهولة التي ستضطر إلى التعايش معها.. تصور أن شريكك في التجارة الذي دأبت على التعامل معه سنين قرر فجأة أن يغير شكل المعاملات أو أن يضيف شريكًا جديدًا لتجارتكما دون أن

يعلمك و دون أن تتفق معه على ذلك؛ كيف سيكون رد فعلك.. ثم تذكر أن علاقتك بهذا الشريك لا تعدو أن تكون علاقة تجارة تستطيع في أي وقت أن تستغني عنها، في حين أنها شريكة حياتك ومن دأبت على تحملك وتحمل أبنائك وشظف العيش معك.. تلك التي كانت الحضن الذي يؤويك والكتف الذي يسندك في الشدة ويحتويك في الرخاء.. أفلا تستحق منك تطييبًا لخاطرها واحتواء يعينها على التحمل وعلى استيعاب المتغيرات والتأقلم معها وحسن التعامل معها؟

خطط لأن تكون حكيمًا رصينًا بعيد النظر.. فإن نجحت في أن تحتفظ بها قريبة منك وبرعت في جعلها تتقبل الأمر- وإن على مضض لكن دون زوابع- فقد ربحت بيتك القديم وحضنها الدافئ، وتحقيق ما تنوي تحقيقه بأقل الخسائر.

إلى الزوجة الأولى

قد حباك الله نعمة منعها عن غيرك حكمة منه سبحانه وعلمًا بما يصلح عباده.. قد أنعم عليك بالاستقرار وبزوج يسكن إليك وتسكنين إليه، وحياة زوجية تمارسين فيها أمومتك أو تؤدين فيها وظائفك كأنثى، وتنعمين فيها- بغض النظر عن الأكدار وما يمكنه أن يعكر صفو الحياة من مشاكل؛ هي جزء لا يتجزأ من الحياة الدنيا ومن الحياة الزوجية على

وجه الخصوص- بكنف وحضن ورعاية ممن ولاه الله أمر رعايتك والحرص عليك وعلى استقرارك، لكن المنعم المعطي هو المانع سبحانه، والنعم قد تكون إلى زوال، فتخيلي أنك أرملة وحيدة أو مطلقة بعدما كنت متزوجة، وقد ناء جيدك بحمل الأولاد وبمسئولياتهم التي تنمو وتتشعب كلما كبروا، وبنظرة المجتمع السقيم للأرملة أو المطلقة أو المختلعة أو من تأخر عنها الزواج.. وانظري حينها، أكنت لتقبلي برجل معدد لو طلبك للزواج؟ هل كنت لتنظري إلى الأمور بعين المحتاجة إلى ما جعله الله سنة في كل الكائنات ما شذ عنها نبات ولا حيوان لأجل الطمأنينة والألفة والانبساط والاستعانة على مسئوليات أبنائك؟ أم كنت لترفضي نعمة وتفوتي عليك رزقًا قد ساقه المنعم إليك؟

كذلك هي تلك المرأة التي اختارها زوجك ضرة لك.

وفي الاختصار غنى عن التطويل.

فقط، كوني عادلة واقعية منصفة.

وتأملي الكلام، ثم احكمي.

إليكَ

تلك التي قررت أن تجدد بها حياتك، وأن تصحح بها خطأك- إن كان- في الاختيار، وأن تعيش معها ما جد عندك في فلسفتك في الحياة التي تمليها عليك الخبرة والتقدم في السن ومواجهة المشاكل

والصعاب، لها طموحات وأهداف من الزواج كما لك أنت.

أنت تريد بيتها واحة للاستذراء بفيئها، ومهربًا لك من التعب والنكد والمشاكل، وتريد هي حياة عادية كما لكل النساء.. تنجب فيكون لها منك الولد، وتخطئ فتبادر لمراضاتك.. وتخطئ في حقها فتسارع لمسح الدموع عن قلبها.

تريد حياة بعجرها وبجرها، بصفائها وكدرها.. بثورتك وهدوئك.. بانفعالاتكما وتغيراتكما.. بأبقكما وفيئكما.. بكل النجاحات والإخفاقات التي تنثر جمال الحياة.

وأنت تريدها لحظات مستقطعة من الراحة.. لا تتحمل فيها مسئولية ولا تكلف نفسك الشق على المرغوبات.

ذاك- وأيم الله- الإخفاق مجسدًا في علاقة زوجية، وتمثيلية محدودة الحلقات ووبال جديد تستعجل هطوله.

فكر.. قبل أن تقرر..

فإن الحياة الزوجية التي شرعها الله أسمى من أن تكون أنانية وحب ذات واستفرادًا بالفرح وبالراحة[1]..

---

(1) هذا إن لم يتم الاتفاق بينهما على ذلك منذ البدء، فإن تراضيا على ذلك وقبلت، فلا تقم الدنيا ولا تقعدها إن هي سئمت من الوضع من بعد؛ لأنه قد دخل إلى هذه الحياة الزوجية انطلاقًا من شروطه التي اشترطها وقبلتها، وقد رتب الحياة حوله على ذلك.

إلى الزوجة الثانية

قد أطلعك على كل ظروفه، وعلمت منه أنه ذو أولاد، وزوجة قد حملت معه معاطف الأيام، وحياة أخرى بكل مسئولياتها وما يترتب عادة عن الزواج، قد قبلت بقلة ذات يده، ولم تري بأسًا في أن يجعل لك من وقته ما فضل عن بيته الأول، وانتشيت إذ أخبرك أنه ينوي أن يجعل من بيتك منتجعًا يرمي على بابه أحماله ثم يستذري في فيء حاله أنه سريع الاندثار.

تقبلته كما هو، وتنازلت عن حقوقك بمحض إرادتك، وتم الاتفاق بينكما أن يأخذ من حياته معك الجزء الذي يسعده، وأن تستقطعي أيضًا منه ما يجعلك تسعدين بالحياة.. ثم ها أنت قد سئمت من حياة الوحدة، ومن اضطرارك خوض غمار الحياة وحدك في غيابه، وبتحمل المسئوليات داخل وخارج البيت، فلا تلوميه بعدها إن لم يستطع أن ينزل عند إلحاحك بالتغيير، ولا تتهميه بالجور والظلم وعدم العدل بينكما.. فإنما تطالبينه بالمستحيل، وبتغيير ما كان ليقدم على زواجه منك لولا أنك قد أعفيته منه منذ البداية وأوهمته أنك ستكونين سنده والحضن الذي يأويه.

قد كان منك الاختيار.. فتحملي تبعات اختيارك، ولا تحرقي بستانك بشرر هذا التقلب والتغيير المفاجئ.

فإنما الحياة اختيارات.

إلى الزوجة الأولى

إما أن تعملي على أن تحافظي على أنوثتك، وأن تستزيدي من كل ما بإمكانه أن يرد لك الثقة بنفسك التي زعزعها- من غير إرادتك- ذاك القرار.

وإما فإنك ستخسرين مرآتك، وستتوه عنك نفسك وستتوكئين على عصا الشيخوخة قبل أوان الهرم.

لاشيء يا سيدتي يستحق أن يذبلك وأن يفقدك شهية الحياة.

أنت أنثى، وستظلين كذلك، وإن تزوج كل يوم مليون امرأة.

إليكَ

هو تكليف ومزيد مسئوليات وابتلاء يُضاف إلى قائمة ابتلاءاتك في الحياة، وتمحيص جديد ليعلم الله صدق تعبدك له بالامتثال لما أمر به من عدل بينهن وإنفاق وحسن تربية لأولادك السابقين واللاحقين، وغيرها من الامتحانات.

تستطيع أن تكمل حياتك بزوجة واحدة- في حالة عدم قدرتك على الامتثال لأحكام التعدد مما شرعه الله- وأن تتحمل العيش

بقلب مجدب وروح عطشى وحياة مقفرة بلا طعم ولا لون..

لكنك لن تستطيع أن تتحمل أن تأتي الله بشق مائل وبحقوق مضيعة وبمسئوليات مبددة.

إلى الزوجة الأولى

بكل الأنانية وحب الذات التي وجدت في الأنثى تدافعين عن استئثارك به، ولا تألين جهدًا في اتهامها بالأنانية وحب الذات أن فكرت لمصلحتها فقبلت- لأسباب تخصها، أو لحاجة ألجأتها- الارتباط بزوج ذي زوجة وأولاد.

هي نفس الفطرة يا صديقتي.. وهي نفس الأسلحة.. والحق الذي تعطيه نفسك في الدفاع عن حياتك، هو نفسه حقها كي تحصل على ما يصلحها وعلى نصيبها في الحياة.

فعلام لومك لها؟

إلى الزوجة الثانية

لا تجعلي من زواجه بك فرصة لنسف الزوجة الأولى أو لإثنائه عن أولاده ونسخ حياته القديمة، قربك منه واعتلاؤك عرش قلبه إنما يكون بحسن التبعل والرقي في التعامل بما يوحيه إليك خلقك وما يفرضه عليك دينك، ولا يجب بحال أن تجعلي من حطام صنمها أدراجًا لترتقي إليه.

إلى الزوجة الأولى

إلى الزوجة الثانية

قد علمت الآن أن زوجك قد تزوج، أو أنه ذو زوجة أولى، ترين أن حلك في الخلاص منها، وأن كل سعادتك واستقرارك في خلو حياته منها.. تسارعين في اختراع ما تلوي به ذراعه، وتضعين حياتك معه بين المطرقة والسندان، وتشترطين بقاءك معه أو قبولك بالزواج به، طلاق الأخرى..

تبنين سعادتك على حطام الآخرين، وتستنفذين كل أنانيتك وحبك الخير لنفسك لإيذائها وإزاحتها من طريقك كي تستفردي به، وتنسين قول نبيك عليه أفضل الصلاة والتسليم:

(لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها فإنما لها ما قدر لها) صحيح البخاري

حساباتك.. راجعيها مع ربك قبل كل شيء.

إليكَ

ما الذي يجعل الأمر عندها يبدو كخيانة وغدر وكجريمة كاملة الأركان؟

ذاك التخفي وهروبك من المواجهة ومن إخبارها بالأمر..

ليس واجبًا عليك شرعًا أن تستأذن منها، مادامت لم تشترط

عليك قبلًا ألا تتزوج، ومادمت لم تقبل أنت بهذا الشرط، ولا من الملزم لك ديانة أن تخبر الثانية بأنك ذو زوجة وأولاد.

لكن، تذكر أنها- سواء الأولى أم الثانية- إن علمت بالخبر فلن ترضى ولن تصمت ولن تجعل الأمور تمر في سلام.. ولا تعول على دوام التخفي ولا على أن الخبر لن يصلها، فإن مثل هذه الأمور تتلقفها الألسنة وتبرع في نشرها طواعية ومن غير مقابل.

تطييب خاطرها وتهيئتها لهذه الوافدة الجديدة، ولهذه الحياة المقتسمة بين اثنتين قد يكون مما يجعل الوضع أكثر استقرارًا.. وصراحتك ووضوحك سيجعل الثانية إما تقبل وإما ترفض لا أن تجد نفسها ملزمة بوضع ربما لم تكن لتقبل به لو خيرت قبلًا.

أما أن تضعهما أمام الأمر الواقع فما عليك سوى أن تتهيأ لحرب بسوس ومعركة ضروس.. ونهاية القصة نهاية تراجيدية تصلب فيها الأحلام ويشنق فيها الاستقرار ومعه رغبتك في الحياة.

إلى الزوجة الأولى

استمتعي بغيرتك وسرحي عنانها دون ظلم أو تطاول، واجعلي من تلك المشاعر المتأججة داخلك فرصتك لإعادة تكوين شخصيتك أو لتطويرها، ولترتيب الحياة حولك.

لا تبحثي عن ضرتك في عيونه وخلف كلماته، ولا تتابعي

حركاتها فيما جدّ من حركاته بعد زواجه الجديد.. لا تلومي تغيره- إن تغير للأحسن معك- ولا تستغربي منه فيض المشاعر ورهف الإحساس وهذا الاحترام الذي أصبح يعاملك به، استمتعي بالجديد الجميل الذي حرمت منه طوال سنين، فلربما هي الخبرة الجديدة المنقولة من كيان جديد، ولربما قد فطن- إذ ابتعد قليلًا- إلى الجفاء الذي كان يغرسك فيه.. ولربما هو فعلًا يجاملك، لكنك على كل حال أنت الرابحة، إن أنت استعملت جزء الأنانية الإيجابي الذي يمدنا بما تسكن به الأرواح ويشبع كبرياء الأنوثة.

خذي الثمرة واطرحي النوى، ولا تتعمقي في التفتيش وفي التنقيب وفي التحليل وفي الاستقراء، فإنما هو جهد جهيد غير مشكور، وتضييع لوقتك في مطاردة السراب، وحرق لأعصابك بالاستنتاجات، وإهدار لفرص جديدة للاستمتاع بالحياة.

خذي منه العفو.. وتعقلي.

فإن الغضب والحزن وتآكل الروح بصدئ الأسى سيمتص لونك وروحك ويجعلك تهرمين قبل الأوان..

وتعلمي، فإن الحكمة تورّث.

إليكَ

أن يكون لك بيت ترتاح فيه أكثر، وزوجة منهما (أو منهن)

تفضي إليها بسرك (لا بسر الأخرى) وتسترشدها وتطمئن إلى مشورتها ورأيها وتجد كل أنسك وراحتك وسكينتك عندها؛ لاينافي العدل المطلوب منك، فقط احترس أن تنقل مشاعرك تلك إلى من لا ترتاح لها أو أن تخبرها بأنك تفضل غيرها عنها، فإن في ذلك جرحًا لمشاعرها وإشعالًا للضغائن ولفتيل المشاكل.

إلى الزوجة الأولى

إلى الزوجة الثانية

قد قضى الله أمرًا كان مفعولًا، وقدر عليكما حياة مشتركة ليست بالسوء الذي تصوره لكما الأفلام وتجمعات النساء ومقالات الحاقدين على الإسلام، الطاعنين في مبادئه، مشعلي الفتن بأفكار حداثية ظاهرها حب الخير للناس وللنساء بشكل خاص والخير والحكمة منها براء.

ما تحتاجانه، الآن وقد وقع ما وقع، تفعيل دروس العقيدة التي تزعمان فهمها بما فيها مقتضى الإيمان باسمه سبحانه الرزاق وبصفة تقديره الأرزاق سبحانه وتوزيعها بحكمته وعدله وعلمه، وشحن ذخيرتكما الإيمانية، واستحضار اليقين والرضا والتسليم والعفو والتسامح وكل الأخلاق التي يحث عليها الإسلام في معاملة الأقارب والجيران.. وكل الحقوق التي على المسلم لأخيه المسلم.

الكثير من النضج- سيدتاي- والكثير من الذكاء الاجتماعي والعاطفي.

والكثير الكثير من الحكمة.

إليكَ

إن استطعت اجعل لك لقاءات تجمع فيها الأسرتين؛ حتى يألف الأولاد بعضهم، وحتى تقلص الفجوة والجفوة بين الزوجتين، على أن تستغل هذه اللقاءات في أنشطة تعود بالنفع على الجميع، وتنبه أن يظهر ميولك أو أن يفلت منك مدح أو ذم لإحداهما أمام الأخرى. أجّل الملاحظات إلى أن تنفرد بمن تود نصحها أو تنبيهها وأيضًا المجاملات.

جرب، فإذا خلصت إلى أن هذه اللقاءات مثمرة ولا تنتهي بمشاكل فكررها من حين لحين خاصة في المناسبات.. وإلا فليكن اجتماعك بأولادك فقط حتى لا يشبوا متجافين متباغضين بسبب ما قد ينقل إليهم من الأمهات.

إلى الزوجة الأولى

لا تكوني عونًا للشيطان عليه إن اختار الحلال.. أهون ألف مرة أن تعلمي أنه يبيت حلاله على أن تأتيك أخبار مغامراته في الحرام.

أحدثي لك نية عونه على ألا يعصى الله.

واصبري واحتسبي.. وجزاء الشكور سبحانه أن يربط على قلبك وأن يبدل غيرتك وما تجدين بردًا وسلامًا على قلبك الحزين.

إليكَ

لا تنقل أسرار هذا البيت للآخر، ولا مشاكله ولا أفراحه.. ولا تضع وقتك تقارن بين ما لا يقارَن، وتفترض أن يكونا متماثلتين، أو تلزم إحداهما أن تكون نسخة من الأخرى.. وطِّن نفسك على الاستمتاع والاستفادة من التباين ومن اختلاف التنوع.. واستحضر على الدوام قاعدة:

(لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا رضي منها خلقًا آخر) مسلم.

الرحلة الأخيرة

الطلاق

توطئة (1)

أرأيت لو أنك كُلفت بنسج مشترك، فرسمت الصورة في ذهنك واخترت الألوان وجهزت كل ما سيسهل عليك عملك، ثم قررت ألا تنسج بل أن تتفنن وتبدع.. لكنك أثناء عملك، فوجئت أنك تعمل وحدك رغم وجود شريك بالقرب يفترض أن يساهم في البناء، وكلما ألححت عليه في المشاركة بل في القيام بدوره المنوط به، وجدته متقاعسًا غير مبال، بل لا يألو جهدًا في إحباطك وعرقلتك، بل وينقض في كل مرة ما تفني جهدك فيه أنكاثًا!.

تضطر في كل مرة إلى إعادة النسيج، وإلى فك شعث الخيوط، وإلى مداهنته ومهاودته ومهادنته كي يتركك على الأقل تشتغل وحدك حتى وإن اختار هو الانسحاب من المشهد.

تطول بك المهاودة ولا ينفعك تمرد عليه ولا استكانة، وهدفك يوم أن بدأت النسج أن تبدع لا أن تأتي بما أتى به من قبلك، فإذا بك لا تستطيع حتى أن تقوم بالمطلوب.

تراك ستكمل الشراكة وسيحتضنك الصبر وستكمل ما تبقى لك

من وقت عالقًا بين سطوة أمنياتك في البطولات، وتسلط الإفشال عليك ممن كان مفترضًا أن يبدعوا أيضًا حتى تكتمل اللوحة؟

تراك ستقبل أن توصم بالفشل وأنت إنما كنت هدفًا للإفشال؟

تراك ستصمت وتقبل أن تكمل ما تبقى لك من عمر منزويًا تعد الخيبات، وتضفر جدائل الخذلان وترجم الأيام بأحجار الخنوع والاستكانة؟

توطئة (2)

قرار الرحيل المختوم بسنوات الصبر المبذولة في سبيل الله لأجل لأم صدع بناء ما سنه الله سبحانه إلا لعلمه احتياج كل من الرجل والمرأة إلى سكينة ومودة ورحمة واحتواء ومؤانسة وتشارك في حمل المسئوليات الموكلة بهما وأولها العبودية، المنكّه بلحظات الشقاء التي يحرم فيها الطرفان أو أحدهما عافية علاقة زوجية سليمة مستقرة ومبنية على الرحمة والمودة، الموقَّع بالتضحيات السرمدية المنفقة هباء من أجل لم الشمل ولأم الفرقة، قرار لابد أن يأخذ وقته في النضج، وألا ينبت بين عشية وضحاها من غير تثبت ولا تؤدة ولا محاولات متكررة وبذل النفس والنفيس في سبيل ذلك، بل لا بد أن ينمو مع مر السنين فلعلها كفيلة بتغيير الطباع والقناعات والمتطلبات والرؤى، حتى إذا خاب السعي

وباءت المحاولات الاستصلاحية بالفشل، وصار حتمية تفرضها الأبواب المسدودة، ونهاية الأنفاق، وانتهاء مخزون الصبر والبذل، واستمد مشروعيته ونجاعته من تفويض الأمر لله، والافتقار إليه سبحانه أن ينفس الكرب ويرفع البلاء، ومن الاستخارات المتكررة.

قرار هذه أوصافه لن يكون بحال- سببًا- في حسرة ولا ندامة ولا دموع تذرف حزنًا على اتخاذه، بل يجعل الله فيه بعده خيرًا كثيرًا، وحياة جديدة تتنفس هواء نقيًّا عدا ذاك الملوث بسبب النكد والمشاجرات، بل يجعل لسان المرء يلهج بعبارات الثناء والحمد والشكر أن غير ما به وأنجاه من حياة الكمد والحسرات والمعصية المحتومة بسبب الضعف والإجهاد في المحاولات اليائسة للتقارب ولشحذ الرحمة والسكينة والمودة.

توطئة(3)

أغلب من يصرون على الحفاظ على نسيج الأسرة متماسكًا في ظاهره رغم أنه ممزق ممزع متناثر الأشلاء في حقيقته: الخوف من نظرة المجتمع الشزراء وهمسه المريع عن المطلقين على حد السواء، أو ضبابية المستقبل والخوف منه ومن اقتحام حياة جديدة مجهولة وخاصة فيما يتعلق بالرزق.. فالمرأة تخشى على مصيرها ومصير أولادها ورزقهم، والرجل يخشى- في الغالب- من النفقة ومن تبعات الطلاق من عدة ومتعة وغيرها من الأشياء المادية

خاصة، فيفضل كلاهما الفشل المغلف باجتماع تحت سقف واحد، يتفننان فيه في معصية الله وفي النكد وإضرام أتون الخلافات والعراكات؛ على أن يحاولا النجاح في طلاقهما والابتعاد عن حياة أقل ما يقال فيها أنها تقصر العمر وتغضب المولى.

لو اكتفى كل واحد منهما بالانشغال بالنظر إلى ما يصلحه ويصلح أبناءه وما يبعده عن معصية الله في هذه الحياة الزوجية النكدة التي لا يمكن أن تخلو من مخالفات في غياب السكينة والرحمة والمودة، دون تطلع لما تتلقفه الألسنة الأشحة الحداد ودون الالتفات إلى أفكار المجتمع السقيم القاضية بإخراج المطلقين من زمرة الأسوياء، وجعلهم موضوعًا لأحاديثهم التي لا تنتهي، وكأنهم جاءوا بذنب لا يغتفر أو بجريمة بشعة نكراء.. ولو أرجع كل واحد منهما الأمر إلى الله، وحقق عبوديته له سبحانه، وتيقن يقينًا لا شك فيه ولا ارتياب أن الرازق الله، وأنه قد كفل رزق الأولاد ورزق كل واحد منهما، وبأنه وعدهما بالإغناء (إن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) لسارعا إلى نكث ذاك الميثاق الذي أبى أن يكون غليظًا، وإلى إنهاء حياة بؤس وشقاء ما فرضها الله عليهما، وما جعل تعبده بالصبر عليها وهي ما هي عليه من مخالفات، ولفردا أجنحتهما لقضاء الله ولسننه الماضية في كونه ولحياة جديدة ملأى بالبشارات هي حتمًا أفضل من تلك التي يسجنان فيها روحيهما قبل الأجساد.

إليكما

لا للصبر السلبي

إنما كان النهي عن طلب المرأة الطلاق في غير ما بأس، لا أن يكون الداعي قويًّا كأن تخشى تضييع حقوق الله من جراء سوء معاملته لها أو من بغضها له بغضًا تستحيل معه العشرة والسكينة والسكن، أو لنقصان دين أو انعدامه تخشى على نفسها منه الفتنة، ولربما الانحدار في المعصية أو الكفر.

وإنما كان النهي عن الفرك لخلق سيء متلبس بجميل.. تأخذ منها وترد.. ترضى عما يرضيك ويسوءك ما تبغضه.

أما أن تجتمع فيه(ها) كل الصفات البغيضة، فتختارا الصبر السلبي المتلبس بالخنوع والضعف والقبول بالأمر الواقع.. تقابلين إساءته لك بالإساءة، وتقيم دولة الظلم والضنك في بيتكَ، تفني زهرة شبابك في حروب التأديب أو في الهروب، أو لربما في البحث عن الحرام، وتمضيان حياتكما في كرب ما أمر الله بأن يكون عنوان حياة زوجية الحكمة من تشريعها السكن والمودة والرحمة قبل كل شيء، فهذا مما يخالف الفطرة والطبيعة البشرية والحكمة من مشروعية الزواج.

قال له -بأبي هو وأمي: «طلقها»[1] وهو يشكو له من زوجته
وقال- عليه أفضل الصلاة والتسليم- للمرأة التي لا تطيق زوجها[2]: «أتردين عليه حديقته؟

بكل البساطة التي جعل لأجلها الفراق حلا للمعضلات.. بل وأمر زوجها أمرا أن يفارقها

أولادكما؟ لهم رب يحميهم ويكلؤهم ويربيهم، ثم أنتَ إن أنهيت علاقة الزوجية فعلاقة الأبوة لا ينهيها طلاق ولا ينسفها فراق.. ارعهم من مكانك في حياتك الجديدة

يا سيدي،

يا سيدتي،

خصصت سورة بأكملها لأحكام الطلاق، وطلق الصحابة أزواجهم، والنبي قبلهم عليه أفضل الصلوات والتسليم، وما صار الطلاق ولا الخلع وصمة عار في جبينهم ولا شنارًا.

---

(1) حديث (عندي امرأةٌ وهي من أحب الناس إلي وهي لا تمنع يد لامس، قال: طلقها، قال: لا أصبر عنها، قال: استمتع بها».) على اعتبار من جوده من العلماء.

(2) هي امرأة قيس بن ثابت المختلعة المذكورة في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس: أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتردين عليه حديقته، قالت: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقبل الحديقة وطلقها تطليقة.

خوف من الكفر في الإسلام، وحقوق وواجبات وأمانات، ما أراكما إلا مضيعيها في بحركما الهائج المائج، وفي سلسلة نكدكما الذي لا ينتهي.

ثم وقفة بين يدي الحسيب الرقيب ذي الطول سبحانه..

فليلهج لساناكما بالحمد وبالثناء..

قد جعل الله لكما حلًّا إذا ما أبغضتما بعضكما، وإذا ما استحالت حياتكما إلى عذاب.

إليكما

أن تُستنزف من أجل ترميم ما يجب ترميمه، وتبذل قصارى جهدك في إعادة تعبيد الطريق.. أن تطرق كل الأبواب الممكنة وغير الممكنة.. أن تُنازل المستحيل كي تُرجع القطار المترنح إلى السكة، ثم تكتشف في الأخير بأن محاولاتك كلها قد باءت بالفشل، وبأن الوضع على ما هو عليه، وبأنك كنت تصب الماء في الرمال وتنفخ في قربة مخرومة.. حينها فقط لن تندم أبدًا على تحويل المسار ولا على تغيير الرصيف والقطار.

فقط.. تأكد بأنك فعلًا قد استفرغت الجهد.. وبأنه لم يعد لديك ما يمكن التضحية به كي تبقى مرتاحًا مطمئنًا، وكي لا تسقط بعدها فريسة للحسرة والندم.

إليكَ

انظر إلى سمتك معها واعرض أسلوب تعاملك معها على المعروف المطلوب منك إمساكها به.. وإلا ففي التسريح بإحسان كثير رحمة بها وإحسان.

إليكَ

احذر تمييع الطلاق!

كثرة الوعيد بالطلاق بسبب طبخ- قَدرًا- قد أُحرق أو لم ينجح، أو ملابس لأي سبب من الأسباب لم تنظف ولم تكو، أو لأن الولد قد تأخر في دراسته، أو لأنها نسيت صنبور الماء يرشح، أو لأن مواء قطة الجيران يزعجك لأنها نسيت الشرفة مفتوحة، أو لأنها تأخرت في استعدادها للخروج معك بسبب اهتمامها بتنظيف الأولاد وتمشيطهم وإلباسهم، وبتلك التفاصيل التي يجب عليها التنبه لها قبل الخروج من قبيل إغلاق النوافذ وفصل بطاريات شحن الهواتف والحاسوب المتدلية أرضًا وفوق الأريكة، أو إحكام إغلاق قارورة الغاز، والتي إن لم تتنبه لها أو نسيتها أو جعلها صراخك وزعيقك تتجاوزها كي تكفيك الصراخ وتنقذ أذنيها من براكينك، سيكون حظها أيضًا تهديدها بتطليقها.

هذا الوعيد المتكرر شأنه أن يميع ما لأجله شرع الطلاق،

ويجعل المرأة تعيش على إيقاع الترويع والخوف وعدم الأمان؛ لتنتقل بعد ذلك إلى اكتساب مناعة وتطعيم ضد هذا الترهيب، فلا ينفع معها بعد ذلك إنذار ما دامت ترى جعجعة ولا ترى طحينًا، أو حتى إن كان فستكون هي أول من يرحب به، فتضيع عليك فرصة ترويعها، بل تلزمك بالوفاء بما تهددها به.

ما جعل الطلاق ورقة ضاغطة، ولا سلاح ترهيب تلوح به كلما بدا لك أن تفعل، ولا لتركيعها وجعلها تعيش مسلسل رعب وتوجس وعدم أمان، إنما جعل حلًّا إذا تعذر وجود غيره من الحلول.

إليكِ

أرأيت؟

لم يتوقف الكون لطلاقك..

ولم تقلع العصافير عن الغناء ولم تحجب الشمس نورها، ولم يحجم السحاب عن إرسال قطره، ولم ينفذ الأوكسجين، والإملاق الذي كنت بسببه تخشين أن تطلبي الطلاق فتتشردي ويتشرد معك أولادك لم يحصل، بل جعل الله لك مخرجًا كما وعدك، وأغناك من وسعه؛ وأغدق عليك من رزقه ونعمائه.. وحتى النبض الذي كنت تخشين أن يتوقف بسبب نظرة الناس إليك لم يتوقف- وإن كانت وشوشاتهم ونظراتهم لن تبرحك.

يا سيدتي،

الشيء الذي لا يقتلك يجعلك أقوى..

فكوني بربك أقوى

إليكَ

لا تفترض أن تقيم على ظلمها السنوات ذوات العدد دون أن تنتفض وتنفجر.. تلك التي اختطفتها من بين دماها وكراريسها المملوءة وردًا مجففًا وشموعًا حمراء، قد نضجت بالقدر الذي يجعلها تمزق كل الدفاتر وكل الدمى وتنفش الورد وتحرق الشمع، وتعلن أنها لم تعد تسمح بأن تستلب.

قد كانت تعفو عنك وتسامح، وتعتذر لك عوضًا عنك عن ظلمك لها لأمًا للشمل وخوفًا من استمرائك أن تراها ترتجف إثر صيحات غضبك أو نوبات صمتك الذي يرمي بها في متاهاتك الغامضة الشائكة.. الآن قد كبرت وكبر الطفل الخائف في أعماقها، وصارت تستطيع أن ترد على ظلمك باللامبالاة وعلى صمتك بصمت أعقم منه.. وصارت تستطيع الفطام.. وتستطيع أن تفهم معنى: «إن يتفرقا يغن الله كلًّا من سعته»

لست المنعم الوهاب، ولا ممسك الأرواح.. ولا مفرق الأرزاق باسطها وقابضها، لها رب رحيم ودود لم يرض لها أن

تعيش كصيد عنكبوت عالق في شعها.. لا يحيا ولا يموت.. قد جعل الله لها طلاقًا تنقذ به ما تبقى لها من ماء وجه.. وخلعًا تشتري به رقبتها من حياة الذل والخنوع.

إليكَ

انفصالكما لا يبرر لك ألبتة أن تتبرأ من مسئولياتك أمام أبنائك أو أن تحجم عن التصرف معهم بما يتطلبه منك دورك أبًا.. وصراعك المفتعل والذي تنفس فيه كل أحقادك وأضغانك وكرهك المتجذر لها لا يد لأبنائك فيه، فلا داعي لأن تنتقم منها في صورتهم، وليس من الدين ولا من العقل ولا من المروءة أن تجعلهم الورقة الضاغطة الوحيدة المتبقية من إرث النكد والضنك كي تركعها أو ترغمها على ما تريده أنت حتى بعد الفراق.

قد تُعفى من مسمى الزوجية بسبب الانفصال، لكن لا شيء يعفيك من أبوتك ومن قوامتك ومن ولايتك عليهم ما بقيت على قيد الحياة.

لا أحد يستطيع أن يرغمك على الإحساس بالمسئولية، وأكثر منه أن يأمرك باستشعار الأبوة والتنعم بمضغة بين حناياك تخفق رحمة وحنانًا وحبًّا لهم.

فإما أنك تفهم تلك المعاني وتعلم معنى السؤال أمام الله

عن الأمانة وعن الرعية، وإلا فإن أية محاولة في الإقناع هي مجرد إبحار ضد التيار ونقش على الرمال ونفخ في قربة مخرومة.

حينما شرع الله الطلاق وأفرد سبحانه سورة كاملة لبيان أحكامه، فإنما كان لحكمته سبحانه ولعلمه بضعف خلقه وبتباين الطباع.. لكن جعل للأولاد حقًّا مكفولًا لا يتغير بتغير الأحوال الشخصية.

إليكما

أتعلمان معنى التضحية من أجل الأولاد والصبر على حياتكما المشتركة فقط لأجل أن يعيشوا بين والديهم؟

معنى ذلك الكثير الكثير من الإحسان ومن التغاضي ومن الصمت الذي لا يسبق العواصف، إنما ذلك الصمت الذي تكفان به عن بعضكما شركما.

معنى ذلك التحمل في صمت والتعامل بالحسنى وبذل المستحيل ومقابلة الإساءة بالإحسان كي لا يشعر الأولاد بانفصالكما الروحي، ولا يؤثر عليهم تنافركما بل لا يتنبهون له أصلًا.

باختصار، التفنن في تقمص الدور، وإتقان التمثيلية بشكل بارع، والنجاح في إقناع الأولاد بدوركما في حياتهم وفي حسن تربيتهم وفي الحرص على نفسيتهم، فإن كنتما لا تتقنان التمثيل، فإنما حرصكما على البقاء لأجل الأولاد وقد قلبتما بيتكما ترسانة

حربية، وشهدوا معارككما الضروس التي لن تفعل أكثر من أن تصيبهم بعقد نفسية، وبعدم توازن في الشخصية، إنما حرصكما ذاك رعونة وعدم تقدير دقيق للأمور، ومخالفة للحكمة التي شرع الله لأجلها الطلاق.

والأفضل من ذلك كله، أن تحرصا على البقاء لأجلكما لا لأجل الأولاد، وتعملا على تجديد العلاقة بينكما، ذاك ما ينفعكما وينفعهم ويعود بكل خير عليكما وعليهم.

إليكَ

إن كانت نيتك الطلاق، وتأكدت من أنك قد استفرغت الجهد في محاولات الإصلاح كما رتبها لك المولى سبحانه في كتابه الحكيم، ويئست من تدخلات الحكمين كل مرة دون كبير نتيجة، وقررت أن الحل في ذلك العلاج الذي ما أباحه الله سبحانه إلا ليكون- فعلًا- إنقاذًا لنفس بشرية ولروح كادت تزهق بسبب خلافات متكررة وكدر لا ينتهي، فلا تتفنن في التضييق عليها؛ كي تشتري نفسها وتخلع فتعفيك من تبعات المتعة والنفقة.. تحمل مسئولية قرارك، وأعطها حقها كاملًا كما كتبه الله لها.

كن ذا نخوة وشهامة، وتذكر أنك الآن تفقد زوجة وبيتًا وحياة، فهل كان المال الذي ستحرمها منه والذي ما جعله الله إلا مواساة لها وتطييبًا

لخاطرها المكسور ليثريك إن أنت منعته أو ليفقرك إن أنت منحته؟

وتذكر أنك وإن أفلحت في أن تجعلها تفر ببقايا روحها دون أن تطالبك بشيء، فإن العليم الخبير المطلع على الصدور قد علم دسيستك وإن خِلْت نفسك قد أحسنت الإخفاء!.

إليكَ

قد كرهتها ونفرت روحك منها وانعدم الأمان والسكينة والتواصل بينكما، وتأكدت بما لا ينفع معه تشكيك ولا ارتياب أنه يستحيل أن تعود المياه لمجاريها أو أن تقيم معها ببيتك دولة العدل والإحسان والمودة، فعلام تتركها بالقرب منك!، تعاملها معاملة الغرب للزنوج وتتركها رقمًا مجهولًا في معادلة وتحتفظ بها كمومياء في سراديب هرم؟

لم تصر على أن تبقى مسئولًا عن رعية لا ترعاها، وأن تفضل- في الكثير من الأحيان- الركض وراء الحرام؟

تحرر منها وحررها منك، ولتفتح بعدها جناحيك للحياة حولك بالحلال فلن يعجزك أن تعيد تشكيل حياتك كما تريد مع من تراها ستحقق لك ما لأجله شرع الزواج.

اتق الله فيها..

وفي نفسك..

إليكما

قد كان في حياتكما ما كان من نكد وضنك وتعاسة.. روحان تناكرتا فاختلفتا وأبت كل واحدة منهما أن تذوب في الأخرى.. هدهما العراك والحروب التي لا تنتهي، فجنحتا إلى السلم للتحليق في سماوات الراحة والهدوء بعد العواصف الهوجاء.

قدر الله عليكما الفراق، ليكون فراقًا.. تحققان به السلام النفسي والراحة التي لم يكتب لكما أن تحققاها حال الاجتماع، لكنه صار امتدادًا للحياة القديمة: عراك ومشاحنات وكل مرة موضوع جديد تكملان به رحلتكما في تراشق التهم وتبادل الاتهامات.

يا أيها الكريمان،

أما كفاكما تعاسة؟

إن لم تستطيعا أن تعيشا الزواج السعيد، فابذلا الوسع كي تعيشا الطلاق السعيد.

خاتمة:

ليست هذه كل الحكاية، ويا ليت كتابا واحدا كان كفيلا بجمع كل مشكلات الحياة ورصد حلولها، لما بقي على الأرض أزواج تعساء.. لكن اقتضت السنة الإلهية دفاع الناس بعضهم ببعض، واختلافهم وتباينهم، وجعل الابتلاءات والأوجاع صفة لصيقة بالدنيا، والمشاكل والنقص سمتها، كي يسارع الناس إلى طلب الكمال، وإلى التعلق بدار السعادة والهناء لا بالفانية المجبولة على الكبد والأكدار..

وإنما كان هذا الكتاب - كما أسلفنا- محاولة لجمع شتات الموضوع، ولتسليط الضوء على أن هناك ما يجب فعله من أجل إنقاذ مركبة الزوجية.

وفي الختام، لا يسعنا إلا أن نحاول لملمة هذه القصاصات وتلخيص أسباب معظم المشكلات وأكثرها شيوعا بين الزوجين فيما يلي:

-الغرق في الذنوب وفي التقصير وحل المشكلات في مبعد عن الشرع

-عدم الاهتمام المتبادل، وإخفاق الطرفان أو أحدهما في التعبير عن ذواتهما بوضوح وصراحة وفاعلية

- -انعدام الرقي وانمحاء بعض الرسمية في بعض المواقف التي تنم عن الاحترام العميق: فإما تدشين الحواجز العالية بينهما حتى لا يعلم هل هو زواج أم شراكة، أو تحطيم كل الأسوار والسقوط في الابتذال والتبذل والميوعة اعتبارا أن ذلك من التفاهم والتقارب فتضيع بذلك الهيبة والاحترام المتبادل

-قلة الفطنة والتبلد والابتعاد عن الملاحظة الذكية للأحداث اليومية التي يمران بها

-عدم إشراك الطرف الآخر التأملات والخبرات الجديدة والمشاعر،أو رفض ذلك منه، والاعتماد على قراءة أفكار الشريك فقط دون تكليف النفس محاولة معرفة مدى صحة الظن،ودون بحث عن حل مباشرة قبل أن تتراكم المشكلات ويستفحل الأمر

-المشاكل المتكررة، وإن كانت صغيرة ، قد تخلق فجوة بين الزوجين في غفلة منهما،وتزيد اتساعا مع الأحداث اليومية حتى البسيطة منها

-انعدام الإصغاء والتفهم والحوار والتواصل والرحمة والمودة

-عدم احتواء الآخر وتفهم نفسيته واحتياجاته والسبل المؤدية إلى تلبيتها

- الخوف من التغيير، واختيار الهروب من العلاقة ومن

المواجهة بالانزواء في عالم داخلي أو عالم خارجي بديل

-الهروب من النقد واعتباره خطرا يهدد صورتهما المرسومة لذواتهما، في حين أن النقد الإيجابي الخلاق يهدف إلى التغيير والإصلاح

- عدم تقبل حقيقة أننا نمتلك من الصفات السلبية ما يجعل الآخر ينتقدنا

-الاكتفاء بالمعايشة عوض البحث عن حلول لأجل الاندماج

-تركيز أحد الطرفين على رغباته واحتياجاته دونا عن رغبات واحتياجات الشريك

-الصمت المشبع بالحنق والذي مآله الانفجار

-النصائح السلبية المستهلكة المنتشرة في المجتمع دون مراعاة لتباين الحالات

-الاكتفاء بالمتاح وعدم بذل الجهد في التغيير

- رجل لا يحسن أن يكون قواما فضلا عن أن يراعي أنثى، وامرأة لا تحسن أن تكون أنثى فضلا عن معرفة حسن التبعل

هذا غيض من فيض مما تعاني منه البيوت في غفلة عن تباحث ما يوصلها إلى الأمان، ولعل الله إن أطال العمر أن ييسر رقم ملحق لهذا الكتاب نكمل عبره الإبحار بحثا عن مرافئ السكن.

هذا جهد المقل، أسأل الله أن يعفو عن الزلل وأن يقيل العثرات.